اليـوم الآخر

من الموت إلى الخلود في الجنة أو النار

تأليف

د.أحمد جابر محمود العمصي

أستاذ العقيدة المساعد بقسم العقيدة و المذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية ـ غزة

الطبعة الثانية (مزيدة و منقحة)

1432هـ - 2011م

اليــوم الآخــر

من الموت إلى الخلود في الجنة أو النار

تأليف

د.أحمد جابر محمود العمصي

أستاذ العقيدة المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تم تحكيم هذا البحث

في عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- غزة

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن ولاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(٧١)﴾. [الأحزاب].

أما بعد : لما عزم قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بالجامعة الإسلامية- بغزة – على بث العلوم الشرعية، ونشر عقائد الفرقة المرضية، عقيدة أهل السنة والجماعة، طُلب مني أن أكتب منهجاً لمساق توحيد (٤)، لإثراء المكتبة الإسلامية ببحثٍ يُوصل لعقيدة أهل السنة والجماعة، فاستجبت لذلك راجياً المثوبة من الله، فشمرت عن ساعد الجد، وواصلت الليل بالنهار، وبعد توفيق الله وجهد متواصل، جاء هذا البحث بحمد الله غرةً للطالبين ومحجةً واضحةً للراغبين، ومؤيدةً بالبراهين .

ولما كان الارتباط بين الحياة الدنيا والآخرة وثيقاً، فالحياة الدنيا بمثابة الحرث والزرع، والأخرى بمثابة الجني والحصاد، كان لابد للإنسان من أن يعلم عن حياته في الآخرة ما يدعوه للاستعداد لها، وإقامة حياته الدنيا على الطريق القويم الذي يحقق له في الآخرة نجاة من النار وفوزاً بالجنان.

وبخاصة في هذا الوقت الذي انشغل فيه كثيرٌ من الناس بالدنيا وما فيها من المتاع فنسوا الآخرة، وما يكون فيها من بعث وحشر وحساب وأهوال عظيمة لا يعلم قدرها إلا الله ﷻ، وهذا البحث سيكون توضيحاً لعقيدة أهل السنة والجماعة في اليوم الآخر وما يكون

فيه، ذكرت فيه كل مسألة مصحوبة بدليلها، ليتضح أمرها وتتجلى حقيقتها ويبين سبيلها.

وقد قسمت هذا البحث إلى أربعة عشر مبحثاً، وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: السمعيات.

المبحث الثاني: الروح.

المبحث الثالث الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الرابع: أشراط الساعة.

المبحث الخامس: عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين.

المبحث السادس: بدايات اليوم الآخر

المبحث السابع: الحشر.

المبحث الثامن: صحائف الأعمال.

المبحث التاسع: الحساب.

المبحث العاشر: الحوض.

المبحث الحادي عشر: الميزان.

المبحث الثاني عشر: الشفاعة.

المبحث الثالث عشر: الصراط.

المبحث الرابع عشر: الجنة و النار.

والله أسأل أن يجعله ابتغاء وجهه الأعلى، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، وهو جهد المقل، خيره كله من الله تعالى، وشره من نفسي والشيطان، وأستغفر الله أولاً وأخيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

د.أحمد جابر محمود العمصي

أستاذ العقيدة المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م

المبحث الأول

السمعيات(الغيبيات)

المطلب الأول: تعريف السمعيات

السمعيات لغةً:"(السمعيات) (فِي العقائد) مَا يسْتَند إِلَى الْوَحْي كالجنة أَو النَّار وأحوال يَوْم الْقِيَامَة"[1].

السَّمْعِيَّاتِ اصطلاحاً:"مَا كَانَ طَرِيقُ الْعِلْمِ بِهِ السَّمْعَ الْوَارِدَ فِي الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ وَالْآثَارِ مِمَّا لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهِ مَجَالٌ"[2] وعرفها الايجي: "الْأُمُور الَّتِي يتَوَقَّف عَلَيْهَا السّمع كالنبوة أَو تتَوَقَّف هِيَ على السّمع كالمعاد، وَأَسْبَاب السَّعَادَة والشقاوة من الْإِيمَان وَالطَّاعَة وَالْكفْر وَالْمَعْصِيَة"[3].

والسمعيات: نسبة إلى السمع وسميت بهذا الاسم، لأنها تسمع سماعاً من الوحي فقط.

ونقصد بالسمعيات: المسائل التي لا تتلقى إلا عن طريق السمع، ولا تأخذ إلا من الوحي جبريل عليه السلام، أي ما جاء بها القرآن، والسنة الصحيحة، فلا قدرة لحواسنا البشرية على معرفة كنهها وكيفيتها وبالتالي لا يستطيع العقل البشري أن يستقل بمعرفتها أو إدراكها، وهذا السبب هو الذي دعا بعض العلماء إلى إطلاق اسم السمعيات عليها، فهي تتعلق بعالم الغيب، وأحداث اليوم الآخر، وما فيه من مشاهد ومواقف كالحشر والميزان والصراط والعرش واللوح والجنة والنار وغيرها من مباحث الغيب، والعقل الصحيح السليم يجب أن يصدق بها لأنها أخبار صحيحة وصادقة.

---

[1] المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار(٢/٤٥٠) تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر، دار الدعوة.

[2] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي(٢/٣) مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

[3] المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(٣ /٣٣١) تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

حكم الإيمان بالسمعيات: الإيمان بالسمعيات واجب فقد نقلت إلينا عن طريق التواتر، حتى أصبح العلم بها ضرورياً، فيجب الإيمان بها جميعاً، ومن أنكر شيئاً منها ثبت في القرآن والسنة الصحيحة والإجماع، فقد كفر، لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

المطلب الثاني: تعريف الغيب

أولاً: الغيب لغةً[1]: قال ابن فارس:"الغين والياء والباء: أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون. الغيب: ما غاب عن الحواس مما لا يعلمه إلا الله، ، فالغيب مصدر غاب أي استتر عن العين، غابت الشمس تغيب غيبة وغيوبا وغيبا أي استترت وراء الأفق.. فالغيب يستعمل في كلِّ غائبةٍ تغيب عن الحواس فهي غيبٌ بالنسبةِ إلى الإنسان، وكلُّ شيء غاب عن علم الإنسان فهو غيب"[2].

وفي الحديث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي غَزَاةٍ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ"أَمْهِلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلًا أَيْ عِشَاءً كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ[3]. الْمُغِيبَةُ"[4]، قال النووي"وَالْمُغِيبَةُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْغَيْنِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ وَهِيَ الَّتِي غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا"[5].

من خلال أقوال علماء اللغة في تعريف الغيب، يتبين أن الغيب هو كل ما غاب عن الأعين وغير مشاهد.

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٤ /٤٠٣) بتصرف،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون (٦٦٧/٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (٤٩٧/٣) تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.

[2] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٤/ ٤٠٣).

[3] قال النووي"وتستحد المغيبة الاستحداد استعمال الحديدة في شعر العانة وهو ازالته بالموسى"، المنهاج شرح صحيح مسلم: يحيى بن شرف بن مري النووي، (٥٤/١٠) دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الثانية،١٣٩٢هـ.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً (ح٣٥٥٦) ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، طبعة١٩٨٥م.

[5] شرح النووي على صحيح مسلم(٥٤/١٠).

ثانياً: الغيب شرعا:" ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به الفعل، فيحصل به العلم" [1]، وقال ابن العربي"مَا غَابَ عَنْ الْحَوَاسِّ مِمَّا لَا يُوصَلُ إلَيْهِ إلَّا بِالْخَبَرِ دُونَ النَّظَرِ " [2].

المطلب الثالث: أهمية الإيمان بالغيب

بقدر تفاوت الناس في الإيمان بالغيب يكون تفاوتهم في الإيمان عامة، وتكون منازلهم عند الله تبارك وتعالى، وتكون مراتبهم في الجنة، فأول علامة من علامات المؤمنين، وأول صفة من صفاتهم: أنهم يؤمنون بالغيب، وهذا مفرق الطريق بينهم وبين الكافرين والملحدين والمنحرفين.

قال ﷻ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] وذلك يعني أن الشيء الذي غاب عنهم يؤمنون به إيماناً يقينياً، فمن خشي ربه بالغيب فقد فاز. ونجا بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ. قالﷻ: ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] وقالﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

والقرآن الكريم يقرر أن الغيب لله وحده قالﷻ: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الغَيْبُ للهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠] ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وأن الغيب محجوب عن **الأنبياء والرسل** قالﷻ: ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(ص٢٥٤) عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

[2] أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي(١/١٥) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

ولكن قد يطلع ﷻ بعض رسله على علوم الغيب من باب **الإعجاز**، وبما يخدم الرسالة قال ﷻ: ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨].

ويأمر الله رسله أن يعلنوا للناس أنهم لا يعلمون الغيب، قال ﷻ على لسان محمد: ﷺ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال ﷻ: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال ﷻ: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [هود: ٣١]

والملائكة يقرون أنهم محجوبون عن الغيب قال ﷻ: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة: ٣٢].

والجن كذلك لا يعلمون الغيب بدليل أنهم لم يكتشفوا موت سليمان وهو أمامهم، واكتشفوا موته بالعلم الظاهر، بعد أن أكلت دَابَّةُ الأَرْضِ مِنْسَأَتَهُ قال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

المطلب الرابع: أقسام العالم

قسم الله العالم إلى قسمين عَالِمُ الغَيْبِ وَعَالِمُ الشَّهَادَةِ، قال ﷻ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩] قال الطبري: "عَالِمُ مَا تُعَايِنُونَ أَيُّهَا النَّاسُ فَتُشَاهِدُونَهُ، وَمَا يَغِيبُ عَنْ حَوَاسِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ فَلَا تُحِسُّونَهُ وَلَا تُبْصِرُونَهُ"[1].

أولاً: عالم الشَّهَادَةِ المحسوس

الشَّهَادَةِ: من شَهِدَ و"الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، يُقَالُ شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً، وَالْمَشْهَدُ: مَحْضَرُ النَّاسِ، والشُّهُودُ: جَمْعُ الشَّاهِدِ"[2].

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري(٩ /٣٤١) تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

[2] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٣ /٢٢١) بتصرف.

والْعَالَمِ الْمَشْهُودِ هو "الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ بذلك"[1] ، قَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [الرعد: ٩] فعالَم الشهادة هو الحضور مع المشاهدة، حضرت وشهدت، إما بالبصر أو بالبصيرة، فالبصر رؤية العين، والبصيرة رؤية القلب، قال الطبري:"الشَّهَادَةِ: يَعْنِي وَمَا شُهِدَ فَظَهَرَ لِرَأْيِ الْعَيْنِ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ"[2]

وينقسم العالم المشهود المحسوس إلى قسمين:

أ- **عالم يقع تحت حواسنا الخمس**، كالمرئيات، والمسموعات، والمشمومات وغيرها مما يدرك بالحواس الخمس، و"هذه الحواس هي روافد المعرفة العقلية عن عالم الشهادة، هي جواسيس العقل وعيونه حسب تعبير الغزالي وبدون هذه الجواسيس لا يستطيع العقل أن يعلم شيئا يقينيا عن عالم الشهادة، فمن فقد حاسة البصر فاته العلم بعالم المرئيات، ومن فقد حاسة السمع فاته العلم بعالم المسموعات. وهكذا. شأن بقية الحواس.. فكل حاسة مسلطة على عالم معين تتعرف عليه، وتنقل إلى العقل إحساسها بهذا العالم المعين"[3].

ب - **عالم تدرك حواسنا أثره:** هناك أشياء موجودة لا تستطيع حواسنا الإحاطة بها أو إدراكها، لكن تدرك آثارها الدالة عليها مثلاً:

١- **الكهرباء:** لا نستطيع أن نرى الكهرباء بالعين، لكن دوران المروحة، وإضاءة المصباح أثر من آثار الكهرباء، كذلك حرارة المدفأة الكهربائية أثر من آثار الكهرباء، وكذلك المذياع والتلفاز، فالكهرباء تبدو على شكل صوت، أو حرارة، أو على شكل تبريد، أو صورة، أو حركة، فتقول: إن الكهرباء لا تستطيع حواسنا أن تدركها، ولكننا ندرك آثارها، وما دمنا قد أدركنا آثارها، فإننا نحكم بوجودها.

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي(ص٩٠) تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

[2] جامع البيان: الطبري (٢٢/٦٣٦).

[3] الوحي والإنسان، قراءة معرفية: محمد السيد الجليند(ص٦٨) دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢- **الروح:** وهي أقرب شيء لنا من العالم الغيبي، فمَن منا يستطيع أن ينكر وجود الروح فلو أنكرنا وجود الروح لأنكرنا وجودنا، ومع أن الروح موجودة بالبداهة في يقين كل منا، فلا نستطيع أن نلمسها بيدنا، ولا أن نراها، ولا أن نسمع صوتها، ولا نشمَّها، لا صوت لها، ولا رائحة، ولا شكل، ومع ذلك فهي موجودة.

٣- **القوة المغناطيسية:** فأنت تحكم بوجود القوة المغناطيسية قطعاً، مع أنك لم ترها، إذاً هناك علم استدلالي، فأنت من أثر الشيء تستنتج وجوده الواقع ١٠٠ %، وذلك يقين قطعي، مع أنك لم ترها، لكن آثارها دالة عليها.

هذا العالم المشهود المحسوس ما يقع تحت حواسنا الخمس أو ما تدرك حواسنا أثره، العقل يملك القدرة المؤهلة للتعرف على هذا العالم واكتشاف قوانينه وتحديد العلاقات السببية بين أنواعه ومعرفة علله ومعلولاته؛ ليجعل من هذا الكون مملكته التي استخلفه الله عليها.

ثانياً: عالم الغيب المستور

قال ﷻ: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ﴾ [الرعد: ٩]، العالم الغيبي هو الذي لا تدركه بحواسك موجود قطعا، وجوداً حقيقياً وإن غاب عن حواسك وجوارحك، إن الإيمان بالغيب لا يعني أن تؤمن بشيء احتمالُ وجوده قليلٌ، والإيمان بالغيبيات يجب أن يكون إيمان قوي وعميق، فالعالم الغيبي ليس أقل من وجود العالم المشهود، بل ربما كان العالم الغيبي أكثر وجوداً من العالم المشهود.

والطريق الوحيدة لتعريفنا بحقائق الأشياء الداخلة في عالم الغيب هو الوحي، فالإيمان بالملائكة إيمان بالغيب، والجنة وما فيها كاللحم والفاكهة، والحور العين والمساكن الطيبة، وأنهار اللبن والخمر بلا غول والعسل المصفى، والنخل والرمان، هذا مع الأحاديث التي وصفت قصور الجنة بأنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وأن تراب الجنة مسك، والحور العين، والولدان المخلدون، إلى غير ذلك من النعيم الأخروي، والنار وصنوف العذاب في جهنم، والميزان، والخَزَنة، والزبانية، وحملة العرش، كل هذا من الإيمان بالغيب، فإن الإيمان بتلك الأشياء وسيلةُ معرفتها الخبرُ الصادق فقط، حيث

تعرفنا على هذه الحقائق الثابتة بالخبر الصادق وحده، وهو الدليل القاطع على وجودها، وما إلى ذلك من عوالم الغيب البعيدة عن إدراك الحواس.

المطلب الخامس: أقسام الغيب

الأمور التي تدخل في إطار الغيب كثيرة يصعب حصرها، لذا لابد من وضع هيكل يقسم هذه الأمور باعتبار معين، حتى يتم التمييز بينها بحسب متعلقها، لتأخذ مكانها الطبيعي بين هذه الأشياء الكثيرة والمتنوعة التي تدخل في الغيب، وعليه فيمكن تقسيم الغيب إلى عدة أقسام باعتبارات مختلفة:

التقسيم الأول: باعتبار علمه ومعرفته [1]

ينقسم الغيب باعتبار علمه ومعرفته إلي ثلاثة أقسام:

أولاً: قسم يعلمه بعض المخلوقات ويجهله بعضهم: ويمكن أن نسميه (الغيب النسبي) [2] **مثال:** الجن يعرفون أشياء لا نعرفها نحن، فالجن بالنسبة لنا من عالم الغيب، فقد أخبرنا الله بوجودهم، أما الجن فبالنسبة لبعضهم هو مِن عالم الشهادة، أي إن هناك أشياء إذا قيست بالنسبة للإنسان فهي مِن عالم الغيب، وإذا قيست بالنسبة للجن فهي من عالم الشهادة، والإنسان بالنسبة لأخيه يعرف بعض ما يجهله أخوه، وهكذا الأنبياء يختلفون عن غيرهم من حيث العلم، والعلماء في كافة المجالات يختلفون عن غيرهم فيما يعلمون.

ثانياً: قسم يمكن أن يعلمه بعض الخلق بالبحث والاكتشاف[3]: فينتقل من عالَم الغيب إلى عالَم الشهادة، كالمجهول من العلوم والقوانين الكونية والمناطق البعيدة والكواكب السماوية، فينتقل من عالَم الغيب إلى عالَم الشهادة.

مثال: وجه القمر الآخر، مَن منا كان يعرفه، فقد كان غيباً مستوراً عن الإنسان فلما وصل العلماء إلى سطح القمر، وهبطت المركبة على الوجه الآخر، والتقطت صوراً له، فهذا المكان انتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، إذن قد يكون هناك أشياء كثيرة

---

(1) انظر: الإيمان بالغيب: بسام سلامة، (ص٣٢) مكتبة المنار ط الأولى ١٤٠٣هـ١٩٩٣م.

(2) انظر: الوحي والإنسان: الجليند(ص٨١).

(3) انظر: الإيمان بالغيب: سلامة (ص٣٢).

بالنسبة إلينا من عالم المغيب. ثم تنتقل من عالم المغيب إلى عالم الشهادة. حسب الاكتشافات العلمية، والتقدم العلمي.

ثالثاً: قسم استأثر الله بعلمه: ويمكن أن نسميه(الغيب المطلق)"هو ما استأثر الله بعلمه وحجبه عن جميع خلقه"[1] كائناً من كان لا نبي مرسل ولا ملك مقرب.

مثال: موعد يوم القيامة، وكتحديد الوقت الذي يقوم فيه الخلق ﷻ للحساب، ومن هذا الغيب قيامة الإنسان الصُغرى، فهو العلم الذي لا يعلمه إلا الله، وهذا النوع خاص لله ﷻ، ولذلك ركز القرآن عليه من حيث نفي علم المخلوقات له قال: ﷻ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] وقالﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]فهذا العلم الإلهي لا يناله الإنسان بحس ولا عقل، ولا سبيل إلي معرفته، فهو ليس اكتساباً.

التقسيم الثاني: باعتبار الزمان[2]

ينقسم الغيب باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: غيب الماضي: [3]، والماضي هو كل لحظة تخرج من إطار الحاضر، كالأحداث التاريخية التي لم نشهدها، كقصص الأمم الماضية وقصص الأنبياء والمرسلين.

مثال: ما قص عليه من أنباء **نوح** عليه السلام قال: ﷻ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] وما قص عليه من أنباء **الطاهرة مريم** عليها السلام قالﷻ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا

---

[1] الوحي والإنسان: الجليند (ص٨٢).

[2] انظر: الإيمان بالغيب: بسام سلامة (ص٣٣).

[3] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُرقاني(٢/٣٦٧) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة، بدون، دراسات في علوم القرآن الكريم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي(ص٢٧٦) الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، سورة الواقعة ومنهجها في العقائد: محمود محمد غريب(ص٢٠٣) دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٨٨م.

﴿كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] وغيرها من قصص الأنبياء والمرسلين، فكل هذه الأحداث سماها القرآن غيبا، إذ هي كذلك بعد انقضاء الأعوام وزوال الأعيان وعلم الناس بالنسبة لغيب الماضي أمر نسبي، فما يجهله بعض الناس يعرفه آخرون، وهذا القسم يمكن أن يعلم بالقراءة وللسماع ومشاهدة الصور والأفلام.

ثانيا: غيب الحاضر[1]: وغيب الحاضر غير المكان الذي تجلس فيه، فكل مالا يقع تحت حواسك، فهو من غيب الحاضر.

مثال: أنا في غزة لا أدري ماذا يجري في الضفة الغربية، فالضفة الغربية بالنسبة إلي غيب حاضر، وما يجري الآن في بيت جاري أو الشارع، كل هذا من غيب الحاضر، وهذا القسم يمكن أن ينتقل من العالم الغيبي إلى العالم المشهود من خلال وسائل الإعلام التي تنقل الأخبار والأحداث بشكل مباشر.

وسبب غيبيته راجع إما إلى ما قد يعتري الإنسان من عوارض وأمراض تطرأ عليه، كالعمى والصمم وفقدان الإحساس، أو إلى شيء ما حال بين الإنسان وبين الشيء من حواجز وسواتر مع قربه، أو بعده عن الإنسان، وإما راجع إلى صغر حجمه صغراً يمنع من رؤيته كالجراثيم والميكروبات.

ثالثا: غيب المستقبل[2]: غيب المستقبل بعد الوقت الذي تعيش فيه، وهذا لا يعلمه حقاً إلا الله تعالى، ولا يُطلّع عليه أحداً قال ﷻ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] وأما ما أخبر به الأنبياء فهو بإطلاع الله تعالى لهم عليه ممَن اختارهم مِنَ بعض أنبيائه قال ﷻ: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾

---

[1] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: الزُرقاني(٢/٣٦٨) الإيمان بالغيب: بسام سلامة (ص٣٣) دراسات في علوم القرآن الكريم: الرومي(ص٢٧٧).

[2] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: الزُرقاني(٢/٣٦٩) بدون، الإيمان بالغيب: بسام سلامة، (ص٣٣) دراسات في علوم القرآن الكريم: الرومي(ص٢٧٧) سورة الواقعة ومنهجها في العقائد: غريب(ص٢٧٧).

[الجن: ٢٨] وليس استقلالاً منهم، وأما غيرهم من البشر فعلمهم في هذا مجرد توقعات أو نتائج منطقية لمقدمات معقولة.

مثال: إخبار القرآن عن الروم بأنهم سينتصرون في بضع سنين من إعلان هذا النبأ الذي يقول الله فيه: ﴿ الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) ﴾ [الروم].

ومن أمثلته الإخبار بغيب المستقبل أن يقرر القرآن أن أشخاصا بأسمائهم لن يسلموا وسيموتون على الكفر، وكان بإمكانهم أن يتظاهروا بالإسلام ليكذبوا القرآن، ولكنهم لم يخرجوا عما قرره القرآن في حقهم، بالرغم من إسلام الأعداد الكثيرة ممن كانوا أشد الناس عداوة له، ومن ذلك ما ذكره سبحانه عن الوليد بن المغيرة أنه سيصلى النار قال ﷻ: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦]. وكذلك إخباره عن أبي لهب أنه من أهل النار، قال ﷻ: ﴿ تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ (٢) سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) ﴾ [المسد] وكان الأمر كما قرره القرآن فمات الوليد كافراً، ومات أبو لهب كافراً، إلى غير ذلك من الأمثلة.

خلاصة القول: إن الغيب أنواع: منها ما وصل إلينا عن طريق الوحي، فنؤمن به إجمالاً وتفصيلاً، كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما لم يرد في القرآن والسنة النبوية، فنؤمن به إجمالاً لأن الله أخبرنا بذلك، وأخبرنا به النبي ﷺ في السنة النبوية من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن الغيب ما لا يقع تحت حواسنا، ومنه ما يدركه الإنسان بتحليله الفكري كوجود الله تعالى.

المبحث الثاني

الروح

شهدت مسألة الروح نزاعات عنيفة بين الدين والفلاسفة حول ماهية الروح وخصائصها، وعلى الرغم من تلك التباينات الفكرية والعقائدية لمسألة الروح، فإن ما يجمعهم هو الاعتقاد بأن الإنسان يتكون من جسد وروح، وأن الروح كيان غامض لا مادة لها، وبرزت تلك التباينات بين المعتقدات في تفاصيل خواص الأرواح، فمن تلك المعتقدات مثلاً من يرى أن الروح هي مادة الحياة، ومنهم من يعتقد بقدرة تحكم الأرواح في أرواح أخرى، ومنهم من يعتقد بتناسخ الأرواح وانتقالها بين الأشخاص والمخلوقات الأخرى، ومنهم من يرى وجود أرواح شريرة وأرواح خيرة، وهكذا تتعاقب الآراء حول مسألة الروح، فالروح أمرها كان وما يزال مثار جدل ونقاش بين العلماء والفلاسفة، ولم ينتهوا في شأنها إلى رأي حاسم بعد، لأنها غيب من الغيوب استأثر الله تعالى بها.

المطلب الأول: الإنسان مركب من جسد وروح

يقول الحنفي"لِلنَّاسِ فِي مُسَمَّى"الْإِنْسَانِ": هَلْ هُوَ الرُّوحُ فَقَطْ، أَوِ الْبَدَنُ فَقَطْ، أَوْ مَجْمُوعُهُمَا، أَوْ كُلٌّ مِنْهُمَا؟ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الْأَرْبَعَةُ لَهُمْ فِي كَلَامِهِ: هَلْ هُوَ اللَّفْظُ، أَوِ الْمَعْنَى فَقَطْ، أَوْ هُمَا، أَوْ كُلٌّ مِنْهُمَا..... وَالْحَقُّ: أَنَّ الْإِنْسَانَ اسْمٌ لَهُمَا، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى أَحَدِهِمَا بِقَرِينَةٍ، وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ"[1].

فالجسد شيء مادي، نراه بأعيننا، ونحسه بحواسنا، إذ هو عبارة عن رأس ووجه وأيدٍ وأرجل وغير ذلك، فبالجسد يتحرك ويحس، وأصل الجسد التراب وهي قضية مسلم بها لا يماري فيها عاقل، فإن الإنسان عندما يموت يتحول إلى عناصره الأولى التي خلق منها وهي التراب، فإن العناصر المكونة لجسم الإنسان لا تختلف عن باقي العناصر المكونة للأرض، فلو أخذ الإنسان جزءاً من تراب الأرض الخصبة وحللها تحليلاً كيماوياً، لوجدها تتركب من عدة عناصر، ولو أخذ قطعة من جسم الإنسان وأجرى عليها عمليات التحليل لوجدها تتركب من هذه العناصر نفسها.

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٨٧).

وأما الروح: فشيء آخر لا نراه بأعيننا ولا نحسه بحواسنا ولا نعرف حقيقته أو لونه أو هيئته، وبالروح يدرك ويعي، ويفكر، ويعلم، ويختار، ويحب، ويكره.

المطلب الثاني: تعريف الروح وماهيتها

وقفت البشرية حائرة في معرفة الروح أو التعريف بها؛ فمنهم من أمسك مطلقًا عن الخوض فيها، مرجعًا الأمر إلى الله تعالى وحده، فأراحوا واستراحوا، ومنهم من ذهب يعرِّفها بتعريفات اجتهادية كثيرة كلها تحتاج إلى أدلة لإثباتها.

أولاً: تعريف الروح:

- **لغةً:** الروح من الراحة والرحمة ونسيم الريح، تقول: وجدت روح الشمال: برد نسيمها، والروح: ما به حياة النفوس، يذكر ويؤنث والجمع أرواح[1].
- **اصطلاحاً:**"إنها جسم لطيف شفاف، مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر فتكون سارية في جميع البدن"[2].
- **ثانياً: ماهية الروح:** اختلف الناس في حقيقة الروح وماهيتها إلى أقوال كثيرة منها على سبيل المثال:

١. الروح جسم من الأجسام.

٢. الروح عرض من الأعراض.

٣. وَقِيلَ: لَا نَدْرِي مَا الرُّوحُ، أَجَوْهَرٌ أَمْ عَرَضٌ ؟ [3].

والخلاصة: كما قال الحنفي"الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَأَدِلَّةُ الْعَقْلِ: أَنَّ النَّفْسَ جِسْمٌ مُخَالِفٌ بِالْمَاهِيَّةِ لِهَذَا الْجِسْمِ الْمَحْسُوسِ، وَهُوَ جِسْمٌ نُورَانِي عُلْوِي، خَفِيفٌ حَي مُتَحَرِّكٌ، يَنْفُذُ فِي جَوْهَرِ الْأَعْضَاءِ، وَيَسْرِي فِيهَا سَرَيَانَ الْمَاءِ فِي الْوَرْدِ، وَسَرَيَانَ الدُّهْنِ فِي الزَّيْتُونِ، وَالنَّارِ فِي الْفَحْمِ. فَمَا دَامَتْ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ صَالِحَةً لِقَبُولِ الْآثَارِ

---

[1] انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون (١/٣٨٠).

[2] تحفة المريد على جوهرة التوحيد: إبراهيم البيجوري (ص٣١٦) طبعة الأزهر الشريف ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

[3] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٨٦) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري(٢/٢٥٤) تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الْفَائِضَةَ عَلَيْهَا مِنْ هَذَا الْجِسْمِ اللَّطِيفِ، بَقِي ذَلِكَ الْجِسْمُ اللَّطِيفُ سَارِيًا فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، وَإِفَادَتِهَا هَذِهِ الْآثَارُ، مِنَ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ، وَإِذَا فَسَدَتْ هَذِهِ، بِسَبَبِ اسْتِيلَاءِ الْأَخْلَاطِ الْغَلِيظَةِ عَلَيْهَا، وَخَرَجَتْ عَنْ قَبُولِ تِلْكَ الْآثَارِ، فَارَقَ الرُّوحُ الْبَدَنَ، وَانْفَصَلَ إِلَى عَالَمِ الْأَرْوَاحِ"[1].

وهذا هو الصواب، وقد دل عليه الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة والعقل والفطرة، واستدل العلامة ابن القيم[2] بمائة دليل وخمسة عشر دليلاً، على صحة هذا القول ومن أدلة هذا القول:

أولاً: من القرآن

أ-: قال ﷻ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الزُّمر: ٤٢] في هذه الآية ثلاثة أدلة: توفيها، إمساكها، إرسالها، وهذه الصفات كلها من شأن الجسم.

ب- قال ﷻ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي(٣٠) ﴾. [الفجر]. في هذه الآية ثلاثة أدلة وصفها: بالرجوع والدخول والرضى وهذه الصفات كلها من شأن الجسم.

ثانياً: من السنة

أ : قول النبي ﷺ:"إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ"[3] في هذا الحديث دليلان: وصفه بأنه يقبض، وأن البصر يراه، وهذا شأن الجسم.

ب: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقَالَ:"إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ ﷻ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٨٧).

[2] انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ص٩٣) دار الكتب العلمية، بيروت.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له (ح١٥٢٨).

الْقِيَامَةِ"[1] في هذا الحديث دليلان: كونه طائرا و تعلقها بشجر الجنة وأكلها وهذا شأن الجسم.

ثالثاً: من الإجماع

قد علم بالضرورة أن النبي ﷺ جاء وأخبر هذه الأمة، بأن أجسادهم تنبت في القبور، فإذا نفخ في الصور، رجعت كل روح إلى جسدها، فدخلت فيه، فانشقت الأرض عنه، فخرج من قبره، ومن أدلة هذا الإجماع الأحاديث والآثار الدالة على عذاب القبر، ونعيمه إلى يوم البعث، فمعلوم أن الجسد يتلاشى، ويضمحل، وأن العذاب والنعيم مستمران إلى يوم القيامة.

المطلب الثالث: الروح في القرآن الكريم

القرآن أجاب عن التساؤل الذي ثار حول الروح، قال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٨٥)﴾. [الإسراء]. ففي هذه الآية ما يزجر الذين يخوضون في شأن الروح متكلفين لبيان ماهيتها ، عندما أطالوا المقال في هذا البحث، وكله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين أو دنيا، فالروح قد استأثر الله تعالى بعلمها، فلم يطلع أحداً على حقيقتها، ولم يأذن لأحد، بالسؤال عنها ولا البحث عن حقيقتها.

قال القرطبي: قوله ﷻ:"الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي": دليل على خلق الروح أيْ هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَشَأْنٌ كَبِيرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، مُبْهِمًا لَهُ وَتَارِكًا تَفْصِيلَهُ، لِيَعْرِفَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْقَطْعِ عَجْزَهُ عَنْ عِلْمِ حَقِيقَةِ نَفْسِهِ مَعَ الْعِلْمِ بِوُجُودِهَا. وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ هَكَذَا كَانَ بِعَجْزِهِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ الْحَقِّ أَوْلَى"[2].

سبب نزول هذه الآية: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها:

---

[1] أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين،(ح٢٠٤٦) دار التائر الإسلامية، ط١٩٨٦م، قال الألباني: صحيح.

[2] الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٣٢٤/١٠) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١.عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:"كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ لَا يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنْ الرُّوحِ فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ ثُمَّ قال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][١].

٢.وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ"قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ فَقَالُوا سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَسَأَلُوهُ فَنَزَلَتْ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][٢].

المطلب الرابع: الروح قديمة أو محدثة مخلوقة

اختلف العلماء في الروح هل هي قديمة، أو محدثة مخلوقة؟ إلى ثلاثة أقوال:

١- **أنها قديمة غير مخلوقة..** استدل القائلون بأنها قديمة غير مخلوقة بما يلي:

أ - أن الله تعالى أخبر أن الروح من أمر الله كقوله ﷻ: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وأمره غير مخلوق.

وأجيب: بأنه"لَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا بِالْأَمْرِ الطَّلَبَ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ الْمَأْمُورُ"[٣]، فيكون المراد أن الروح كلامه الذي يأمر به، فليس المراد به الأمر الكلامي حتى يكون قديما، وإنما المراد الأمر هنا المأمور، وفي القرآن منه كثير كقوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} أي مأموره الذي قدره وقضاه، وقال له: كن فيكون.

ب- أن الله أضاف الروح إليه كقوله ﷻ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [ص: ٧٢]كما

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال (ح٦٧٥٣) دار ابن كثير، اليمامة، ط١٩٨٧م.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن العباس،(ح٢٠٥٤) ، دار إحياء التراث العربي، ط١٩٩١م، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[٣] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٨٦).

أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده، فكما أن هذه الصفات ليست مخلوقة، فكذلك الروح.

وأجيب: أن "الْمُضَافَ إِلَى اللَّهِ تعالى مِنَ نَوْعَانِ:

صِفَاتٌ لَا تَقُومُ بِأَنْفُسِهَا، كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، فَهَذِهِ إِضَافَةُ صِفَةٍ إِلَى الْمَوْصُوفِ بِهَا، فَعِلْمُه وَكَلَامُه وَقُدْرَتُه وَحَيَاتُه صِفَاتٌ لَهُ، وَكَذَا وَجْهُه وَيَدُه سُبْحَانَهُ.

وَالثَّانِي: إِضَافَةُ أَعْيَانٍ مُنْفَصِلَةٍ عَنْهُ، كَالْبَيْتِ وَالنَّاقَةِ وَالْعَبْدِ وَالرَّسُولِ وَالرُّوحِ، فَهَذِهِ إِضَافَةُ مَخْلُوقٍ إِلَى خَالِقِه، لَكِنَّهَا إِضَافَةٌ تَقْتَضِي تَخْصِيصًا وَتَشْرِيفًا، يَتَمَيَّزُ بِهَا الْمُضَافُ عَنْ غَيْرِهِ"[1].

٢- أنها محدثة مخلوقة.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والأثر، وهو الذي ذهب إليه الصحابة والتابعون، استدل القائلون بأنها محدثة مخلوقة بالشرع والإجماع والعقل وهذا هو الصواب:

أولاً: بالشرع:

أ- قال ﷻ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمر: ٦٢]

وجه الدلالة: أن هذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما، فيدخل في عمومه الروح، ولا يدخل في ذلك صفات الله؛ فإنها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال بذاته وصفاته[2].

ب- قال ﷻ تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]

وجه الدلالة: قال الحنفي"، وَالْخِطَابُ لِزَكَرِيَّا، لِرُوحِه وَبَدَنِه، وَالرُّوحُ تُوصَفُ بِالْوَفَاةِ وَالْقَبْضِ وَالْإِمْسَاكِ وَالْإِرْسَالِ، وَهَذَا شَأْنُ الْمَخْلُوقِ الْمُحْدَثِ"[3] والبدن وحده لا يفهم، ولا يخاطب، ولا يعقل، وإنما الذي يفهم، ويعقل، ويخاطب هو الروح.

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٨٦).

[2] انظر: المصدر السابق (ص٣٨٥).

[3] المصدر السابق (ص٣٨٦).

ج- قال ﷻ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]

وجه الدلالة: أن"الْإِنْسَانُ اسْمٌ لِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ"[١].

د- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ"[٢].

وجه الدلالة: أن الجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

ثانياً: بالإجماع: قال الحنفي:"أَجْمَعَتِ الرُّسُلُ على أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ مَصْنُوعَةٌ مَرْبُوبَةٌ مُدَبَّرَةٌ. وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِهِمْ، أَنَّ الْعَالَمَ مُحْدَثٌ، وَمَضَى على هَذَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ"[٣].

ثالثاً: بالدليل العقلي: مقتبس من الشرع، وهو أن الروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث.

فالروح حادثة وليس قديمة بإجماع المسلمين وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والأثر قال شيخ الإسلام ابن تيمية"رُوحُ الْآدَمِيِّ مَخْلُوقَةٌ مُبْدَعَةٌ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ حَكَى إجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُ"مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيِّ"الْإِمَامِ الْمَشْهُورِ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْإِجْمَاعِ وَالِاخْتِلَافِ"[٤].

٣-" تَوَقَّفَ آخَرُونَ فَقَالُوا لَا نَقُولُ مَخْلُوقَةٌ وَلَا غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ "[٥]

---

[١] المصدر السابق (ص٣٨٥).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة (ح٤٧٧٣).

[٣] شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٨٥).

[٤] مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

[٥] لوامع الأنوار: السفاريني (٣٤/٢).

المطلب الخامس: الروح مخلوقة قبل البدن، أم بعده؟

أجمع المسلمون على أن الروح حادثة حدوثاً زمانياً كسائر أجزاء العالم إلا أنهم اختلفوا هل الروح حادثة مخلوقة قبل أم بعده إلى قولين؟

الأول: الأرواح مخلوقة قبل البدن: "وَذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ وَالْإِمَامُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ إِلَى تَقَدُّمِ خَلْقِ الْأَرْوَاحِ"[1] واستدل القائلون أنها مخلوقة قبل الأجساد بما يلي:

١- قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ..﴾ [الأعراف: ١١]

وجه الدلالة: "وَثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ وَالْمُهْلَةِ فَقَدْ تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ خَلْقَنَا مُقَدَّمٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ وَمِنَ الْمَعْلُومِ قَطْعًا أَنَّ أَبْدَانَنَا حَادِثَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ فَعُلِمَ أَنَّهَا الْأَرْوَاحُ"[2].

٢- قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]

وجه الدلالة: "هذا الاستنطاق والإشهاد، إنما كان لأرواحنا إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة"[3]، صورهم واستنطقهم، فتكلموا، فأخذ عليهم العهد والميثاق.

٣- جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ"[4]

وجه الدلالة: "قال ابن الجوزي في تبصرته: قال أبو سليمان الخطابي معنى هذا الحديث الإخبار عن كون الأرواح مخلوقة قبل الأجساد"[5]

---

[1] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (٤٥/٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٤٩/٨) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

[2] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (٤٠/٢).

[3] الروح، ابن القيم (ص١٥٦) لوامع الأنوار: السفاريني (٢ / ٤٠).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة (ح٧٥٩٤).

[5] روح المعاني: الألوسي (١٤٩/٨).

الثاني: الأجساد مخلوقة قبل الأرواح: قال السفاريني"وَالْحَاصِلُ أَنَّ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْقَيِّمِ تَبَعًا لِشَيْخِهِ وَجُمُوعٍ، أَنَّ خَلْقَ الْأَجْسَادِ مُقَدَّمٌ عَلَى خَلْقِ الْأَرْوَاحِ"[1]

استدل القائلون أن الأجساد مخلوقة قبل الأرواح بما يلي:

١ .قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ [الحجرات: ١٣].

وجه الدلالة:"وَهَذَا خطاب للْإِنْسَان الذى هُوَ روح وبدن فَدلَّ على أَن جملَته مخلوقة بعد خلق الْأَبَوَيْنِ"[2].

٢ .قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١]

وجه الدلالة: قال السفاريني"وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ خَلْقَ جُمْلَةِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ بَعْدَ خَلْقِ أَصْلِهِ"[3]، ويقول ابن القيم:"إِن خَلْقَ أَبِي الْبَشَرِ وَأَصْلِهِمْ كَانَ هَكَذَا فَإِنَّ اللَّهَ سبحانه أَرْسَلَ جِبْرِيلَ فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ خَمَّرَهَا حَتَّى صَارَتْ طِينًا ثُمَّ صَوَّرَهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ بَعْدَ أَنْ صَوَّرَهُ فَلَمَّا دَخَلَتِ الرُّوحُ فِيهِ صَارَ لَحْمًا وَدَمًا حَيًّا [4].

٣. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ:"إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ"[5]

وجه الدلالة: أن الجسد خلق أولاً، ثم جاء نفخ الروح بعد تخلق الجسد بحسب ترتيب الخلق، قال السفاريني"فَالْمَلَكُ وَحْدَهُ يُرْسَلُ إِلَيْهِ فَيَنْفُخُ فِيهِ فَإِذَا نَفَخَ فِيهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ حُدُوثِ الرُّوحِ فِيهِ وَلَمْ يَقُلْ يُرْسِلُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ بِالرُّوحِ فَيُدْخِلُهَا فِي بَدَنِهِ، وَإِنَّمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَأَحْدَثَ فِيهِ الرُّوحَ بِنَفْخَتِهِ فِيهِ لَا أَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ إِلَيْهِ الرُّوحَ الَّتِي كَانَتْ

---

[1] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٤٥).

[2] انظر: الروح، ابن القيم (ص١٦٠) لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٤٣).

[3] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٤٣).

[4] الروح: ابن القيم (ص١٧٢).

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (ح٢٩٦٩).

مَوْجُودَةً قَبْلَ ذَلِكَ بِالزَّمَنِ الطَّوِيلِ مَعَ الْمَلَكِ فَفَرْقٌ بَيْنَ أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَبَيْنَ أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهِ رُوحٌ مَخْلُوقَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا مَعَ الْمَلَكِ"[1]

والصواب والراجح: هو القول الثاني، وهو أن الأجساد خُلقت أولاً، ثم الأرواح، ودليل هذا أن الله خلق آدم عليه السلام من تراب، ثم نفخ فيه الروح. قال ابن القيم:"وَالْقُرْآن والْحَدِيث والْآثَار تدل على أنه سُبْحَانَهُ نفخ فِيهِ من روحه بعد خلق جسده"[2].

المطلب السادس: الموت

الْمَوْتُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ، خِلَافًا لِلْفَلَاسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] وَالْعَدَمُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا"[3].

فالموت في معناه الحقيقي انفصال الروح عن الجسد، فإذا انفصلت الروح عن الجسد انفصالا كلياً كان هذا هو الموت، الذي يعني الانتقال من دار إلى دار، ومن مرحلة إلى مرحلة، وتسمى بالقيامة الصغرى.

خروج الروح من البدن:

إن مفارقة الروح للجسد لا نستطيع إدراكها بحواسنا إلا بعلامة تدل عليها كشخوص البصر، وقد ذكر الفقهاء قديماً بعض هذه العلامات، مثل انقطاع النفس واسترخاء القدمين وميل الأنف.

فالروح لا تختص بشيء من الجسد، يعني ليس لها موضع، لا نقول إنها في الإصبع، ولا في القلب، ولا في الرجل، ولا في الرأس، ولا في مكان آخر، تسري في الجسد كله كما تسري النار في الهشيم، فإذا قبضت تخرج من الجسد كله، وجميع الجسد يعاني خروج الروح.

---

[1] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/ ٤٤).

[2] الروح: ابن القيم (ص١٧٣).

[3] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٧٩).

ولكن جهة خروج الروح تكون من قبل الرأس لا من غيره، أخبرنا النبي ﷺ، كما جاء في الحديث الصحيح لما دخل على أبي سلمة ﷺ وقد شق بصره فأغمضه ﷺ ثم قال:"إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ"[1] فيكون خروج الروح من الجهة العلوية، والبصر يتبع الروح، ولذلك تجد الميت شاخصاً ببصره إلى الأعلى.. إلى جهة أعلى الرأس مكان خروج الروح[2].

المطلب السابع: هل تموت الروح؟ أم الموت للبدن وحده؟

اختلف العلماء في موت الروح هل تموت الروح؟ أم الموت للبدن وحده؟

أولاً: قالت طائفة: تموت الروح، وتذوق الموت:

واستدلوا بما يلي:

١- الدليل الشرعي:

أ- قال ﷻ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(٢٧) ﴾. [الرحمن].

وقوله ﷻ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨]

وجه الدلالة: دلت الآيتان على أنه لا يبقى إلا الله وحده، وهذا يدل على أن الروح تموت.

ب- قال ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧]

وجه الدلالة: أن الروح تَذُوقُ الْمَوْتَ؛ لِأَنَّهَا نَفْسٌ، وَكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ[3].

٢- الدليل العقلي: قالوا إذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت، كما قال الحنفي"وَإِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَمُوتُ، فَالنُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ أَوْلَى بِالْمَوْتِ"[4]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له (ح١٥٢٨).

[2] انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٢٢٣).

[3] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٠).

[4] انظر: المصدر السابق (ص٣٩٠).

وقال السفاريني:"قَالُوا: وَإِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَمُوتُ فَالنُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ أَوْلَى وَالدَّلِيلُ عَلَى عَدَمِهَا عَدَمُ قِدَمِهَا وَلِهَذَا قَالَ الصَّوَابُ عَدَمُ عَدَمِهَا (مَعَ كَوْنِهَا) أَيِ الْأَرْوَاحِ (مَخْلُوقَةً) لِلَّهِ تَعَالَى وَمُحْدَثَةً وَمَرْبُوبَةً أَوْجَدَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ"[1]

ثانياً: وقالت طائفة: إن الأرواح لا تموت، وإنما تموت الأبدان:

واستدلوا بما يلي:

١- أن الأرواح خُلقت للبقاء، فلا تموت.

قال ابن عثيمين في شرحه للعقيدة السفارينية"(وأن أرواح الورى لم تعدم) يعني نؤمن بأن أرواح الورى أي الخلق لم تعدم، و (لم) هنا بمعنى لن، يعني لن تعدم في المستقبل؛ لأن الله تعالى خلقها للبقاء لا للفناء، كما خلق الجنة للبقاء لا للفناء، وخلق النار للبقاء لا للفناء، وخلق ما في الجنة من الحور والولدان للبقاء لا للفناء، كذلك الأرواح خلقت للبقاء لا للفناء، فهي لا تعدم"[2].

٢- بحديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقَالَ"إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عز وجل إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[3].

فالحديث دال على نعيم الروح وعذابها، بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح، لانقطع عنها النعيم والعذاب.

الراجح في المسألة: قال شرح العقيدة الطحاوية"وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: مَوْتُ النُّفُوسِ هُوَ مُفَارَقَتُهَا لِأَجْسَادِهَا وَخُرُوجُهَا مِنْهَا، فَإِنْ أُرِيدَ بِمَوْتِهَا هَذَا الْقَدْرُ، فَهِيَ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّهَا تُعْدَمُ وَتَفْنَى بِالْكُلِّيَّةِ، فَهِيَ لَا تَمُوتُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ خَلْقِهَا فِي نَعِيمٍ أَوْ فِي عَذَابٍ"[4].

---

(١) لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٣٣).

(٢) شرح العقيدة السفارينية، الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين،(ح٢٠٤٦) قال الألباني: صحيح.

(٤) شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٩٠).

المطلب الثامن: مستقر الأرواح بعد الموت

اختلف العلماء في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة اختلافاً كثيراً، هل هي في السماء أم في الأرض، وهل هي في الجنة أم لا، ولكل واحد حجته[1].

والخلاصة: إن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم التفاوت، فمنها:

١- أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ في ليلة المعراج[2].

٢- أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كم هي أرواح بعض الشهداء لا كلهم[3]، قالَﷺ:"إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ"[4] فالطير تأكل من ثمر الجنة، وأرواح الشهداء في أجوافها.

٣- ومن الأرواح من يكون محبوسا على باب الجنة لدين عليه كما قال النبي ﷺ"إِنَّ صَاحِبَكُمْ مُحْتَبَسٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فِي دَيْنٍ عَلَيْهِ"[5]

٤- وَمِنْهُم: من يكون مَحْبُوسًا فِي قَبره كَحَدِيث صَاحب الشملة الَّتِي غلهَا ثمَّ استشهد فَقَالَ النَّاس هَنِيئًا لَهُ الْجنَّة فَقَالَ النَّبِي ﷺ:"بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا"[6] [7].

٥- وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مَحْبُوسًا فِي تَنُّورِ الزُّنَاة وَالزَّوَانِي [8] تَنُّورِ من نار يأتيهم لهبها من تحتهم، فإذا أتاهم اللهب عجوا وارتفعوا، ثم يعودون إلى مواضعهم، فهم هكذا إلى يوم

---

[1] انظر: المصدر السابق (ص٣٩٨) الروح: ابن القيم (ص١١٥).

[2] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٩) الروح: ابن القيم (ص١١٥).

[3] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٩).

[4] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء (ح١٥٦٥) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الألباني: صحيح. سنن الترمذي: حمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٣م.

[5] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند البصريين، من حديث سمرة بن جندب، (ح١٩٢٦٥) قَالَ الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب خيبر (ح٣٩٠٨).

[7] انظر: الروح: ابن القيم (ص١١٥).

[8] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤٠٠) لوامع الأنوار: السفاريني (٥٥/٢).الروح: ابن القيم (ص١١٦).

القيامة كما رأى النبي ﷺ في منامه، ورؤيا الأنبياء حق لاشك فيها فقال عن حالهم: إن أرواح الزناة والزواني تحبس في تنور من نار يعذبون إلى أن تقوم الساعة، كما جاء في حديث سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ"أَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي"(١).

إذاً الأرواح لها أحوال مختلفة في أماكن مختلفة، ولكن يبقى لها اتصال بالبدن، ولو كانت تطير وتسرح في أنهار الجنة، فإنه لا يزال لها تعلق بالبدن في الأسفل في الأرض لتنعم أيضاً، ولا تقل: كيف يكون الشيء في مكانين في وقت واحد؟ فالجواب: هذا في الدنيا، أما عالم الغيب فهو أمر مختلف تماماً، نعم تكون في مكانين في وقت واحد، وتكون متصلة بالجسد وهي في أعلى عليين.

المطلب التاسع: تلاقى الأرواح وتزاورها

أولاً: هل تتلاقى أرواح الموتى، وتتزاور، وتتذاكر أم لا ؟

الأرواح قسمان(٢):

١- **أرواح معذبة:** فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.

٢- **أرواح منعمة:** والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى، وتتزاور، وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي، هو على مثل عملها، فأرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين معاً، والدليل على تزاورها، وتلاقيها قاله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] وهذه المعية ثابتة في الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار الجزاء، والمرء مع أحب في هذه الأدوار الثلاثة، قال ﷻ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي(٣٠) ﴾ [الفجر] أي ادخلي في جملتهم وكوني معهم. وهذا يقال للروح عند الموت.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (ح٦٥٢٥).

(٢) انظر: الروح: ابن القيم (ص١٧) لوامع الأنوار: السفاريني (٥٦/٢).

قال السفاريني:"وَقَدْ جَاءَتْ سُنَّةٌ صَحِيحَةٌ بِتَلَاقِي الْأَرْوَاحِ وَتَعَارُفِهَا فَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا قَالَ"لَمَّا مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ وَجَدَتْ عَلَيْهِ أُمُّ بِشْرٍ وَجْدًا شَدِيدًا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَزَالُ الْهَالِكُ يَهْلَكُ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَهَلْ يَتَعَارَفُ الْمَوْتَى فَأُرْسِلُ إِلَى بِشْرٍ بِالسَّلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا أُمَّ بِشْرٍ إِنَّهُمْ لَيَتَعَارَفُونَ كَمَا تَتَعَارَفُ الطَّيْرُ فِي رُءُوسِ الشَّجَرِ"فَكَانَ لَا يَهْلَكُ هَالِكٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ إِلَّا جَاءَتْهُ أُمُّ بِشْرٍ فَقَالَتْ يَا فُلَانُ عَلَيْكَ السَّلَامُ فَيَقُولُ وَعَلَيْكِ فَتَقُولُ اقْرَأْ عَلَى بِشْرٍ السَّلَامَ"[1]...وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ اسْتَقْبَلَهُ وَلَدُهُ كَمَا يُسْتَقْبَلُ الْغَائِبُ"[2].

وقد أخبر الله تعالى عن الشهداء بأنهم قال ﷻ: ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]وأنهم يكونون كما قال ﷻ: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[آل عمران: ١٧٠] وأنهم كما قال ﷻ: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧١]

وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه:

١. إنهم (أَحْيَاءٌ) والأحياء يتلاقون.

٢. إنهم إنما يستبشرون بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم.

٣. إن لفظ (يستبشرون) يفيد أنهم يبشر بعضهم بعضاً.

ثانياً: هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا [3]؟

وأما تلاقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات، فشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن تحصر ، والحس والواقع شاهد بذلك، وتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء، وقد فسر بعض أهل العلم قال ﷻ: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي

---

[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات(ح١٤) (ص١٧). أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٥٧).

[3] انظر: الروح: ابن القيم (ص٢٠) لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٦٣).

مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] بتلاقي أرواح الأحياء مع أرواح الأموات.

قال الطبري:"أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ تَلْتَقِي فِي الْمَنَامِ، فَيَتَعَارَفُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْهَا، فَإِذَا أَرَادَ جَمِيعُهَا الرُّجُوعَ إِلَى أَجْسَادِهَا أَمْسَكَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ عِنْدَهُ وَحَبَسَهَا، وَأَرْسَلَ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى أَجْسَادِهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَذَلِكَ إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّةِ حَيَاتِهَا"[1] وعن سعيد بن جبير في تفسير قوله ﷻ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية قال وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الْآيَةَ، قَالَ:"يَجْمَعُ بَيْنَ أَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ، وَأَرْوَاحِ الْأَمْوَاتِ، فَيَتَعَارَفُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَعَارَفَ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجْسَادِهَا"[2]

وعلل بعض أهل العلم الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه بأن الحي يرى الميت في منامه، ويتحدث معه وربما أخبره بدَيْن عليه، ويخاطبه ويكلمه، وقد فسر العلماء ذلك، بأنه نتيجة تلاقي روحه لما خرجت وهو نائم، وجالت وتجولت مع روح ذلك الميت[3].

ثالثاً: هل تعرف الأموات بزيارة الأحياء وسلامهم عليهم أم لا ؟

الروح بعد مفارقتها للجسد تبقي مدركة تحس بلذة النعيم وألم الجحيم وتسمع من يزورها، وتعرف وترد عليه السلام، لذلك شرع النبي ﷺ لأمته إذا مروا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول المسلّم كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺأَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ:"السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ"[4] ويعلق ابن القيم بقوله"وَهَذَا خطاب لمن يسمع وَيعْقل وَلَوْلَا ذَلِك لَكَانَ هَذَا الْخطاب بِمَنْزِلَة خطاب الْمَعْدُوم والجماد، وَالسَّلَف مجمعون على هَذَا وَقد تَوَاتَرَتْ الْآثَار عَنْهُم بِأَن الْمَيِّت يعرف زِيَارَةَ الْحَيِّ لَهُ ويستبشر بِهِ"[5]، وقد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس

---

[1] جامع البيان: الطبري(٢٠/٢١٥).

[2] المصدر السابق (٢٠/٢١٥).

[3] انظر: الروح: ابن القيم (ص٢١).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب إطالة الغرة (ح٣٦٧).

[5] الروح: ابن القيم (ص٥).

بالمشيعين لجنازته بعد دفنه"عَنْ أَنَسٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ...الحديث"[1].

قال ابن عبد البر: صح عن النبي ﷺ أنه قال:"مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ"[2]فهذا نص في أنه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وَاسْتَفَاضَتْ الْآثَارُ بِمَعْرِفَةِ الْمَيِّتِ أَهْلَهُ وَبِأَحْوَالِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَنَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ وَجَاءَتْ الْآثَارُ بِأَنَّهُ يَرَى أَيْضًا وَبِأَنَّهُ يَدْرِي بِمَا يُفْعَلُ عِنْدَهُ فَيُسَرُّ بِمَا كَانَ حَسَنًا وَيَتَأَلَّمُ بِمَا كَانَ قَبِيحًا وَتَجْتَمِعُ أَرْوَاحُ الْمَوْتَى فَيَنْزِلُ الْأَعْلَى إلَى الْأَدْنَى لَا الْعَكْسُ"[3]، وروي أن عائشة رضي الله عنها بعد أن دفنت عمرﷺ كانت تستتر وتقول:"إِنَّمَا كَانَ أَبِي وَزَوْجِي فَأَمَّا عُمَرُ فَأَجْنَبِيٌّ"[4] تعني أنه يراها.

المطلب العاشر: هل النفس، و الروح شيئاً واحداً، أم شيئان متغايران؟

اختلف الناس في مسمى النفس والروح هل هما مغايران، أو مسماهما واحد؟

الفريق الأول: الروح والنفس شيء واحد وهذا قول الجمهور[5]

واستدلوا بما يلي:

أ- قول الله ﷻ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق نعالهم (ح١٢٥٢).

[2] أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (١٨٥/١) تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

[3] الفتاوى الكبرى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٣٦٢/٥) تحقيق: محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

[4] المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،(٩٥/١) جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

[5] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (٢٩/٢).

ب- وقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: ٩٣]فالأنفس في الآيتين المقصود بها الأرواح.

الفريق الثاني: إنهما متغايران[١].

التحقيق والترجيح: قال الحنفي:"فَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ النَّفْسَ تُطْلَقُ عَلَى أُمُورٍ، وَكَذَلِكَ الرُّوحُ، فَيَتَّحِدُ مَدْلُولُهُمَا تَارَةً، وَيَخْتَلِفُ تَارَةً. فَالنَّفْسُ تُطْلَقُ عَلَى الرُّوحِ، وَلَكِنْ غَالِبُ مَا تُسَمَّى نَفْسًا إِذَا كَانَتْ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ، وَأَمَّا إِذَا أُخِذَتْ مُجَرَّدَةً فَتَسْمِيَةُ الرُّوحِ أَغْلَبُ عَلَيْهَا... وَأَمَّا الرُّوحُ فَلَا تُطْلَقُ عَلَى الْبَدَنِ، لَا بِانْفِرَادِهِ، وَلَا مَعَ النَّفْسِ"[٢]"فَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ فَرْقٌ بِالصِّفَاتِ لَا فَرْقٌ بِالذَّاتِ"[٣].

١- إطلاقات النَّفْسُ في القرآن:

تكرر لفظ النفس في القرآن الكريم ما بين المعرف وغير المعرف والمفرد والجمع وقد وردت بمعانٍ مختلفة منها:

أولا: تُطْلَقُ عَلَى الدَّمِ، فيقال: سالت نفسه أي دمه، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ:"وَإِنَّمَا سمي الدَّم نفسا لِأَن خُرُوجه الَّذِي يكون مَعَه الْمَوْت يلازم خُرُوج النَّفس وَإِن الْحَيَاة لَا تتمّ إِلَّا بِهِ كَمَا لَا تتمّ إِلَّا بِالنَّفسِ"[٤].

ثانيا: تُطْلَقُ النفس على الروح، فيقال: خرجت نفسه، وفارقت نفسه كما يقال: خرجت روحه وفارقت روحه. قال ﷻ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزُّمر: ٤٢]، ويقولﷻ: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: ٩٣] فالأنفس في الآيتين المقصود بها الأرواح.

---

[١] انظر: المصدر السابق (٢/٢٩).

[٢] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٨٨).

[٣] الروح: ابن القيم (ص٢١٨) انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (٢ /٣١).

[٤] الروح: ابن القيم (ص٢١٨) انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (٢ /٣١).

ثالثاً: تُطْلَقُ النفس على العين يقال: أصابت فلانا نفس، أي عين.

رابعاً: تُطْلَقُ النفس في القرآن على الذات بجملتها وكليتها كقوله ﷻ: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] [1].

٢- إطلاقات الروح في القرآن [2]:

لفظ الروح تكرر في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، ولكن بمعانٍ متنوعة:

أولا: تطلق الروح على الجسم النوراني العلوي الحي الخفيف المتحرك: الذي يحيا به الإنسان، قال ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٨٥)﴾. [الإسراء].

ثانيا: تطلق الروح على الوحي: الذي يوحيه الله إلى أنبيائه ورسله كما في قوله ﷻ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ(١٥)﴾. [غافر] قال ابن القيم:"وسمى ذَلِك روحا لما يحصل بِهِ من الْحَيَاة النافعة فَإِن الْحَيَاة بِدُونِهِ لَا تَنْفَع صَاحبهَا الْبَتَّةَ بل حَيَاة الْحَيَوَان البهيم خير مِنْهَا وَأسلم عَاقِبَة"[3]

ثالثاً: تطلق الروح على القوة والثبات والتأييد والتمكين والنصر، الذي يؤيد الله بها عباده المؤمنين كما في قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ.(٢٢)﴾. [المجادلة]. أي: وأيديهم بقوة ونصر منه.

رابعاً: تطلق الروح على جبريل: كما في قوله ﷻ : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(١٩٣)﴾. [الشعراء]. أي نزل بهذا القرآن جبريل ﷺ على قلبك لتكون من المنذرين.

---

[1] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٨٩) لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٣٠).

[2] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٨٩) مصطلحات في كتب العقائد: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد (ص١٦٣) دار بن خزيمة، الطبعة الاولى.

[3] الروح: ابن القيم (ص٢١٨).

خامسا: **تطلق الروح على القرآن**: كما في قوله ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ..(٥٢)﴾. [الشورى]. أي: أوحينا إليك قرآناً كريما صادراً عن ذاتنا، وليس عن غيرنا.

سادسا: **تطلق الروح على عيسى** ﷺ: كقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وهناك معانٍ أخرى للروح أعرضنا عنها خشية الإطالة.

المطلب الحادي عشر: صفات النفس الإنسانية[1]

هل النفس الأمارة و اللوامة والمطمئنة نفس واحدة أم هي ثلاثة أنفس، وقع خلاف كثير بين الناس حتى قيل أن لابن آدم ثلاثة أنفس.

"**وَالتَّحْقِيقُ**: أَنَّهَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، لَهَا صِفَاتٌ، فَهِيَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، فَإِذَا عَارَضَهَا الْإِيمَانُ صَارَتْ لَوَّامَةً، تَفْعَلُ الذَّنْبَ ثُمَّ تَلُومُ صَاحِبَهَا، وَتَلُومُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، فَإِذَا قَوِيَ الْإِيمَانُ صَارَتْ مُطْمَئِنَّةً"[2]، إذن هي ليست أقساماً للنفس، وإنما صفات لنفس واحدة، وتسمى باعتبار كل صفة باسم فهي:

أولا: **النفس الأمارة بالسوء**[3]: قال ﷻ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] قال ابن تيمية"النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ الَّتِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا اتِّبَاعُ هَوَاهَا بِفِعْلِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي"[4] أي هي التي تدعوا صاحبها وتدفعه إلى ارتكاب سيئات، وانتهاك المحرمات وتسلط الغرائز أي إن تركت الاعتراض، وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٩/٢٩٤) القيامة الصغرى: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (ص ١٠٠) دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

(٢) شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٠).

(٣) انظر: الروح: ابن القيم (ص٢٢٦).

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٩/٢٩٤).

ثانيا: النفس اللوامة: قال ﷻ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] وهي التي تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه وعلى عدم الإكثار من فعل الخير، وعدم الإقلاع عن الشر، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها وتلومه بين الفعل والترك فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة ولهذا قال النبي ﷺ:"مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ"[١]، وقوله ﷺ:"لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..."[٢].

قال ابن تيمية:"النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ"وَهِيَ الَّتِي تُذْنِبُ وَتَتُوبُ فَعَنْهَا خَيْرٌ وَشَرٌّ لَكِنْ إذَا فَعَلَتْ الشَّرَّ تَابَتْ وَأَنَابَتْ فَتُسَمَّى لَوَّامَةً لِأَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الذُّنُوبِ وَلِأَنَّهَا تَتَلَوَّمُ أَيْ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ"[٣]

وقال ابن القيم:"قَالَت طَائِفَة هِيَ الَّتِي لَا تثبت على حَال وَاحِدَة اخذوا اللَّفْظَة من التَّلَوُّم وَهُوَ التَّرَدُّد فَهِيَ كَثِيرَة التقلب والتلون وَهِي من أعظم آيَات الله فَإِنَّهَا مَخْلُوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون فِي السَّاعَة الْوَاحِدَة فضلا عَن الْيَوْم والشهر وَالْعَام والعمر ألوانا متلونة فتذكر وتغفل وَتقبل وَتعرض وتلطف وَتكشف وتنيب وتجفو وتحب وَتبْغض وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتطع وتتقى وتفجر إِلَى أَضْعَاف أَضْعَاف ذَلِك من حالاتها وتلونها فَهِيَ تتلون كل وَقت ألوانا كَثِيرَة"[٤]

فإذا تعلمت النَّفْسُ وتهذبت بالدين، ووصلت إلي هذا الطور من اليقظة والمراقبة والمحاسبة واستراحت للخير وضاقت بالشر، كانت في هذا الطور نفساً لوامة.

ثالثاَ: النفس المطمئنة: قال ﷻ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي(٣٠) ﴾. [الفجر]. قال ابن تيمية:"النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ"وَهِيَ الَّتِي تُحِبُّ الْخَيْرَ وَالْحَسَنَاتِ وَتُرِيدُهُ وَتُبْغِضُ الشَّرَّ وَالسَّيِّئَاتِ وَتَكْرَهُ ذَلِكَ وَقَدْ

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (ح٢٠٩١) قال الألباني: صحيح.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب النهي بغير إذن صاحبه (ح٢٢٩٥).

[٣] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٩/٢٩٤).

[٤] الروح: ابن القيم (ص٢٢٥).

صَارَ ذَلِكَ لَهَا خُلُقًا وَعَادَةً وَمَلَكَةً"[1] وهي التي وصلت إلى أسمى درجات العبادة وطاعة الله رب العالمين، فإذا واصل الإنسان جهاد نفسه، فتخلص من الهوى، وكبت شهوته وارتفع عن النقائص وسمت نفسه إلى الحق، والخير والجمال والكمال، بلغ منزلة الرشد الذي يريده الله للإنسان في هذه الحياة، ليكون أهلاً لجواره في الدار الآخرة. قال ﷻ: ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧] ، وحين يرتفع الإنسان إلى هذا المستوى تكون نفسه قد اطمأنت بالحق والخير، وما لم يصل الإنسان إلى هذا المستوى يكون قد عرض نفسه لخسارة لا يمكن تداركها قال ﷻ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠) ﴾. [الشمس].

---

[1] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٩/٢٩٤).

المبحث الثالث

الإيمان باليوم الآخر

المطلب الأول: مكانة الدنيا من الآخرة

على المرء أن يدرك الغاية من الحياة قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وعليه كذلك أن يدرك قيمة الدنيا من الآخرة قال ﷻ: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، فالدنيا فانية زائلة، كما قال ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(٢٧)﴾. [الرّحمن]. فكل حي فيها يموت، وكل قوي يضعف، وكل جديد يبلى، وكل عامر يخرب، قال ﷻ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣].

أولاً: الآيات الواردة في القرآن الكريم تحذر من الاغترار بالدنيا:

حذر الله من الاغترار بالدنيا، وضرب لها الأمثال الكثيرة، و أخبر عن مصير من قصر همه عليها، ورضي بها، وأرادها وحدها، وأعرض عن الآخرة.

١. قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ(٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٨)﴾. [يونس].

٢. قال ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ(١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٦)﴾. [هود]..

٣. ووصفها بأنها لهو ولعب وزينة، فقال ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

ثانياً: الأحاديث الواردة في ذم الدنيا كثيرة، نذكر منها:

١- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"[١]

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"[٢]

فمن نظر إليها بعين البصيرة أيقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء، وعيشتها نكد، وصفوها كدر، ومن أحبها أذلّته، ومن تبعها أعمته، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع الغرور.

ولا يقصد بذم الدنيا تركها بالكلية، والتجافي عنها تماماً، وإنما القصد من ذلك عدم الاغترار بها، ومن أراد الآخرة زهد في زينة الحياة الدنيا، فالمؤمن يتخذها طريقاً للجنة، ومزرعة للآخرة، وتزوداً للتقوى.

لذلك فإن ذم الدنيا لا ينصرف إلى ما خلق الله فيها من المنافع والمآكل والمشارب والأموال، وإنما ينصرف الذم والوعيد إلى تصرفات بني آدم فيها، فمن افتخر بها وأعجب بها وشغلته عن طاعة الله وأنسته الآخرة، فهذا هو المذموم المعاقب.

أما من يأخذ الدنيا من الوجوه المباحة ويستعين بها على طاعة الله، ولا تحمله على الكبر، فإنه مثاب مأجور، قال ﷻ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] فخذ من نفسك لنفسك، وقس يومك بأمسك، وكف عن سيئاتك، وزد في حسناتك، فإنك راحل لا محالة، وسائر في الطريق الذي سار فيه الآباء والأجداد والأصحاب والأحباب، قال ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا (ح٢٢٤٢) ، قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وقال الألباني: صحيح.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب باب (ح٥٢٥٦).

المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر حكمه ومعناه ومفهومه

أولاً: حكم الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر الركن الخامس من أركان الإيمان، وجزء مهم من أجزاء العقيدة، يقول هراس:"الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَحَدُ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْإِيمَانُ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ إِيمَانًا تَامًّا كَامِلًا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا إِذَا آمَنَ الْعَبْدُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي تَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ"[1]

الإيمان باليوم الآخر يلي الإيمان بالله تعالى مباشرة لأن الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود، وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته التي يتطلع إليها.

فإذا فقد الإنسان هذه المعرفة، فإن حياته سوف تكون بلا هدف ولا غاية، وحينها يفقد الإنسان إنسانيته ومكانته الروحانية، ويعيش كما تعيش الأنعام التي تسيرها غرائزها وأهواؤها. [2]

فالإيمان باليوم الآخر واجب على كل مسلم، لأن الإيمان باليوم الآخر من أركان العقيدة الإسلامية التي اهتم الإسلام بتقريرها في كل سورة، وأكد عليها في كل مناسبة، قال ﷻ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] هو إيمانٌ بالبعث والحساب والثواب والعقاب، وكل ما يحصل في ذلك اليوم من أمور. وقد دل على الإيمان باليوم الآخر القرآن والسنة والعقل والفطرة السليمة، قال: ﷻ ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]

---

[1] شرح العقيدة الواسطية: محمد بن خليل حسن هرّاس(ص٢٠٢) ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

[2] انظر: العقائد الإسلامية: سيد سابق،(ص٢٥٩) دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

ثانياً: معنى الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر يتضمن التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به عن البعث بعد الموت وأن هناك يوماً يحاسب فيه الناس على أعمالهم، هذا اليوم الذي توفى فيه كل نفس ما كسبت، وتصديق النبي ﷺ فيما أخبر به مما يكون من نزع الروح عند الموت ومن أحوال البرزخ، وسؤال الملكين، وفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وعلامات الساعة الصغرى والكبرى، والنفخ في الصور، والقيام من القُبور، ثم الوُقوف في المحشَر، ثم تطايُر الصحُف فالمؤمن يأخُذ كتابه بيمينِه وغير المؤمن يأخذ كتابه بشمالِه، ثم الحساب والجزاء، ثم الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات، والحوض والشفاعة والصراط، والجنة وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق، التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد وتنغيص، والنار وما أعد لأعدائه من دار العقاب التي لا يخالطها سرور، ولا رخاء، ولا راحة.

يقول ابن باز:"الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان، والحساب، والجزاء، ونشر الصحف بين الناس، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويدخل في ذلك أيضا الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ"[١].

ثالثاً: مفهوم الإيمان باليوم الآخر

مفهوم الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

١ – الإيمان بالبعث والحشر: وهو إحياء الموتى من قبورهم حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، وإعادة الأرواح إلى أجسادهم، فيقوم الناس لرب العالمين، ثم يحشرون ويجمعون في مكان واحد، حفاة، عراة، غرلا.

---

[١] العقيدة الصحيحة وما يضادها: عبد العزيز بن عبد الله بن باز(ص٩) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السابعة، العدد الثالث، محرم ١٣٩٥ هـ- يناير ١٩٧٥م.

٢ – الإيمان بالحساب والجزاء والميزان: فيحاسب الله الخلائق على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فمن كان من أهل التوحيد مخلصاً ومطيعاً لله ورسوله فإن حسابه يسير، ومن كان من أهل الشرك والعصيان فحسابه عسير، وتوزن الأعمال في ميزان حقيقي، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الكفة الأخرى، فمن رجحت حسناته بسيئاته فهو من أهل الجنة، ومن رجحت سيئاته بحسناته فهو من أهل النار.

٣ – الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق فالجنة هي دار النعيم المقيم، التي أعدها الله للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، فيها جميع أنواع النعيم الدائم، مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من المأكولات والمشروبات والملبوسات وجميع أنواع المحبوبات، وأما النار فهي دار العذاب المقيم، أعدها الله للكافرين الظالمين الذين كفروا بالله وعَصَوا رُسله، فيها من أنواع العذاب والآلام والنكال ما لا يخطر على البال[١].

المطلب الثالث: اهتمام القرآن بالإيمان باليوم الآخر وحكمته

أولاً: مظاهر اهتمام القرآن باليوم الآخر[٢]

اقتضت حكمة الله ألا تنتهي الحياة بلا غاية، فيموت الجاني دون عقاب، والمحسن بلا ثواب، فإذا حرمنا العدل في هذا العالم المضطرب بالفساد، فلا بد من وجوده في عالم يتجلى فيه العدل والحكمة، وهو عالم الحساب.

---

[١] انظر: شرح ثلاثة الأصول: محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ص١٠٠) دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، نبذة في العقيدة الإسلامية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص٥٢) دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م، التوحيد للناشئة والمبتدئين: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف(ص٢٧) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

[٢] انظر: التوحيد للناشئة والمبتدئين: آل عبد اللطيف(ص٨١).

واهتمام القرآن الكريم بالإيمان بهذا اليوم يظهر لنا من خلال الأمور التالية:

١-**ربط الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله ﷻ:** لأن مقتضى الإيمان بالله هو تصديقه في جميع ما أخبرنا، وقد أخبرنا باليوم الآخر، وما أعد لهم في هذا اليوم من نعيم للمؤمنين وعذاب للكافرين، قال ﷻ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].وقال ﷻ: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢] وقال ﷻ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] وقال ﷻ: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا اليَوْمَ الآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦] دلت هذه الآيات العناية بهذين الركنين، وأنهما رأس كل عقيدة وأساس كل إيمان فهما مدار استقامة المرء في هذه الحياة الدنيا[١].

٢-**إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر:** فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، وما سيكون فيه من أحداث، وتقريبه إلى الأذهان بالحجة والبرهان، ويضرب الأمثال بأساليب كثيرة ومتنوعة، تارة بتفصيلات دقيقة وتارة بإيجاز[٢].

٣-**إطلاق القرآن أسماء كثيرة على اليوم الآخر:** التي يدل كل اسم منها على ما سيقع فيه من أهوال وأحداث، فمن أسمائه: (**يوم البعث**) لأن فيه البعث إلى الحياة الجسدية بعد الموت، (**يوم الخروج**) لأن فيه خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى، (**يوم القيامة**) لأن فيه قيام الناس إلى حساب الله (**يوم الدين**) لأن فيه إدانة الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم، (**يوم الفصل**) لأن فيه الفصل بين الناس بالعدل، (**يوم**

---

[١] انظر: الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه: الدكتور محمد نعيم ياسين(ص٧٠) مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

[٢] انظر: المصدر السابق(ص٧٠).

الحشر) لأن فيه جمع الخلائق وحشرهم في موقف الحساب، (**يوم الحساب**) لأن فيه محاسبة الناس على أعمالهم في الدنيا، (**يوم الوعيد**) لأن فيه تحقيق وعيد الله للكافرين، (**يوم الحسرة**) لأن فيه حسرة الكافرين والعصاة على ما فرطوا في جنب الله، (**يوم الخلود**) لأن الحياة في هذا اليوم للمكلفين في الدنيا حياة خالدة أبدية، (**دار القرار**) لأن فيها الاستقرار الدائم بلا فناء (**دار الخلد**) لأن الإقامة فيها إقامة أبدية خالدة (الواقعة والحاقة والقارعة والغاشية والطامة والآزفة....) إلى غير ذلك من الأسماء. [1]

ثانياً: حكمة اهتمام القرآن باليوم الآخر [2]:

إن اهتمام القرآن باليوم الآخر لعدة أسباب من أهمها:

١- لما له من أثر عظيم في حياة الإنسان، فالإيمان باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار، وعقاب، وثواب له أثر بالغ في توجيه الإنسان وتصحيح سلوكه وانضباطه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ. وكثيراً ما ربط الله تعالى بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح مثل:

أ- **تعمير المساجد** قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (التوبة/ ١٨).

ب- **إطعام المسكين:** قال ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الماعون/ ١-٣).

ج- **اتخاذ الأسوة الحسنة** قال ﷻ: : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]

د- **الموالاة للمؤمنين** قال ﷻ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]

---

[1] انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن الميداني (ص٦٢٨) دار القلم، دمشق،الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، العقائد الإسلامية: سيد سابق (٢٣٢/٢٣٥) الإيمان: ياسين(ص٧١).

[2] انظر: العقائد الإسلامية: سيد سابق (ص٢٦٤) التوحيد للناشئة والمبتدئين: آل عبد اللطيف(ص٨١).

هـ - **الجهاد بالنفس والمال** قال ﷻ: ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ(٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.....(٤٥) ﴾. [التوبة].

و- **المحافظة على الصلوات** قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢]

وإذا قارنا بين اثنين:

أحدهما: إنسان لا يعتقد ببعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، فلا رقيب على أعماله وأقواله، حينئذ لايقيده غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية، فهو منفلت أمام الشهوات، فالغاية عنده تبرر الوسيلة للوصول إلى أهدافه بأقصر الطرق، ولو كان ذلك على حساب الفقراء والمساكن والمعذبين.

ثانيهما: إنسان يعتقد باليوم الآخر والبعث وأنه سيقف بين يدي الله يحاسب كل امرئ عما صدر منه من قول وعمل واعتقاد، ، فهذا الإنسان تجده منضبطاً في حدود الحق والخير والصلاح، وإن خرج عن هذه الحدود، تجده سرعان ما يعود ويستغفر ويؤوب إلى رشده، لأنه يقرأ قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: ٥٣]

٢- إن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد الإنكار، وكان يثير استهجانهم واستغرابهم، قال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وقال ﷻ: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] وقال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]

يقول الإمام الشوكاني"وَهَذَا مِنْ شِدَّةِ تَمَرُّدِهِمْ وَعِنَادِهِمْ حَيْثُ يَقُولُونَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ مُشَاهَدَتِهِمْ لِلْبَعْثِ"[1].

---

[1] فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(١٢٥/٢) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٣- فساد تصور أهل الكتاب باليوم الآخر، فالنصارى مثلاً يعتمدون فيه على وجود يسوع المخلص الذي يفدي الناس بنفسه، ويخلصهم من عقوبة الخطايا، وهذا يطابق عقيدة الهنود في بوذا وكرشنه، وعقيدة اليهود في اليوم الآخر لا تقل فساداً وضلالاً عن عقيدة النصارى والهنود، وعند البحث في نصوص التوراة نجد أن عقيدة اليوم الآخر عندهم عقيدة مضطربة غير واضحة، فهي لا تعدو إشارات بسيطة وغامضة، تخلو من ذكر البعث واليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب، كل ذلك بسبب التحريف والتغير والتزييف الذي لحق بالتوراة على مدار تاريخ اليهود، وفقدان توراتهم في أيام الأسر البابلي واليوناني، مما أوصل عقيدتهم إلى هذا الاضطراب والاختفاء لكل النصوص التي وردت على لسان أنبيائهم، والتي تتعلق بذكر اليوم الآخر والثواب والعقاب والجنة والنار.

٤- ولعل الحكمة أيضاً من اهتمام القرآن باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له، وغفلتهم عنه، بسبب تثاقلهم إلى الأرض، وحبهم للدنيا ومتاعها، فيكون الإيمان باليوم الآخر مخففاً من الغلو في حب الدنيا، لأن الإنسان إذا تذكر اليوم الآخر وما يحصل فيه، فإنه يعلم أن شهوات الدنيا الفانية لا تستحق منه كل هذا الجهد والطلب والاهتمام، ويشير إلى ذلك قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].[1]

المطلب الرابع: أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين

لأهمية الإيمان باليوم الآخر فقد ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم كثيراً، وأقام الدليل عليه، ونوع الأدلة فيه، وبسطها وربطها بالفطرة والعقل، ورد على المنكرين له بأنواع من الأدلة.

---

[1] انظر: التوحيد للناشئة والمبتدئين: آل عبد اللطيف(ص٨١).

أولاً: أدلة الإيمان باليوم الآخر من القرآن

ذكر القرآن الكريم أدلة كثيرة تؤكد على الإيمان باليوم الآخر ، وترد شبه المنكرين بطريقةٍ عقلية واقعية، وتبيّن ضعفها، كما ضرب لهم أمثلة وشواهد حاصلة يؤيدها الواقع والعقل وهي من خلق الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٧] وقال ﷻ: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧] وقال ﷻ: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦) ﴾. [المطففين]. وقال ﷻ: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ(٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ(٤) ﴾. [القيامة].

فاليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان في جميع الشرائع والرسالات لسابقة، وقد أوحي الله به إلى جميع رسله وأنبيائه، فالعقيدة واحدة عند جميع الرسل، فقد أوحي الله إلى النبي محمد ﷺ من العقائد كما أوحى بمثلها في جميع الرسالات السابقة قال ﷻ: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣ والأنبياء كلهم متفقون على الإيمان باليوم الآخر والتأكيد عليه من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، من حين أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض. قال ﷻ: ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ(٢٥) ﴾. [الأعراف].

وأخبرنا القرآن عن **نوح** عليه السلام أنه قال لقومه قال ﷻ: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا(١٨) ﴾. [نوح].

كما صرح القرآن بأن عقيدة اليوم الآخر هي عقيدة **إبراهيم** عليه السلام قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ

وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦] قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وقال تعالي علي لسان **يوسف** ﷺفي تقرير إيمانه باليوم الآخر قال ﷻ: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧]

كما وضح سبحانه أن **صحف إبراهيم** ﷺ **وصحف موسي** ﷺ فيها ذكر لليوم الآخر قال ﷻ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى(١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى(١٩) ﴾. [الأعلى].

ويخاطب الله موسى ﷺفي جبل الطور قال ﷻ: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى(١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى(١٦) ﴾. [طه].

وفي دعاء موسى ﷺ لربه بعد أن أخذت الرجفة السبعين رجلا من بني إسرائيل قال ﷻ: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ..(١٥٦) ﴾. [الأعراف].

بل أننا نجد **سحرة فرعون** عندما ظهر لهم الحق أعلنوا إيمانهم وصرحوا بما جاءهم به موسي ﷺ ومنها البعث والجزاء من الله للمؤمنين في الجنة والعذاب للمجرمين في النار قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا(٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا(٧٥) ﴾. [طه].. فإذن هذه الآيات تثبت أن ديانة موسى ﷺقائمة على أركان أدركها واعتقد بها سحرة فرعون، ومنها الإيمان بيوم الحساب والثواب في الجنة والعقاب في النار.

ولقد صرح الله أن **التوراة** فيها ذكر يوم الحساب قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ(٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ(٤٩) ﴾. [الأنبياء].

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يُقسمَ على المعاد قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣].قال ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وأخبر عن اقترابها، قال ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. وقال ﷻ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] إلى غير ذلك من الأدلة على وقوع اليوم الآخر وقربه.

حتى إبليس اللعين يؤمن بيوم البعث قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨]وأنه يتبرأ من أتباعه يوم أن يقف خطيبا فيهم في النار قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢] .

رد شبه المنكرين للبعث:

البعث هو"إعادة بناء الأجساد بعد فنائها، وإعادة الحياة لها بعد سلبها منها"[١] أي إعادة اشتباك الروح بالجسد، وتكون هذه الإعادة بعد العدم التام أو تفرق أجزائه، ولا يستطيع الإنسان معرفة النشأة الأخرى، لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى. قال ﷻ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦٢] .

---

[١] العقيدة الإسلامية وأسسها: الميداني (ص٦٥٠).

المنكرون للبعث من المشركين والملحدين، إنكارهم قائم فقط على بعض الشبهات والشكوك حول حصول ذلك اليوم، وهذه الشبهات ليس أكثر من الاستبعاد والاستعظام والتعجب.

قال تعالى حكاية عن المشركين: قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَاهِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] و قال ﷻ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

وقد ذكر القرآن الكريم أدلة كثيرة تؤكد على الإيمان باليوم الآخر، ورد شبه المنكرين بطريقةٍ عقلية واقعية، وبيّن ضعفها، كما ضرب لهم أمثلة وشواهد يؤيدها الواقع والعقل وهي من خلق الله ﷻ، منها:

١- **الاحتجاج بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى:** استدل القرآن الكريم على البعث، بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، مبيناً أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، فلا تعجزه إعادة الأجسام إلى طبيعتها، ولا يضيع منها شيء لسعة علمه سبحانه هذا المسلك والدليل ورد في القرآن أكثر من مرة منها:

وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٢٧] وقال ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤] وقال ﷻ: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤] وقال ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩] وقال ﷻ: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠] وقال ﷻ: ﴿ اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الرُّوم: ١١] .

وقال ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا

أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ(٨١) ﴾. [يس].

انظر إلى هذا البيان العظيم، والحجة المتينة، والألفاظ الموجزة مع وضوح الدليل وصحة البرهان، إنما يدل على الإعجاز القرآني، فقد افتتح سبحانه هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله"وَنَسِيَ خَلْقَهُ"ما يفي بالجواب، قال قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ:"جَاءَ (أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ) لَعَنَهُ اللَّهُ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وفي يده عظم رميم، وهو يفته ويذروه فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَتَزْعُمُ أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ:"نعم، يمتيك اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ يَبْعَثُكَ ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ"[1]

فجاء الجواب من الله بما يقيم الحجة ويزيل الشبهة، ثم أراد الله تعالى، تأكيد الحجة وتوضيحها من خلال ثلاثة أدلة وهي:

أ- دليل الإبداء على الإعادة: قال ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالإنشاء الأول على النشأة الأخرى؛ لأن كل عاقل يعلم علم اليقين أن من قدر على الأولى كان على الثانية أقدر، فالذي بني بيتاً ثم هدمه لا يستحيل عليه إعادة بنائه، كما كان أو خيراً مما كان، والذي يصنع آلة من الآلات مخترعاً لها فلا يستصعب عليه أن يعيدها كما كانت وربما أعادها آلة أفضل منها.

قال الحنفي:"فَاحْتَجَّ بِالْإِبْدَاءِ عَلَى الْإِعَادَةِ، وَبِالنَّشْأَةِ الْأُولَى عَلَى النَّشْأَةِ الْأُخْرَى. إِذْ كُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ ضَرُورِيًّا أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى هَذِهِ قَدَرَ عَلَى هَذِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الثَّانِيَةِ لَكَانَ عَنِ الْأُولَى أَعْجَزَ وَأَعْجَزَ، وَلَمَّا كَانَ الْخَلْقُ يَسْتَلْزِمُ قُدْرَةَ الْخَالِقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَعِلْمَهُ بِتَفَاصِيلِ خَلْقِهِ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس٧٩]. فَهُوَ عَلِيمٌ بِتَفَاصِيلِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَجُزْئِيَّاتِهِ، وَمَوَادِّهِ وَصُورَتِهِ، فَكَذَلِكَ الثَّانِي. فَإِذَا كَانَ تَامَّ الْعِلْمِ، كَامِلَ الْقُدْرَةِ، كَيْفَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يُحْيِيَ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ"[2]

---

[1] تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٦ /٥٩٣) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

[2] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤٠٦).

ب-دليل إخراج الضد من الضد: قال ﷻ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ قال الحنفي:"ثُمَّ أَكَّدَ الأَمْرَ بِحُجَّةٍ قَاهِرَةٍ، وَبُرْهَانٍ ظَاهِرٍ، يَتَضَمَّنُ جَوَابًا عَنْ سُؤَالِ مُلْحِدٍ آخَرَ يَقُولُ: الْعِظَامُ إِذَا صَارَتْ رَمِيمًا عَادَتْ طَبِيعَتُهَا بَارِدَةً يَابِسَةً، وَالْحَيَاةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَادَّتُهَا وَحَامِلُهَا طَبِيعَتُه حَارَّة رَطْبَة"[1] ثم قال"فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِإِخْرَاجِ هَذَا الْعُنْصُرِ، الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ وَالْيُبُوسَةِ، مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ الْمُمْتَلِئِ بِالرُّطُوبَةِ وَالْبُرُودَةِ، فَالَّذِي يُخْرِجُ الشَّيْءَ مِنْ ضِدِّه، وَتَنْقَادُ لَهُ مَوَادُّ الْمَخْلُوقَاتِ وَعَنَاصِرُهَا وَلَا تَسْتَعْصِي عَلَيْهِ، هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا أَنْكَرَه الْمُلْحِدُ وَدَفَعَه، مِنْ إِحْيَاءِ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ"[2].

٦- دليل القادر على الأجل الأعظم أقدر على الأيسر الأصغر: قال ﷻ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾

قال الحنفي"ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا بِأَخْذِ الدَّلَالَةِ مِنَ الشَّيْءِ الأَجَلِّ الأَعْظَمِ، عَلَى الأَيْسَرِ الأَصْغَرِ، فَإِنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ فَهُوَ عَلَى مَا دُونَه بِكَثِيرٍ أَقْدَرُ وَأَقْدَرُ، فَمَنْ قَدَرَ على حَمْلِ قِنطَارٍ كان عَلَى حَمْلِ أُوقِيَّةٍ أَشَدُّ اقْتِدَارًا، فَقَالَ: أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ؟ فَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِي أَبْدَعَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، عَلَى [جَلَالَتِهِمَا]، وَعِظَمِ شَأْنِهِمَا، وَكِبَرِ أَجْسَامِهِمَا، وَسَعَتِهِمَا، وَعَجِيبِ خَلْقِهِمَا، أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ عِظَامًا قَدْ صَارَتْ رَمِيمًا، فَيَرُدَّهَا إِلَى حَالَتِهَا الأُولَى، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٥٧)﴾. [غافر] [3]"

وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ

---

[1] المصدر السابق (ص٤٠٦).

[2] المصدر السابق (ص٤٠٧).

[3] المصدر السابق (ص٤٠٧).

أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا(٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا(٥٢) ﴾. [الإسراء].

قال الطبري:"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنْ قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ (أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا): كُونُوا إِنْ عَجِبْتُمْ مِنْ إِنْشَاءِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ وَإِعَادَتِهِ أَجْسَامَكُمْ، خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ بِلَاكُمْ فِي التُّرَابِ، وَمَصِيرِكُمْ رُفَاتًا، وَأَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنِّي أُحْيِيكُمْ وَأَبْعَثُكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ مَصِيرِكُمْ كَذَلِكَ كَمَا بَدَأْتُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ"(١).

والمعنى: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلقاً أكبر منهما، فإنه قادر على فنائكم وإحالة ذواتكم ونقلها من حالٍ إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة فما الذي يعجزه فيما دونها؟!.

ثم أخبر عن سؤالٍ آخر عنهم بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت أجسامنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله ﷻ: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: متى هو؟ فأُجيبوا بقوله ﷻ: ﴿عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً.﴾(٢)

٢- العناية بالخلق وعدم تركهم سدى: قال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدَىً﴾ (القيامة/٣٦-٣٩). قال ﷻ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ(١١٦) ﴾ [المؤمنون].

يقول الإمام الشوكاني:"أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّ خَلَقْنَا لَكُمْ لِلْإِهْمَالِ كَمَا خُلِقَتِ الْبَهَائِمُ وَلَا ثَوَابَ وَلَا عِقَابَ، وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ فَنُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ"(٣)

---

(١) جامع البيان: الطبري (١٤/٦١٥).

(٢) انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤٠٥).

(٣) فتح القدير: الشوكاني (٣ /٥٩٢).

والقرآن الكريم مليء بمثل هذا الاحتجاج العجيب، والقول الوجيز والبيان العظيم.

٣-الاستدلال بالأرض الميتة: الأرض تكون ميتة محلة جدبة قحطاء هامدة ليس فيها شجرة خضراء، حيث تنعدم فيها الحياة تماماً، فينزل عليها المطر أو تسقى بالماء فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات. قال ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصّلت: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ(١١)﴾. [ق: ٩ -١١]

قال ابن كثير: "وَهِيَ: الْأَرْضُ الَّتِي كَانَتْ هَامِدَةً، فَلَمَّا نَزَلَ عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زَوْجٍ بَهِيجٍ، مِنْ أَزَاهِيرَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يَحَارُ الطَّرْفُ فِي حُسْنِهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا كَانَتْ لَا نَبَاتَ بِهَا، فَأَصْبَحَتْ تَهْتَزُّ خَضْرَاءَ، فَهَذَا مِثَالٌ لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى. وَهَذَا الْمُشَاهَدُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ بِالْحِسِّ أَعْظَمُ مِمَّا أَنْكَرَهُ الْجَاحِدُونَ لِلْبَعْثِ"[1]

٤-الاستدلال بنوم الإنسان والحيوان على عملية الموت والحياة: قال ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ٦٠] النوم يعتبر موتاً مصغراً، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضاً فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان وغيرهما من المخلوقات وعملية الاستيقاظ لهما، تتم عملية الموت والحياة.

قال ابن كثير: "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَتَوَفَّى عِبَادَهُ فِي مَنَامِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَهَذَا هُوَ التَّوَفِّي الْأَصْغَرُ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] و قال ﷻ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ

---

[1] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٣٩٦/٧).

وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزُّمر: ٤٢] فَذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْوَفَاتَيْنِ: الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى، وَهَكَذَا ذَكَرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ حُكْمَ الْوَفَاتَيْنِ الصُّغْرَى ثُمَّ الْكُبْرَى"[1].

٥- الاستدلال بقدرة الله على خلق الإنسان وتدرج مراحل خلقه: قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(١٢)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ(١٤)ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(١٥)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ(١٦)﴾ [المؤمنون].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]

وجه الاستدلال من الآيات: أن الإنسان يمر في خلقه بعدة مراحل، ولاشك أن من قدر على ذلك، قادر على الإعادة، إذ هي من باب أولى.

قال الحنفي: "إِنَّ مَنْ نَقَلَه مِنَ النُّطْفَةِ إِلَى الْعَلَقَةِ، ثُمَّ إِلَى الْمُضْغَةِ، ثُمَّ شَقَّ سَمْعَه وَبَصَرَه، وَرَكَّبَ فِيهِ الْحَوَاسَّ وَالْقُوَى، وَالْعِظَامَ وَالْمَنَافِعَ، وَالْأَعْصَابَ وَالرِّبَاطَاتِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّه، وَأَحْكَمَ خَلْقَه غَايَةَ الْإِحْكَامِ، وَأَخْرَجَه عَلَى هَذَا الشَّكْلِ وَالصُّورَةِ، الَّتِي هِيَ أَتَمُّ الصُّوَرِ وَأَحْسَنُ الْأَشْكَالِ - كَيْفَ يَعْجِزُ عَنْ إِعَادَتِه وَإِنْشَائِه مَرَّةً ثَانِيَةً؟ أَمْ كَيْفَ تَقْتَضِي حِكْمَتُه وَعِنَايَتُه أَنْ يَتْرُكَه سُدًى؟ فَلَا يَلِيقُ ذَلِكَ بِحِكْمَتِه، وَلَا تَعْجِزُ عَنْهُ قُدْرَتُه، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الِاحْتِجَاجِ الْعَجِيبِ، بِالْقَوْلِ الْوَجِيزِ، الَّذِي لَا يَكُونُ أَوْجَزَ مِنْهُ، وَالْبَيَانِ الْجَلِيلِ، الَّذِي لَا يُتَوَهَّمُ أَوْضَحُ مِنْهُ، وَمَأْخَذِه الْقَرِيبِ، الَّذِي لَا تَقَعُ الظُّنُونُ عَلَى أَقْرَبَ مِنْهُ".[2]

---

[1] المصدر السابق (٣/٢٦٦).

[2] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤٠٨).

ثانياً: أدلة الإيمان باليوم الآخر من السنة

١.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الْإِيمَانُ قَالَ"الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ...."[1].

٢.قصة إسلام عبد الله بن سلام أخرج الإمام البخاري عن أَنَسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَقَالَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ قَالَ أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا قَالَ ابْنُ سَلَامٍ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ قَالَ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي فَجَاءَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺأَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ قَالُوا خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺأَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَتَنَقَّصُوهُ قَالَ هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ"[2]

٣-وجاء عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ لِمَ تَدْفَعُنِي فَقُلْتُ أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي فَقَالَ الْيَهُودِيُّ جِئْتُ أَسْأَلُكَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ سَلْ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ قَالَ فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً قَالَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ قَالَ الْيَهُودِيُّ فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَالَ زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ قَالَ

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان(ح٤٨).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب كيف آخى النبي ﷺ بين (ح٣٦٤٥).

فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا قَالَ يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا قَالَ فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ قَالَ مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا قَالَ صَدَقْتَ قَالَ وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ قَالَ يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ قَالَ جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ الْوَلَدِ قَالَ مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ قَالَ الْيَهُودِيُّ لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنْ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ و حَدَّثَنِيهِ»[1].

إذن مجموع الآيات والأحاديث الواردة في كتاب الله وسنة رسوله تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن عقيدة اليوم الآخر هي ركن أصيل من أركان الإيمان، في كل شريعة ورسالة أرسلها الله إلى الناس حتى يحسنوا العمل ويجتنبوا السيئات فيجازيهم ربهم بالثواب والنعيم، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى[٣٧] وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا[٣٨] فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى[٣٩] وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى[٤٠] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى[٤١]﴾ [النازعات]

فالكتب السماوية من ركائزها الدعوة إلى الإيمان باليوم الأخر فإذا ما خلت من هذه الركائز أو من إحداها فهي ليست كتاب الله بل هي ألعوبة المحرفين وأوراق المزيفين، قراطيس نسختها يد نساخ قال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ثالثاً: أدلة الإيمان باليوم الآخر من الحس

اكتفي هنا بذكر الآيات الدالة على ذلك:

١- **قصة أصحاب الكهف**، وكيف أن الله تعالى بعثهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا بعد ثلاثمائة سنة شمسية، وثلاثمائة وتسع سنين قمرية، قال ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة (ح ٤٧٣).

٢- **قصة الذي مرَّ على قرية ميتة فتعجب كيف يحييها الله تعالى بعد موتها وهي** على هذه الحالة؟ فأماته الله مائة عام ثم أحياه قال ﷻ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٣- **قصة إبراهيم الخليل** عليه السلام حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن، فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم عليه السلام سعيا، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

٤- **قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الموت** وهم ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]

٥- **المعجزات التي أكرم الله بها موسى عليه السلام وهي:**

المثال الأول: قوم موسى عليه السلام حين قالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبا بني إسرائيل يقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ(٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٥٦) ﴾. [البقرة].

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٧٣) ﴾. [البقرة].

٦-المعجزات التي أكرم الله بها المسيح عيسى ﷺ: ومنها إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى يقول ﷻ ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]

المبحث الرابع

أشراط الساعة

المطلب الأول: الأشراط لغةً واصطلاحاً

١- الأشراط والساعة لغةً

أ - الأشراط لغةً:"وَالشَّرَطُ بِفَتْحَتَيْنِ الْعَلَامَةُ وَالْجَمْعُ أَشْرَاطٌ مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ وَمِنْهُ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ"[١]، قال بن سيده"وأشْراطُ الشّيءِ أوائِلُهُ، قال بعضُهم ومنه أشراطُ الساعةِ والاشتِقاقانِ مُتقاربانِ لأنَّ عَلامَةَ الشيءِ أوّلُه، ومشاريطُ الأشياءِ أوائلُها كأشْراطِها"[٢].

فالأشراط في اللغة هي علامات الشيء المتقدمة والدالة عليه، ومما يدل على تسمية هذه الأشراط في السنة بالعلامات ما جاء في الحديث:"قَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي مَتَى السَّاعَةُ قَالَ فَنَكَسَ فَلَمْ يُجِبْهُ شَيْئًا ثُمَّ أَعَادَ فَلَمْ يُجِبْهُ شَيْئًا ثُمَّ أَعَادَ فَلَمْ يُجِبْهُ شَيْئًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ وَلَكِنْ لَهَا عَلَامَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا."[٣]

ب - الساعة لغةً: قال ابن منظور:"السَّاعَةِ الْوَقْتَ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ الْقِيَامَةُ فَلِذَلِكَ تُرِكَ أَن يُعَرَّف أَيُّ ساعةٍ هِيَ، فإِن سُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ سَاعَةً فعَلى هَذَا، وَالسَّاعَةُ: الْقِيَامَةُ"[٤].

وقَالَ الزَّجَّاجُ:"السَّاعَةُ اسْمٌ لِلْوَقْتِ الَّذِي تَصْعَقُ فِيهِ العِبادُ والوقتِ الَّذِي يُبْعَثُونَ فِيهِ وَتَقُومُ فِيهِ الْقِيَامَةُ، سُمِّيَتِ سَاعَةً لأنها تَفْجَأُ النَّاسَ فِي سَاعَةٍ فَيَمُوتُ الْخُلُقُ كُلُّهُمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ الأُولى الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهِ ﷻ"[٥]

---

[١] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(٣٠٩/١) ، المكتبة العلمية، بيروت، بدون.

[٢] المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(١٤/٨) تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر، ٢٠٠٠م.

[٣] أخرجه النسائي في سننه، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام (ح٤٩٠٥) قال الألباني: صحيح.

[٤] لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (١٦٩/٨) دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

[٥] لسان العرب: ابن منظور (١٦٩/٨).

٢- الأشراط والساعة اصطلاحاً

أ- **الأشراط اصطلاحاً:** هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها.

يقول ابن حجر المراد بالأشراط:"العلامات التي يعقبها قيام الساعة"[(١)].

ب- **الساعة اصطلاحاً:** "جزء من أجزاء الزمان، ويعبر بها عن القيامة تشبيها بذلك لسرعة حسابه"[(٢)].

المطلب الثاني: الإيمان بأشراط الساعة واجب

الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها الصحيحة الثابتة واجب، لأن الإيمان بأشراط الساعة جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر، والذي هو الآخر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب وهو من صلب العقيدة، فيجب علينا أن نؤمن بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ من علامات وأمارات للساعة، فإن الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب لا تكاد تحصى، لذلك أكثر النبي ﷺ من بيان أماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة، ونبه أمته وحذرهم ليتهيأوا لتلك العقبة العظيمة.

١- الأدلة على أشراط الساعة وعلاماتها من القرآن

موعد قيام الساعة من الغيب الذي انفرد الله تعالى بعلمه وأخفاه عن العباد، فلا يعلم وقت قيام الساعة ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذا من حكمة الله تعالى على العباد ليكونوا على استعداد دائم وعلى أهبة الاستعداد والانتظار .

قال ﷻ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] و قال ﷻ: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣] قال ﷻ:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (٧٩/١٣) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي(ص١٨٩).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا(٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا(٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا(٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا(٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا(٤٦) ﴾. [النَّازعات].

وإذا كان الله قد أخفى وقت قيام الساعة، فقد أخبر ببعض العلامات والأمارات التي تكون بين يدى الساعة، علامات تدل على قرب وقوعها، لينتبه الخلق بالإنابة والتوبة إلى الله سبحانه، وقد سمى القرآن هذه العلامات والأمارات بالأشراط فقال ﷻ: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٨].

وإذا كان البشر يرون الساعة بعيدة فإن خالق البشر يرى الساعة قريبة قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا(٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا(٧) ﴾. [المعارج] و قال ﷻ: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١]و قال ﷻ: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشُّورى: ١٧]

٢- الأدلة على أشراط الساعة وعلاماتها من السنة

أكثر النبي ﷺ من بيان أشراط وأمارات الساعة، وأخبر عما يأتي بين يديها من الفتن، ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لذلك، ومن ذلك.

١.حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، المشهور بحديث جبريل، حيث سئل فيه ﷺ عن الْإِسْلَامُ والْإِيمَان والْإِحْسَانِ ووقت الساعة، وفيه قال جبريل ﷺ لرسول الله ﷺ:"قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"[1]

٢.حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قال:"قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ"[2]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان (ح٩).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ح ٥١٦٢).

المطلب الثالث: أقسام أشراط الساعة وأماراتها

قسم العلماء أشراط الساعة وأماراتها إلى قسمين:

القسم الأول: علامات الساعة الصغرى

قسم بعض العلماء أشراط الساعة الصغرى إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: علامات صغرى وقعت وانتهت

وهي العلامات التي أخبر بها النبي ﷺ وقد حدثت وظهرت وانقضت من أهمها.

١.بعث الرسول ﷺ ووفاته

أ- بعثه ﷺ: قَالَ ﷺ:"بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى."[1] والمراد بهذا التشبيه أنه ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، وهذا علم بقربها ولا يستلزم العلم بوقت مجيئها، فإن العلم بوقت المجيء لا يعلمه إلا الله.

ب – موته ﷺ: حديث عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ"أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مُوْتَانٌ[2] يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ[3] ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا[4] ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ[5] ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا[6]"[7].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب اللعان (ح٤٨٨٩٥).

[2] مُوتَانٍ: قَالَ الْقَزَّازُ "هُوَ الْمَوْتُ وَقَالَ غَيْرُهُ الْمَوْتُ الْكَثِيرُ الْوُقُوعِ"فتح الباري: ابن حجر(٢٧٨/٦).

[3] كَقُعَاصِ الْغَنَمِ:"هُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الدَّوَابَّ فَيَسِيلُ مِنْ أُنُوفِهَا شَيْءٌ فَتَمُوتُ.. وَيُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ظَهَرَتْ فِي طَاعُونِ عَمْوَاسَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"فتح الباري: ابن حجر(٢٧٨/٦).

[4] ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ: أَيْ كَثْرَتُهُ وَظَهَرَتْ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، فتح الباري: ابن حجر(٢٧٨/٦).

[5] وَالْفِتْنَةُ: الْمُشَارُ إِلَيْهَا افْتُتِحَتْ بِقَتْلِ عُثْمَانَ وَاسْتَمَرَّتِ الْفِتَنُ بَعْدَهُ، فتح الباري: ابن حجر(٢٧٨/٦).

[6] السَّادِسَةُ: لم تَجِيء بَعْدُ قَوْلُهُ هُدْنَةٌ.. هِيَ الصُّلْحُ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ بَعْدَ التَّحَرُّكِ فِيهِ قَوْلُهُ بَنِي الْأَصْفَرِ هُمُ الرُّومُ قَوْلُهُ غَايَةٍ أَيْ رَايَةٍ..وَفِي أَوَّلِهِ سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا ثُمَّ تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا فَتَنْتَصِرُونَ ثُمَّ تَنْزِلُونَ مَرْجًا فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلِيبِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ غَلَبَ الصَّلِيبُ فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُومُ إِلَيْهِ فَيَدْفَعُهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ فَيَأْتُونَ. فتح الباري: ابن حجر (٢٧٨/٦).

[7] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر (ح٢٩٤٠).

٢. نَارٌ تخرج مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى[1]"[2].

وهذه الآية قد خرجت على ما أخبر النبي ﷺ في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية (المسماة بالحرة المحروقة)، دامت أياماً في شرق المدينة، وذكرها المؤرخون كالنووي وابن كثير وأطال في الكتابة عنها وتواتر خبرها، فحين ظهورها وهي نار عظيمة هُرِع الناس إلى المساجد والبيوت يبكون على أنفسهم لأنهم علموا صدق النبوة ووقوعها، وكانت ناراً عجيبة وسالت بسببها أودية من نار وأنها تشتعل بالحجارة، وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهل الشام وذكروا أنها ترتفع نحو عشرين ذراعاً أو ثلاثين ذراعاً في السماء ورأى أهل بصرى، أعناق الإبل في ضوئها كما أخبر النبي ﷺ.

قال الإمام النووي:"وَقَدْ خَرَجَتْ فِي زَمَانِنَا نَارٌ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَكَانَتْ نَارًا عَظِيمَةً جِدًّا مِنْ جَنْبِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيِّ وَرَاءَ الْحَرَّةِ تَوَاتَرَ الْعِلْمُ بِهَا عِنْدَ جَمِيعِ الشَّامِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ"[3].

٣.**ظهورالخوارج:** إخباره ﷺ عن خروج الخوارج وصفاتهم، قال عَلِيٌّ ﷺ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ

---

[1] بصرى: بضم الباء آخرها ألف مقصورة، مدينة معروفة بالشام، ويقال لها حوران، بينها وبين دمشق ثلاث مراحل، فتحها المسلمون عام ١٣ هـ. انظر: فتح الباري: ابن حجر (٨٨/١).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب خروج النار (ح٦٥٨٥) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز (ح٢٩٠٢).

[3] شرح النووي على صحيح مسلم (٢٨/١٨).

لَاتَّكَلُوا عَنْ الْعَمَلِ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ[١]"[٢].

٤. **هلاك كسرى وقيصر:** إخباره ﷺ بهلاك كسرى وقيصر، وفتح المسلمين لبلادهما، وتقسيمهم لكنوزهما وقد حصل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ وَقَيْصَرٌ لَيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَمَّى الْحَرْبَ خَدْعَةً"[٣].

٥. **انشقاق القمر:** أخبر الله في كتابه، قال ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وقد وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة عن رسول الله ﷺ منها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال: طلب أهل مكة من رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فقال: ماذا تريدون ؟ قالوا: نريد أن تشق لنا القمر في السماء نصفين فسأل الحبيب ﷺ ربه فاستجاب الله للمصطفى ﷺ وشق له القمر في السماء نصفين، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ لَنَا: "اشْهَدُوا اشْهَدُوا"[٤] ومع ذلك أنكروا وأعرضوا وقالوا: سحر مستمر.

---

[١] **ذو الثدية:** هو رجل من الخوارج الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وأخبر أن فيهم رجلاً يقال له: ذو الثُّدَيَّة مخدَج اليد، وأن رسول الله ﷺ أخبره بذلك أنه يقاتلهم، وأنهم من شر الخليقة، يمرقون من الدِّين مروق السهم من الرمية. قال أبو مريم الثقفي: وكان اسم ذي الثُّدَيَّة نافعاً، وهو أسود حبشي فيما يقال، والله أعلم، جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(١٠/ ٥٠٩) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

[٢] متفق عليه: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (ح١٠٦٤) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق (ح٧٥٦٠).

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة (ح٢٨٠٣) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل(ح٥١٩٧).

[٤] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب وانشق القمر (ح٤٤٨٧) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر رقم (ح٥٠١٠-٥٠١٢).

ثانياً: علامات صغرى وقعت ولم تنقضِ أي مازالت مستمرة

وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكبر وهي كثيرة جدا من أهمها:

١- تطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان: جاء في حديث جبريل المشهور "قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"[١] أي أن يصبح أهل البداوة، ورعاة الغنم من أصحاب الثروة والترف والقصور العالية وقد وقع فنرى الآن أهل البوادي على فقرهم وعُريِّهم يتطاولون في البنيان مع كونهم حفاة عراة فقراء، وهذه لا شك معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ. حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، المشهور بحديث جبريل، حيث سئل فيه ﷺ عن الْإِسْلَامُ والْإِيمَان والْإِحْسَانِ ووقت الساعة، وفيه قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ:

٢- خروج ثلاثين دجالاً يدعون النبوة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ"[٢] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْبَعِثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ"[٣].

٣- ضياع الأمانة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ قَالَ هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ"فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ"[٤].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان (ح٩).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، مقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء (ح٦٥٨٨).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (ح٢١٤٤) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سئل علماً (ح٥٧).

قال ابن حجر:"أَنَّ إِسْنَادَ الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَرَفْعِ الْعِلْمِ وَذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْرَاطِ وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ الْعِلْمَ مَا دَامَ قَائِمًا فَفِي الْأَمْرِ فُسْحَةٌ"[1].

٤- **قبض العلم وظهور الجهل وكثرة النساء:** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ"[2].

فهذه الأمور حاصلة الآن ومن يعش فسوف يجد مزيداً منها، والمقصود من القيّم الواحد لخمسين إمرأة يعنى أن الرجل الواحد يقوم على مصالحهن، وليس المراد أنهن كلهن زوجاته، بل فيهن الزوجة إلى أربع، والباقي محارمه كالأمهات والجدات والعمات والخالات والأخوات والبنات وبنات البنات وبنات الأبناء وبنات الأخ وبنات الأخت وغيرهن والله أعلم.

٥- **شرب الخمور واستحلال الزنا والمعازف:** بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الْخَمْرَ وَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ ﷺ وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِي سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ"لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ[3] وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمْ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[4].

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (١٤٣/١).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل (ح٧٩-٣٨٣٠-٥١٤٩-٦٣١٠) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه (ح٤٨٢٥).

[3] الحِرُ بتَخْفِيف الراء: الفَرْجُ، والمراد الزنا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير (ج١ص٣٦٦) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[4] أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه(حديث بغير رقم لأنه معلق) وقد وصله الطبراني والبيهقي وابن عساكر، وهو صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٩١) (١٨٦/١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٦- **ترك الجهاد في سبيل الله:** عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ[1] وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"[2].

٧- **عودة الإسلام غريباً كما بدأ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"[3] و الغرباء هم الذين يصلحون إذا فسد الناس من الفتن الواردة في الأحاديث الصحيحة التي بين يدي الساعة.

ثالثاً: علامات صغرى لم تقع بعد

وهي التي لم تظهر ولا زلنا ننتظر وقوعها وهي كثيرة من أهمها:

١. **عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا"[4].

وقد بدت تباشير هذا الحديث تتحقق في بعض المناطق من الجزيرة العربية بما أنعم الله عليهم من الخيرات والبركات والآلات التي تستخرج الماء من باطن الأرض.

٢. **انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو"[5]وهذه العلامة لم تقع بعد.

---

[1] الْعِينَة، وَهُوَ أَنْ يبِيع مِنْ رَجل سِلعة بِثَمنٍ مَعْلوم إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، ثُمَّ يَشْتَرِيَهَا مِنْهُ بِالنَّقْدِ بِأَقَلَّ مِنَ الثَّمن الَّذِي بَاعَهَا بِهِ، النهاية: ابن الأثير (٢٣٧/١)

[2] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب النهي عن العينة (ح٣٠٠٣) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١١) (٤٢/١) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريباً(ح٢٠٨).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة (ح١٦٨١).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن جبل (ح٥١٥٢).

القسم الثاني: علامات الساعة الكبرى

علامات الساعة الكبرى عشرة كما جاءت في الحديث الشريف، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ؏ قَالَ"اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ"مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ"[١].

العلامات الموجودة في الحديث غير مرتبة ترتيبا زمنيا لذلك سنشرحها مرتبة زمنياً حسب اجتهاد العلماء من أولها إلى آخرها.

العلامة الأولى: ظهور الدجال

أولاً: المقصود بالمسيح الدجال

المقصود بالمسيح هنا: مسيح الضلالة الذي يفتن الناس بما يجري على يديه من عجائب وخوارق العادات، كإنزال المطر وإحياء الأرض وغيرها.

مصطلح المسيح: يطلق على الضليل الكذاب وهو الأعور الدجال، ويطلق على عيسى ابن مريم ؑ. [٢] فإن أريد به الدجال قيدت به فيقال"المسيح الدجال وإذا أطلقت فقيل المسيح أي هو عيسى ابن مريمؑ، يقول: أبو بكر الكلاباذي"وَذَكَرَ الْمَسِيحَ، وَعَرَّفَهُ بِقَوْلِهِ: الدَّجَّالُ؛ لِأَنَّهُمَا مَسِيحَانِ: مَسِيحٌ هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَحَبِيبُهُ، وَمَسِيحٌ هُوَ عَدُوُّ اللَّهِ وَبَغِيضُهُ وَلَعِينُهُ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمَا، فَيَقُولُونَ لِلدَّجَّالِ: الْمِسِّيحُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ شَيْئًا، وَيُؤَيِّدُ قَوْلَهُمْ تَقْيِيدُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَسِيحُ بِذِكْرِ الدَّجَّالِ"[٣]، وأخطأ بعض الناس لما قالوا المسيخ والصحيح هو المسيح.

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ح ٥١٦٢).

[٢] انظر: تاج العروس: الزَّبيدي (١٣١/٧) ، ولسان العرب: ابن منظور (٥٩٣/٢).

[٣] بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي(ص٢٢٨) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

سمي الدجال مسيحاً

١. لأنه ممسوح العين اليمنى فهي طافية لا شعاع فيها، أي أنه ممسوح الحاجب الأيمن[١].

٢. أو لمسحه الأرض فيطوف بالأرض كلها ذهابا وإياباً في أربعين يوما إلا مكة والمدينة فإنهما محرمتان عليه.

٣. أو لكونه ممسوحًا عن كل خير[٢].

وسمي الدجال دجالاً: لخداعه أو لكذبه لأنه يغطي الحق بباطله، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتلبيسه عليهم[٣].

والدَّجَّال:"مُشْتَقّ من الدجل والدجل مَعْنَاهُ الْخَلْط وَالْمَكْر وَالْخداع والتلبيس"[٤] قال النووي:"فَالدَّجَّالُونَ جَمْعُ دَجَّالٍ قَالَ ثَعْلَبٌ كُلُّ كَذَّابٍ فَهُوَ دَجَّالٌ وَقِيلَ الدَّجَّالُ الْمُمَوِّهُ يُقَالُ دَجَلَ فُلَانٌ إِذَا مَوَّهَ وَدَجَّلَ الْحَقَّ بِبَاطِلِهِ اذا غطاه"[٥].

ولفظة"الدجال"أصبحت عَلَمَاً على المسيح الأعور الكذاب.

ثانياً: المسيح الدجال أول علامات الساعة الكبرى

أول العلامات ظهوراً هو خروج المسيح الدجال، ثم نزول عيسى ابن مريم، ثم خروج يأجوج ومأجوج خلافاً لبعض العلماء الذين ذهبوا إلى أن أول العلامات ظهورا هو خروج الشمس من مغربها، معتمدين على الحديث الشريف الصحيح المروي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

---

[١] انظر: بيان المعاني:ملا حويش آل غازي عبد القادر (ص٤٤٧) مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٨٢ هـ.

[٢] انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري(٣٤٧٦/٨) دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

[٣] انظر: فتح الباري: ابن حجر (٩١/١).

[٤] دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (٦٠/٤) عرب عباراته: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

[٥] شرح النووي على صحيح مسلم (٧٩/١).

ﷺيَقُولُ:"إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا"[1].

تحقيق المسألة

إن أول الآيات ظهورا في العلامات العشر الكبرى هو الدجال، وذلك لأنه بطلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ومن المعروف أن عيسى عليه السلام بنزوله سيدعو إلى الإسلام، ويكسر الصليب، فلو كان سبق نزول عيسى طلوع الشمس من مغربها لم يكن ينفعهم إيمانهم.

وقد رجح هذا القول ثلة من العلماء كابن حجر حيث يقول"فَالَّذِي يَتَرَجَّح مِنْ مَجْمُوع الْأَخْبَار أَنَّ خُرُوج الدَّجَّال أَوَّلُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الْمُؤْذِنَةِ بِتَغَيُّرِ الْأَحْوَال الْعَامَّة فِي مُعْظَم الْأَرْض وَيَنْتَهِي ذَلِكَ بِمَوْتِ عِيسَى بْن مَرْيَم وَأَنَّ طُلُوع الشَّمْس مِنْ الْمُغْرِب هُوَ أَوَّلِ الْآيَات الْعِظَام الْمُؤْذِنَة بِتَغَيُّرِ أَحْوَال الْعَالَم الْعَلَوِيّ وَيَنْتَهِي ذَلِكَ بِقِيَامِ السَّاعَة وَلَعَلَّ خُرُوج الدَّابَّة يَقَع فِي ذَلِكَ الْيَوْم الَّذِي تَطْلُع فِيهِ الشَّمْس مِنْ الْمُغْرِب"[2]

أما بعد ذلك فتظهر العلامات التي تتابع بعضها في إثر بعض كأنها حبات عقد قد انقطع سلكه، فانفرطت حباته، أي توالت سريعاً كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"خُرُوجُ الآيَاتِ بعضها عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتَتَابَعُ الْخَرَزُ فِي النِّظَامِ"[3].

والخلاصة: أن خروج الدجال هو أول العلامات، ثم نزول عيسى عليه السلام ثم يأتي بعد ذلك منظومة العلامات التي يتبع بعضها بعضاً، فيبدأ بطلوع الشمس من المغرب وبهذا يمكن الجمع بين الأحاديث.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض(ح٥٢٣٤).

[2] فتح الباري: ابن حجر(٣٥٣/١١).

[3] رواه الطبراني في المعجم الأوسط (ح ٤٢٧١) (٤ /٣٠٤) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٣٢١٠) (٦٣٧/٧).

ثالثاً: فتنة الدجال

فتنة الدجال هي من أعظم الشرور والبلاء في آخر الزمان، ولقد حذرناً منه رسول الله ﷺ ومن فتنته، حتى أمرنا بالتعوذ من فتنته، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺأَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ:"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ"[١].

وفي حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ"[٢].

لقد حذرنا رسول الله ﷺ من فتنته، وبين لنا خطورته، وبين لنا أوصافه ووسائله، وهذه أهم الحقائق عن حياته في الأرض:

١. **الدجال يمكث في الأرض أربعين يوماً فقط:** كما قال رسول الله ﷺ:"قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ"[٣]، يسير فيها"كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَ بِهِ الرِّيحُ"[٤]، يجوب فيها الأرض إلا مكة والمدينة، فإنها محرمتان عليه، يدعو الناس إلى الإيمان به، تحيط به الشياطين من كل جانب.

٢. **يظهر على يديه عجائب وخوارق للعادة:** بإذن الله، والناس من هذه الخوارق فريقان.

الفريق الأول: موقف المؤمنين:

يثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله، ولا بضلاله ولا بخوارقه للعادة، لأنهم أيقنوا وعلموا صفاته التي أخبرهم بها المصطفى محمد ﷺ فاستعاذوا بالله منه.

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (ح٩٢٥).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح٥٢٢٨).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح٥٢٢٨).

[٤] أخرجه البغوي في شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (١٥/٥٥) (ح٤٦٢١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الفريق الثاني: موقف الكفار والمنافقين:

الدجال يستميل قلوب المشركين وضعاف الإيمان، فهو يخرج في زمن عمَّ فيه الجدب والقحط والمجاعة، فيلوح لهم برغيف الخبز، وإن معه أنهاراً وجبالاً من الكنوز، فيؤمن به أصحاب الشهوات، وأهل الدنيا الذين لا يبالون من أين يأكلون.

رابعاً: صفات المسيح الدجال

جاء في السنة مجموعة من الأحاديث التي تبين صفات المسيح الدجال منها:

أ- حديث عَبْدُ اللَّهِ بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيْ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ:"إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ [1]...قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ.."[2].

ب- وحديث عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"... فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ"[3].

ت- وحديث عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ"يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ[4]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"الدَّجَّالُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر أَيْ كَافِرٌ"[5].

---

[1] قال ابن حجر"كَأَنَّهُ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ أَيْ بَارِزَةٌ وَهُوَ مِنْ طفا الشَّيْء يطفا بِغَيْرِ هَمْزٍ إِذَا عَلَا عَلَى غَيْرِهِ وَشَبَّهَهَا بِالْعِنَبَةِ الَّتِي تَقَعُ فِي الْعُنْقُودِ بَارِزَةً عَنْ نَظَائِرِهَا."فتح الباري: ابن حجر (٦/٤٨٥).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] (ح٣١٨٤).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام (ح٦٥٠٨).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد(ح٥٢١٥).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته(ح٥٢٢٠).

ث- وحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ"[1]

من خلال الأحاديث السابقة يمكن وصف المسيح الدجال بعدة أوصاف منها.

١. **أعور العينين:** العين اليمنى، عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ أي أنها ناتئة نتوء حبة العنب من بين أخواتها، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة.

قال ابن حجر في الجمع بين الروايات:"فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ وَفِي حَدِيثِ سَمُرَةَ مِثْلُهُ وَكِلَاهُمَا... فِي حَدِيثِهِمَا أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى وَمِثْلُهُ لِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ وَهَذَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى وَقَدِ اتَّفَقَا عَلَيْهِ من حَدِيث بن عمر فيكون أرجح والى ذَلِك أَشَارَ بن عَبْدِ الْبَرِّ لَكِنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا الْقَاضِي عِيَاضٌ فَقَالَ تُصَحَّحُ الرِّوَايَتَانِ مَعًا بِأَنْ تَكُونَ الْمَطْمُوسَةُ وَالْمَمْسُوحَةُ هِيَ الْعَوْرَاءُ الطَّافِئَةُ بِالْهَمْزِ أَيِ الَّتِي ذَهَبَ ضَوْؤُهَا وَهِيَ الْعَيْنُ الْيُمْنَى كَمَا فِي حَدِيث بن عُمَرَ وَتَكُونُ الْجَاحِظَةُ الَّتِي كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ وَكَأَنَّهَا نُخَاعَةٌ فِي حَائِطٍ هِيَ الطَّافِيَةُ بِلَا هَمْزٍ وَهِيَ الْعَيْنُ الْيُسْرَى كَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَعَلَى هَذَا فَهُوَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى وَالْيُسْرَى مَعًا فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَوْرَاءُ أَيْ مَعِيبَةٌ فَإِنَّ الْأَعْوَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمَعِيبُ وَكِلَا عَيْنَيِ الدَّجَّالِ مَعِيبَةٌ فَإِحْدَاهُمَا مَعِيبَةٌ بِذَهَابِ ضَوْئِهَا حَتَّى ذَهَبَ إِدْرَاكُهَا وَالْأُخْرَى بِنُتُوئِهَا"[2]

وجمع بين الروايات كذلك القاري فقال:"فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهَا طَافِيَةٌ، وَفِي آخَرَ أَنَّهُ جَاحِظُ الْعَيْنِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ، وَفِي آخَرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَاتِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ، وَالسَّبِيلُ فِي التَّوْفِيقِ بَيْنَهَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّمَا اخْتَلَفَ الْوَصْفَانِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، هَذَا: أَنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا: أَنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُسْرَى، وَوَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال (ح٣٧٦٣) قال الألباني: صحيح.

[2] فتح الباري: ابن حجر(٩٧/١٣).

الْمُتَنَافِرَةِ أَنْ يُقَدَّرَ فِيهَا أَنَّ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ذَاهِبَةٌ، وَالْأُخْرَى مَعِيبَةٌ، فَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَوْرَاءُ ؛ إِذِ الْأَصْلُ فِي الْعَوَرِ الْعَيْبُ"[1]

٢. **مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِر:** يقرأها كل مؤمن قارئ أو ليس بقارئ، قال النووي:"الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ هَذِهِ الْكِتَابَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَأَنَّهَا كِتَابَةٌ حَقِيقَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ آيَةً وَعَلَامَةً مِنْ جُمْلَةِ الْعَلَامَاتِ الْقَاطِعَةِ بِكُفْرِهِ وَكَذِبِهِ وَإِبْطَالِهِ وَيُظْهِرُهَا اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ وَيُخْفِيهَا عَمَّنْ أَرَادَ شقاوته وفتنته ولامتناع فِي ذَلِكَ"[2].

٣. **تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ:** "قَالَ الْقَاضِي:"أَيْ لَا تَنْقَطِعُ أَفْكَارُهُ الْفَاسِدَةُ عَنْهُ عِنْدَ النَّوْمِ لِكَثْرَةِ وَسَاوِسِهِ وَتَخَيُّلَاتِهِ وَتَوَاتُرِ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ إِلَيْهِ كَمَا لَمْ يَكُنْ يَنَامُ قَلْبُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَفْكَارِهِ الصَّالِحَةِ بِسَبَبِ ما تواتر عليه من الوحي"[3]

٤. **جَعْدُ الرَّأْسِ:** شعره ليس سبطاً وأملساً، وإنما شديد جعودة الشعر لدرجة الكراهة.

٥. **أَفْحَجُ:** "الفَحَج تبَاعدُ مَا بَيْنَ الفَخِذَين"[4] يعني يمشي مشية معيبة، فيها عرج بسبب تباعد ما بين ساقيه، فهو يسير بهذه المشية المتعرجة.

٦. **يشبه عبد العزى بن قطن:** وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ كما جاء في حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ السابق."قَالَ الزُّهْرِيُّ: بن قَطَنٍ مِنْ خُزَاعَةَ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قُلْتُ اسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ قَطَنِ بْنِ عَمْرِو بن جُنْدُب بن سعيد بن عَائِذ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ"[5]

٧. **أجلى الجبهة:** "الأَجْلَى: الْخَفِيفُ شَعَرِ مَا بيْن النَّزَعَتين مِنَ الصُّدْغين، وَالَّذِي انْحَسَرَ الشَّعَرُ عَنْ جَبْهته"[6] قريب من الصلع.

---

[1] مرقاة المفاتيح: القاري (٣٤٥٣/٨).

[2] شرح النووي على صحيح مسلم (٦٠/١٨).

[3] مرقاة المفاتيح: القاري (٣٤٩١/٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (٤٣١/٦) دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

[4] النهاية: ابن الأثير (١٠٦/١) (٤١٥/٣).

[5] فتح الباري: ابن حجر (٤٤٨/٦).

[6] النهاية: ابن الأثير (٢٩٠/١).

٨. جَسِيمٌ: أَيْ بَدَنًا[1] فهو ضخم الجثة قوي البدن جداً.

٩. عَقِيمٌ ليس له عقب: كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ"..عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ.."[2]

١٠. أَحْمَرُ اللون :" أَيْ هُوَ رَجُلٌ"أَحْمَرُ"أَيْ: لَوْنًا". [3]

١١. قَصِيرِ القامة: قَالَ ﷺ"إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ"[4].

خامساً: مولد الدجال ومكان وجوده

اختلف الناس في مولد الدجال هل مولود وحي يرزق أم أنه سيولد بعد:

الفريق الأول: أن المسيح الدجال حي يرزق لكنه محبوس في مكان ما في جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ كما جاء في الحديث الطويل الذي رواه مسلم[5] أنَ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ بعدما رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ كَثِيرَةُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ فأخبرتهم أن هَنَاك رَّجُلٍ فِي الدَّيْرِ، وإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ فَانْطَلَقُوا سِرَاعًا إِلي الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٍ عَظِيمُ الخَلْق، شَدِيدُ الوِثَاق، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ فقد أُحكم وثاقه وشدت أغلاله، فسألهم فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ ثم قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، ثم قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، ثم قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مكَةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ

---

[1] انظر: مرقاة المفاتيح: القاري(٨ /٣٤٧٧).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد(ح٥٢١١).

[3] مرقاة المفاتيح: القاري (٨ /٣٤٧٧).

[4] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال (ح٣٧٦٣) قال الألباني: صحيح.

[5] انظر: الحديث بطوله في صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة(ح٥٢٣٥).

كِلْتَاهُمَا، فلما رجعوا وذهب تَمِيمَ الدَّارِيَّ إلى رسول الله، وأسلم بين يديه، وجمع رسول الله ﷺ الصحابة بعد الصلاة وحدثهم ما كان من تميم ومن معه وقصة الجساسة والدجال ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: "هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ"- يَعْنِي الْمَدِينَةَ -"أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ "فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، "فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ "وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ"[1] فالحيث يدلل أن الدجال موجود حيٌّ مشدود الوثاق في مكان معلوم لله مجهول للناس، يخرج عندما يأتي أمر الله ولا أحد يستطيع الوصول إليه أو يطلق سراحه لأن له وقتاً مقدراً فلا يتقدم ساعة ولا يتأخر.

الفريق الثاني: أن المسيح الدجال لم يولد بعد، وسيولد في آخر الزمان، ولادة طبيعية كباقي البشر[2]، ولكن لا يمكن أن يكون له ولد، كما جاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"يَمْكُثُ أَبُو الدَّجَّالِ وَأُمُّهُ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرُ أَضَرُّ شَيْءٍ وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ثُمَّ نَعَتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ أَبُوهُ طِوَالٌ ضَرْبُ اللَّحْمِ كَأَنَّ أَنْفَهُ مِنْقَارٌ وَأُمُّهُ فِرْضَاخِيَّةٌ [3]طَوِيلَةُ الْيَدَيْنِ[4]". والأول أصح[5].

---

[1] الحديث السابق.

[2] انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين(٣/٤٦٩). دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، وقيل أن الدَّجَّالُ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ مُوثَقٌ بِسَبْعِينَ حَلْقَةً وقيل غير ذلك، انظر: لوامع الأنوار البهية: السفاريني(٢/١٠٩).

[3] فرضاخية: أيْ ضَخْمَة عَظِيمة الثَّدْيَين، تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (٧/٢٦٥) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

[4] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في ذكر ابن صياد (ح٢١٧٤) قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: ضعيف.

[5] انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ص١٣٢١) تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

سادساً: الدجال وابن صياد[1]؟

التبس على العلماء قديماً وحديثاً في ابن صياد، وأشكل عليهم أمره، فمن قائل أنه الدجال، ومنهم من يقول أنه ليس الدجال، ومع كل فريق دليله، فتضاربت أقوالهم كثيراً، كما قال النووي:"قَالَ الْعُلَمَاءُ وَقِصَّتُهُ مُشْكِلَةٌ وَأَمْرُهُ مُشْتَبَهٌ فِي أَنَّهُ هَلْ هُوَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ الْمَشْهُورُ أم غيره ولاشك فِي أَنَّهُ دَجَّالٌ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ"[2]

الفريق الأول: ابن صياد هو الدجال وقد جزم بذلك بعض الصحابة كعمر، وجابر بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وكان جَابِرَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ،أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ هو الدَّجَّالُ كما جاء في الحديث عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ:"رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ: أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَّالُ، قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ:"إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ"[3]

وكذلك ابن عمر ﷺ فقد روي عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا؟"[4]وعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ:"وَاللَّهِ، مَا أَشُكُّ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ابْنُ صَيَّادٍ"[5]

---

[1] عَبْد اللَّهِ بْن صياد. أورده ابن شاهين وقال: هو ابن صائد، كان أبوه من اليهود، لا يدري ممن هو؟ وهو الذي يقول بعض الناس: إنه الدجال. ولد في عهد رسول الله ﷺ أعور مختونًا، من ولده: عمارة بْن عَبْد اللَّهِ بْن صياد، من خيار المسلمين، من أصحاب سعيد ابن المسيب. روى عنه مالك وغيره، أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير(٣ /١٧٨) ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(٥ /١٤٨) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

[2] شرح النووي على صحيح مسلم (٤٦/١٨).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من رأى ترك النكير(ح٦٨٠٨).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد(ح٥٢١٦).

[5] أخرجه ابو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صياد(ح٣٧٦٩) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح(ح ٥٥٠١). (١٥٢١/٣).

الفريق الثاني: ابن صياد ليس هو الدجال وذهب إلى هذا القول جمهرة من العلماء منهم: الْبَيْهَقِيُّ وابن الأثير والسفاريني والْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ وغيرهم.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ لَيْسَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَكْثَرُ مِنْ سُكُوتِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حَلِفِ عُمَرَ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ مُتَوَقِّفًا فِي أَمْرِهِ ثُمَّ جَاءَهُ الثَّبْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ غَيْرُهُ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ قِصَّةُ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَبِهِ تَمَسَّكَ مَنْ جزم بَان الدَّجَّال غير بن صَيَّادٍ وَطَرِيقُهُ أَصَحُّ"[1]

قال النووي" ظَاهِرُ الْأَحَادِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ ولاغيره وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِصِفَاتِ الدَّجَّالِ وَكَانَ فِي بن صَيَّادٍ قَرَائِنُ مُحْتَمِلَةٌ فَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لايقطع بأنه الدجال ولاغيره وَلِهَذَا قَالَ لِعُمَرَ ﷺ إِنْ يَكُنْ هُوَ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ"[2]

ويقول السفاريني:"وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ أَحَادِيثَ وَآثَارٍ صَحِيحَةٍ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ صَرِيحَةً وَلَا نَصًّا فِي أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَّالُ"[3] ثم قال:"وَالْحَاصِلُ أَنَّ كَوْنَ الدَّجَّالِ هُوَ ابْنُ صَيَّادٍ بَعِيدٌ بَلْ ضَعِيفٌ"[4]

ويقول السفاريني عن ابْنِ حَجَرٍ:"حَاصِلُ كَلَامِ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ أَنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ الدَّجَّالَ غَيْرُ ابْنِ صَيَّادٍ وَوَافَقَهُ فِي الْإِشَاعَةِ، وَإِنْ وَافَقَهُ ابْنُ صَيَّادٍ فِي كَوْنِهِ أَعْوَرَ وَمِنَ الْيَهُودِ وَأَنَّهُ سَاكِنٌ فِي يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانَ"[5]

وقال ابن الأثير"قلت: الذي صح عندنا أَنَّهُ ليس الدجال، لما ذكره في هذا الحديث، ولأنه توفي بالمدينة مسلمًا، ولحديث تميم الداري في الدجال وغيره "[6]

الخلاصة: والصحيح أن ابن صياد ليس هو المسيح الدجال وإنما هو دجال من الدجاجلة والنبي ﷺ لم يوح إليه من أمره بشيء وتوقفه ﷺ في أمره كان قبل أن يأتيه البيان، فلما أتاه البيان من تميم الداري صرح بذلك، وجمع الناس وأخبرهم ماحصل مع

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (٣٢٦/١٣).

[2] شرح النووي على صحيح مسلم (٤٦/١٨).

[3] لوامع الأنوار: السفاريني (١٠٧/٢).

[4] المصدر السابق (١٠٨/٢).

[5] المصدر السابق (١٠٧/٢).

[6] أسد الغابة: ابن الأثير(٣ /١٧٩) ،

تميم الداري ورؤية الدجال في جزيرة من جزر البحر، ولا شك بأن ابن صيّادٍ دجال من الدجاجلة. إلا أنه لم يكن الدجال المنتظر.

سابعاً: سبب خروج الدجال

الدجال يخرج من محبسه من غضبةٍ يغضبها، فتنفك قيوده كما روت حفصة أم المؤمنين عن النبيﷺ قال"إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا"[1]، والغضبة ليست سبب خروج بل هي إرادة الله الذي قدر كل شيء، وجعل لكل شيء سببا، وعند خروج الدَّجَّالَ يَتْبَعُه سبعون ألفاً من يَهُودِ أَصْبَهَانَ، عليهم الطيالسة (الطرفة)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ"[2].

ثامناً: مكان خروج الدجال

اختلف العلماء في تحديد مكان خروج الدجال كما قال ابن حجر:"وَأَمَّا مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ فَمِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ جَزْمًا ثُمَّ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ أَخْرَجَ ذَلِكَ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ وَفِي أُخْرَى أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ أَصْبَهَانَ أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ"[3]

تاسعاً: أساليب الدجال في إغواء الناس

يستخدم الدجّال في إغواء الناس ودعوته عدة أساليب منها:

١- **يزين للناس بأنه يبعث لهم الأموات:** كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قال: قال: ﷺ"وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَقُولَانِ يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ"[4].

٢- **يقتل الرجل وينشره بالمنشار شقين ثم يحييه بإذن الله:** وذلك لفتنة ضعاف النفوس جاء في الحديث قال ﷺ:"وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ ثُمَّ يَقُولَ انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ ثُمَّ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد(ح٥٢١٦).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال(ح٥٢٣٧).

[3] فتح الباري: ابن حجر (٩١/١٣).

[4] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال (ح٤٠٦٧) قال الألباني: صحيح.

يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنْتَ الدَّجَّالُ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ"[1]

٣- بيده خزائن الأرض من المطر والزرع: فيهلك زروع وبهائم المنكرين له وينبت زروع وبهائم المؤمنين به، قال: ﷺ"وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُونَهُ فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ فَيَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمَهُ وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا"[2].

٤- مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ: كما جاء في الحديث قال ﷺ:"وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ فَمَنْ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ فَلْيَسْتَغِثْ بِاللَّهِ وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ"[3].

٥- معه نهران يجريان: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ قَالَ:"إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ". [4]

٦- اتباع كنوز الأرض: قال ﷺ"وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ[5] النَّحْلِ"[6].

---

[1] الحديث السابق.

[2] الحديث السابق.

[3] الحديث السابق.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح٥٢٢٥).

[5] اليَعْسُوبُ: أميرُ النَّحْل وذَكَرُهَا، واستُعمِل بعد ذَلِكَ فِي (الرَّئِيس الكَبِيرِ) والسيِّد والمُقَدَّم، وأَصلُه فَحْلُ النَّحْلِ، جَمْعُه يَعَاسِيبُ، تاج العروس: الزَّبِيدي (٣/٣٦٩).

[6] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح٥٢٢٨).

عاشراً: كيفية النجاة من الدجال

إن فتنة الدجال ضعيفة على المؤمنين، لأن عباد الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فليس للدجال ولا للشيطان عليهم سبيلا قال ﷻ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] فالله يحفظ عباده من كيد الدجال بما أعطاهم من الإيمان العميق والتسليم المطلق لأمر الله، وبما أخبرهم رسول الله ﷺ من علامات الدجال وأوصافه.

النجاة من هذه الفتنة بـ:

١. **المحافظة على الدعاء:** الذي أمرنا به الرسول ﷺ وهو دعاء الاستعاذة بالله من فتنة الدجال"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ"[1] فالاستعاذة بالله هي الركن الحصين، يلجأ الإنسان إليه في كل شأنه."

٢. **قراءة سورة الْكَهْف:** أو عشر آيات من أولها أو عشر آيات من آخرها، فإنها تعصم الإنسان من الدجال بإذن الله، كما جاء في حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:"مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ"قَالَ شُعْبَةُ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ و قَالَ هَمَّامٌ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْف"[2] فسورة الكهف لها شأن عظيم، وفيها من العجائب والآيات الباهرات التي تَعصمُ من تدبرها من فتنة الدجال، وقد ورد الحث على قراءتها، وخاصة في يوم الجمعة، كما في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أن النبي ﷺ قال:"إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ"[3] قال المناوي مبينا سبب العصمة:"وذلك لما في قصة أهل الكهف من العجائب، فمن علمها لم يستغرب أمر

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (ح٩٢٥).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف (ح١٣٤٢).

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف(ح٣٣٩٢) (٢/ ٣٩٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.

الدجال فلا يفتن، أو لأن من تدبر هذه الآيات وتأمل معناها حذره، فأمن منه، أو هذه خصوصية أودعت في السورة"[1].

٣. **المكوث بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ**: في حال ظهور الدجال، إذ إن الدجال لا يدخلهما، فقد دلت الأحاديث على أن المسيح الدجال يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ"[2].

حادي عشر: هلاك الدجال

فتنة الدجال لا تستمر في الأرض طويلا، أربعين يوما كما قال رسول الله ﷺ:"قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ"[3]، حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله وينهي أمره.

ويأتي هلاكه بعد أن يسير في الأرض سيرا حثيثا، يضل الناس بضلاله، ويؤذيهم بشروره، فيهرب الناس المؤمنون إلى الجبال، ويحاصرون هناك ومعهم المهدي عليه السلام، حتى يشتد فيهم الجوع والجهد والتعب، وبينما هم كذلك ينزل عليهم الفرج من الله، ويؤمر عيسى بالنزول من السماء، فينزل عند منطقة المنارة البيضاء شرق دمشق وقد أقيمت صلاة الصبح، فيصلي بهم المهدي عليه السلام وعيسى عليه السلام معهم، فما إن يسلموا من الصلاة، حتى يخرجوا، فما إن يراه الدجال حتى يذوب كما يذوب الملح، فيفر هاربا فيلحقه عيسى عليه السلام، ومن معه من المؤمنين، فيدركونه عند باب لدٍّ في فلسطين، فيقتله، فيريهم الله دمه في حربته، فيحقق حينئذ لأتباعه اليهود والكفرة المشركين أنه لم يكن رباً، وإلا لما قتله عيسى عليه السلام فينهزم جند اليهود السبعون ألفاً وعليهم الطيالسة، يفرون ويختبئون من عيسى والمهدي والمسلمين، فيُنْطِق الله ﷻ الشجر والحجر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ

---

[1] فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (٦ /١١٩) المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينة (ح١٧٤٨).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح٥٢٢٨).

اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"[1]، فيُقتَلُون شر قِتْلَة وتتطهر الأرض من رجس اليهود.

مما سبق يتضح أن خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى الثابتة، فقد أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بخروج الدجال في آخر الزمان بالأخبار المتواترة والأدلة الثابتة، ولم ينكر خروجه إلا بعض المبتدعة كالخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وبعض الكتاب العصريين والمنتسبين إلى العلم، ولم يعتمدوا على حجة يدفعون بها النصوص المتواترة سوى عقولهم وأهوائهم، ومثل هؤلاء لا عبرة بهم ولا بقولهم، فكل هؤلاء قد ردوا ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم.

العلامة الثانية: نزول المسيح[2] عيسى عليه السلام

نزول عيسى هي العلامة الثانية في الظهور، حيث يعتقد المسلمون أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب، كما يعتقد اليهود والنصارى بل رفعه الله إلى السماء، وانه سيعود بعد غيبته إلى الأرض، يقيم الحق ويدعو إلى الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الدجال والخنزير.

أولاً: الأدلة من القرآن والسنة على نزول المسيح عيسى عليه السلام

١. أدلة نزول المسيح عيسى عليه السلام من القرآن

أ- قال ﷻ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (ح٥٢٠٣).

[2] سمي المسيح عيسى عليه السلام مسيحا، فلحسنه، أو لسياحته، أو لخروجه من بطن أمه ممسوحا بالدهن أو لأنه يمسح بيده المريض والأعمى والأكمه والأبرص فيبرأ بإذن اللّه تعالى حالا انظر: بيان المعاني: ملا حويش (ص٤٤٧) مرقاة المفاتيح: القاري(٨/٣٤٧٧).

يَقِينًا(١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا(١٥٩) ﴾. [النساء].

قال الطبري:"اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩] يَعْنِي بِعِيسَى ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩] يَعْنِي: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى ، يُوَجِّهُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ جَمِيعَهُمْ يُصَدِّقُونَ بِهِ إِذَا نَزَلَ لِقَتْلِ الدَّجَّالِ ، فَتَصِيرُ الْمِلَلُ كُلُّهَا وَاحِدَةً ، وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةُ ، دِينُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ"[1].

المعنى: لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام.فالضمير في (قَبْلَ مَوْتِهِ)عائد إلى عيسى ابن مريم، (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ).

ب- قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الزُّخرف: ٦١]

قال الطبري"اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْهَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠]وَمَا الْمَعْنِيُّ بِهَا ، وَمَنْ ذَكَرَ مَا هِيَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مِنْ ذِكْرِ عِيسَى، وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْهِ وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلَامِ: وَإِنَّ عِيسَى ظُهُورُهُ عِلْمٌ يُعْلَمُ بِهِ مَجِيءُ السَّاعَةِ، لِأَنَّ ظُهُورَهُ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَنُزُولَهُ إِلَى الْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى فَنَاءِ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ"[2].

قَالَ القرطبي:"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ أَيْضًا: إِنَّهُ خُرُوجُ عِيسَى عليه السلام، وَذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ قُبَيْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ"[3]

فالضمير في الآية عائد إلى عيسى ابن مريم عليه السلام وهو دليل على قيام الساعة، وهذا المعنى مروي عن عدد من أئمة التفسير فقد اختاره ناصر الدين البيضاوي[4] والنسفي[5]وغيرهم.

---

[1] جامع البيان: الطبري (٦٦٣/٧).

[2] المصدر السابق (٦٣١/٢٠).

[3] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١٠٥/١٦).

[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٩٤/٥) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

[5] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (٢٧٩/٣) تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٢. أدلة نزول المسيح عيسى ﷺ من السنة

الأحاديث الدالة على نزول المسيح عيسى ﷺ كثيرة منها:

أ- عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"[١].

ب-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ"لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ يَعْنِي عِيسَى وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ[٢] كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"[٣]

قال الحافظ ابن كثير، معلقا على أحاديث نزول عيسى ﷺ"فَهَذِهِ أَحَادِيثُ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، وَأَبِي أُمَامَةَ وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَمُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ وَأَبِي سَرِيحَةَ وَحُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ ﷺ، وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى صِفَةِ نُزُولِهِ وَمَكَانِهِ مِنْ أَنَّهُ بِالشَّامِ بَلْ بِدِمَشْقَ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح".

قَالَ النووي:"قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى نُزُولُ عِيسَى ﷺ وَقَتْلُهُ الدَّجَّالَ حَقٌّ وَصَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي ذَلِكَ وَلَيْسَ فى العقل ولافى الشَّرْعِ مَا يُبْطِلُهُ فَوَجَبَ إِثْبَاتُهُ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ بعض المعتزلة والجهيمة وَمَنْ وَافَقَهُمْ وَزَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مَرْدُودَةٌ بقوله تعالى وخاتم النبيين وَبِقَوْلِهِ ﷺلَا نَبِيَّ بعدى وباجماع المسلمين أنه لانبى بَعْدَ نَبِيِّنَا ﷺ وَأَنَّ شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لاتنسخ وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِنُزُولِ عِيسَى ﷺ أَنَّهُ يَنْزِلُ نَبِيًّا بِشَرْعٍ ينسخ شرعنا ولا فى هذه

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم (ح٣١٩٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً (ح٢٢٠).

[٢] المُمَصَّرَةُ مِنَ الثِّيَابِ: الَّتِي فِيهَا صُفْرة خَفِيفَةٌ، لسان العرب: ابن منظور(١٧٦/٥).

[٣] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال (ح٣٧٦٦) قال الألباني: صحيح.

الأحاديث ولافى غَيْرِهَا شَيْءٌ مِنْ، هَذَا بَلْ صَحَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ هُنَا وَمَا سَبَقَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَغَيْرِهَا أَنَّهُ يَنْزِلُ حَكَمًا مُقْسِطًا بِحُكْمِ شَرْعِنَا وَيُحْيِي مِنْ أُمُورِ شَرْعِنَا مَا هَجَرَهُ النَّاسُ".[1]

ونُزُولِ عِيسَى عليه السلام بروحه وجسده، قال العظيم آبادي:"تواترت الأخبار عن النبي في نزول عيسى بن مريم مِنَ السَّمَاءِ بِجَسَدِهِ الْعُنْصُرِيِّ إِلَى الْأَرْضِ عِنْدَ قُرْبِ السَّاعَةِ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ"[2]

ثانياً: زمان ومكان نزول عيسى عليه السلام

١. زمان نزول المسيح عيسى عليه السلام

يكون نزول عيسى عليه السلام بعد ظهور المهدي وخروج الدجال، بعد أن يقضي الدجال مدة مكثه، فينزل عيسى عليه السلام مع صلاة الفجر"كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمْ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ"[3]، حيث يصطف المسلمون للصلاة، وقد تقدم إمامهم المهدي للصلاة بهم، فعندما يعلم بعيسى عليه السلام يتأخر ويطلب من عيسى عليه السلام أن يتقدم ليؤمهم، فيأبى عيسى ويقول لا، إن بعضكم على بعض أمير، كما روى عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ بِنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمِيرٌ لِيُكْرِمَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ"[4].

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم. (١٨/٧٥).

[2] عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب(١١/٣٠٧) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

[3] أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم(ح٤٠٦٧) قال الألباني: صحيح.

[4] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله (ح١٤١٩٢) قال الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة وقد توبع، وقال الألباني: صحيح.

ولعل سائلاً يسأل لماذا لم يصلِّ عيسى ابن مريم إماما وهو نبي؟ والجواب كما قال ابن الجوزي:"لو تقدم عيسى إماما لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا؟ فصلى مأموما، لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله"لَا نَبِيَّ بَعْدِي"[1]،"وَفِي صَلَاةِ عِيسَى خَلْفَ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ كَوْنِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَقُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ دَلَالَةٌ لِلصَّحِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو عَنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ"[2].

ولو تقدم عيسى عليه السلام لتشكك المشككون في إمامته أنه يخالف رسالة الإسلام فعدم تقدمه للإمامة يخرس كل الألسنة أنه متبع لنبي هذه الأمة ورسالة الإسلام.

٢. مكان نزول المسيح عيسى عليه السلام:

ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، وعليه مهرودتان، ، كما روى عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:"فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ"[3].

يقول ابن كثير:"الْأَشْهَرُ فِي مَوْضِعِ نُزُولِهِ أَنَّهُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ؟ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي جَامِعِ دِمَشْقَ فَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَحْفُوظُ، وَتَكُونُ الرِّوَايَةُ فَيَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ فَتَصَرَّفَ الرَّاوِي فِي التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وَهَذَا هُوَ الْأَنْسَبُ وَالْأَلْيَقُ، لِأَنَّهُ يَنْزِلُ وَقَدْ أقيمت الصلاة"[4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ح٣١٩٦).

[2] فتح الباري: ابن حجر(٦/٤٩٤).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح٥٢٢٨).

[4] النهاية في الفتن والملاحم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(١/١٩٢) تحقق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

ثالثاً: أوصاف المسيح عيسى عليه السلام

أخبرنا الرسول ﷺعن صفات عيسى عليه السلام فجاء في الروايات أنه رجل مربوع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير، جعد أحمر اللون، عريض الصدر، أقرب الناس شبها به عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه.

أ- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"..وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ[1]"[2].

ب-عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ: ﷺ"رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ"[3].

ت-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:"لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ يَعْنِي عِيسَى وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ"[4].

ث-عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"....وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود [5]"[6].

---

[1] السَّبْطُ من الشعر المُنْبَسِطُ المُسْتَرْسِلُ، لسان العرب: ابن منظور(٣٠٩/٧).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (ح٣٠٠٠).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾(ح٣١٨٣).

[4] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال(ح٣٧٦٦) قال الألباني: صحيح.

[5] **عروة بن مسعود الثقفى** الصحابى رضي الله عنه هو أبو مسعود، وقيل: أبو يعفور، عروة بن مسعود بن معتب بن مالك ابن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن عكرمة ابن خفصة بن قيس عيلان، الثقفى، وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف القريشية، يجتمع هو والمغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود في مسعود. قال ابن إسحاق: لما انصرف النبي ﷺ من ثقيف تبعه عروة بن مسعود، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، وكان فيهم محببًا، مطاعًا، فرجع إليهم، وأظهر دينه، ودعاهم إلى الإسلام، فرموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فادفنوني في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ، تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٣٣٢/١) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

[6] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الاسراء برسول الله ﷺ (ح٢٤٤).

من خلال ما سبق يمكن تحديد أوصاف المسيح عيسى عليه السلام بـ:

١. عيسى عليه السلام شاب عندما رُفع كان في سن الثالثة والثلاثين.

٢. رجل مربوع أي بين الطويل والقصير (متوسط الطويل).

٣. لونه بين البياض والحمرة.

٤. عريض الصدر.

٥. ناعم الشعر كأنه اللؤلؤ، كأنه خارج من حمام، إذا طأطأ رأسه يقطر منه الماء.

٦. ينزل لابساً ثوبين (إزاراً ورداءً) مصبوغات بميل إلى الصفرة.

٧. ينزل واضعا كفيه على أجنحة ملكين.

٨. يشبه **عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ** الثقفي رضي الله عنه.

رابعاً: الأعمال والأفعال التي يقوم بها المسيح عيسى عليه السلام

١. قتل الدَّجَّالُ

ينزل نبي الله عيسى عليه السلام والمسلمون في حال إعداد أنفسهم لحرب الدجال، وعلمنا أن الصلاة تقام في ذلك الوقت، فيصلي عيسى عليه السلام خلف الرجل الصالح، وعندما يعلم الدجال بنزول عيسى عليه السلام يهرب، فيلحقه نبي الله إلى بيت المقدس فيدركه وقد حاصر عصابة من المسلمين، فيأمرهم عيسى عليه السلام بفتح الباب فيفعلون، ويكون وراءه الدجال فينطلق هاربا، فيلحقه نبي الله عليه السلام فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقضي عليه وعلى من معه من يهود.

جاء في الحديث الصحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"...فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَى عليه السلام افْتَحُوا الْبَابَ فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا وَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ

اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةَ إِلَّا الْغَرْقَدَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ إِلَّا قَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَاب كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ"[2]

وهكذا يكون أول عمل يقوم به نبي الله عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء هو صلاة الفجر، ثم مواجهة الدجال والقضاء عليه وعلى من يتبعه من يهود، فيرى اليهود والمسلمون دمه ليتأكد للجميع أنه ليس بإله.

٢.إقامة العدل والحكم بالإسلام

عندما ينزل عيسى عليه السلام من السماء يكون تابعا لشرع الإسلام، فيحكم بكتاب الله ﷻ، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وبذلك يقضي على كل الشرائع سوى الإسلام، جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ"[3]

- فيكسر الصليب ليحطم أسطورة الصلب.
- ويقتل الخنزير ليثبت لهم أنهم خرجوا عن تعاليمه.
- ويضع الجزية ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ليثبت لهم اتباعه للإسلام، فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة مجدداً لها؛ فهي آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل.

---

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم(ح٤٠٦٧) ،صححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير(ح٧٨٧٥) صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري، المكتب الإسلامي، بدون.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فتح القسطنطينية وخروج الدجال(ح٥١٥٧).

[3] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال(ح٣٧٦٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

٣.هلاك يأجوج ومأجوج

إن خروج قوم يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى، والمراد هنا بيان أن عيسى عليه السلام بعد أن يقضي على الدجال وفتنته، يفسد هؤلاء القوم في الأرض فسادا كبيرا، فيتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيهلكهم شر هلكة، ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في الكلام على يأجوج ومأجوج.

٤.يحج المسيح عيسى عليه السلام إلى الكعبة أو يعتمر أو كليهما. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ[1] حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا"[2] قال النووي:"قَوْلُهُ ﷺ لَيَثْنِيَنَّهُمَا...مَعْنَاهُ يَقْرُنُ بَيْنَهُمَا وَهَذَا يَكُونُ بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى عليه السلام مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ"[3].

٥.رفع الشحناء والتباغض من بين الناس، وانتشار الأمن والرخاء بين الخلق.

من الأمور التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ أنها تحدث في زمن عيسى عليه السلام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ [4] فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ"[5].وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ

---

[1] **فجّ الروحاء**: بين مكة والمدينة كان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحجّ، معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(٤/٢٣٦) دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه (ح٢١٩٦).

[3] شرح النووي على صحيح مسلم(٨/٢٣٤).

[4] **القلاص**: جمع قلوص وهي الناقة الصابرة على السير من النوق، وقيل القلوص الطويلة القوائم والمعنى: أي لا يَخرج ساعٍ إلى زكاة لِقلّة حاجة الناس إلى المال واستِغنائهم عنه: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي(ص٤٥) تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، دار النشر: مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا(٢٢١).

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ"[1]

أي بعد أن تضع الحرب أوزارها يعيش الناس في نعمة ورخاء، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد. وترتفع الشحناء والبغضاء بين الناس ويدخل الناس في دين الإسلام أفواجا.

أ- وينزع السم من ذوات السموم حتى يُدخل الوليد يده في الحية فلا تضره.

ب- ويلعب الصبيان مع الأسود والسباع فلا تصيبهم بأذى.

ج- ويكون الذئب مع الغنم كأنه حارسها.

د- يعم الرخاء بين الناس، حيث تخرج الأرض بركتها وتنزل السماء ماءها.

خامساً: الحكمة من نزول المسيح عيسى عليه السلام دون غيره

ورُبَّ سائلٍ يسأل عن الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء، فقد أجاب العلماء بما يلي:

١ - الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال، ورجح ابن حجر هذا القول على غيره [2].

٢ - أن عيسى عليه السلام وَجَدَ في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]. فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجددا لما درس من دين الإسلام دين محمد ﷺ ، فتوافق خروج الدجال فيقتله [3].

٣ - أن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنو أجله ليدفن في الأرض ؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام، يقول القرطبي "يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو أجله لا لقتال الدجال، لأنه لا ينبغي لمخلوق من التراب

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق (ح٨٩٠٢) قال الأرنؤوط: صحيح.

[2] انظر: فتح الباري: ابن حجر(٦/٤٩٣).

[3] انظر: التذكرة: القرطبي(ص١٣٠٤).

أن يموت في السماء لكن أمره يجري على ما قال ﷻ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]فينزله الله تعالى ليقبره في الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه، ويسمع به من نأى عنه، ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره و يصلون عليه و يدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم، وهي الأرض المقدسة، فينشر إذا نشر معهم، فهذا سبب إنزاله"[1].

٤ -. وفي نزوله أيضاً رد على النصارى الذين يزعمون أنه قتل وصلب، فيكسر الصليب، ورد عليهم في بشريته حيث يزعمون أنه إله، فيعلن إسلامه ويعلن بشريته للناس فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل.

٥ – له خصوصيه لقول النبي ﷺ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ"[2]فرسول الله ﷺ أخص الناس وأقربهم إليه، فإن عيسى ﷺ مبشر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به [3] كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]وفي الحديث عن لُقْمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ"[4]

وأخيرا نقول إن عيسى ﷺ هو النبي الوحيد الذي ثار على اختفائه سر عظيم لحكمة جليلة تتحقق يوم القيامة وتتفسر للناس كافة.

---

[1] المصدر السابق (ص ١٣٠٣).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم(ح٣١٨٦) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ﷺ(ح٤٣٦٠).

[3] انظر التصريح بما تواتر في نزول المسيح: محمد أنور شاه (ص ٩٤) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

[4] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، من حديث أبي أمامة الباهلي (ح٢١٢٣١) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

سادساً: مدة بقاء المسيح عيسى ﷺ بعد نزوله

بعض الروايات تذكر أنه يمكث سبع سنين، وفي الروايات الأخرى أنه يمكث أربعين، عاما ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:"فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ"[١]، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّه ﷺ قَالَ"فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"[٢].

وقد جمع ابن كثير بين الروايتين فقال:"هكذا وقع في الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر أَنَّهُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ سَبْعَ سِنِينَ فَهَذَا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هَذِهِ السَّبْعُ عَلَى مُدَّةِ إِقَامَتِهِ بَعْدَ نُزُولِهِ وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور والله أَعْلَمُ"[٣].

سابعاً: موت المسيح عيسى ﷺ ودفنه

لم يرد عن الشارع نص يبين لنا مكان موت عيسى ﷺ ، ولكن ذكر بعض العلماء أنه يموت ﷺ في المدينة النبوية، وقيل إنه يدفن مع رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما، قال القرطبي:"قال كعب الأحبار: ثم يقبض الله روح عيسى و يذوق الموت، ويدفن إلى جانب النبي ﷺ في الحجرة، ويموت خيار الأمة، ويبقى شرارها، في قلة من المؤمنين، فذلك قوله ﷺ:"بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"[٤] و قيل: إنه يدفن بالأرض المقدسة مدفن الأنبياء"[٥].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه(ح ٥٢٢٣).

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق (ح٨٩٠٢) قال الأرنؤوط: صحيح.

[٣] النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير(١/١٩٣).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان لأن الإسلام بدأ غريباً، ح(٢٠٨).

[٥] التذكرة: القرطبي (ص ١٣٠١).

العلامة الثالثة: ظهور يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج هم أمة كبيرة من الناس، سيفاجأ العالم عند خروجهم من كل حدب، حيث سينشرون الفساد والدمار في الأرض على نحو مذهل وطريقة مرعبة، ولكن القرآن يخفي عنا ميعاد ظهورهم، فأصبح موعدهم لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولكنه أخبرنا أن موعدهم سيكون عند اقتراب الساعة.

ولكن من هم يأجوج ومأجوج؟ وما هي أوصافهم؟ وأين هم الآن؟ ومتى يخرجون؟

أولاً: الأدلة على خروجهم من القرآن والسنة

١. أدلة ظهور يأجوج ومأجوج من القرآن

أ- قال ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا(٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا(٩٤)﴾. [الكهف].

ب- قال ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾. [الأنبياء:٩٦].

٢. أدلة ظهور يأجوج ومأجوج من السنة

أ- عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ"[1].

ب- حديث النواس بن سمعان ﷺ ، وفيه:"إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته(ح ٥٢٢٨).

النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ..... ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَقُولُونَ لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا"[1].

قال السفاريني:"خُرُوجَهُمْ مِنْ وَرَاءِ السَّدِّ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ ثَابِتٌ لِوُرُودِهِ فِي الذِّكْرِ وَثُبُوتِهِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ وَلَمْ يُحِلْهُ عَقْلٌ فَوَجَبَ اعْتِقَادُهُ"[2].

ثانياً: من هم يأجوج ومأجوج؟

يأجوج ومأجوج هم طائفتان من الترك من ذرية آدم وحواء من أولاد يافث بن نوح حيث إن لنوح ثلاثة أبناء، هم: **حام**، وهو أبو الحبش، **وسام**، وهو أبو العرب والفُرس والروم **ويافث**، وهو أبو الترك والصين واليابان والمنغول [3].

والذي رجحه ابن حجر أنهم قبيلتان من ولد يافث بن نوح [4]. وقال ابن كثير"أَنَّهُمْ مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ عليه السلام ، بَلْ هُمْ مِنْ نَسْلِ نُوحٍ أَيْضًا مِنْ أَوْلَادِ يَافِثَ"[5].

ويؤيد ذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج (ح ٦٦٠٢).

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (١١٦/٢).

[3] انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(٢١٤/٣) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

[4] فتح الباري: ابن حجر (٣٨٦/٦).

[5] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٣٧٢/٥).

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ قَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا"[1]

قال ابن حجر: "يَأْجُوجُ أُمَّةٌ وَمَأْجُوجُ أُمَّةٌ كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ لَا يَمُوتُ أَحَدُهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ صُلْبِهِ كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ السِّلَاحَ لَا يَمُرُّونَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا خَرَجُوا إِلَّا أَكَلُوهُ وَيَأْكُلُونَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ"[2].

ثالثاً: أوصاف يأجوج ومأجوج؟

جاء في الحديث أن أوصافهم صغار الأعين عراض الوجوه (مستديرة)، عَنِ ابْنِ حَرْمَلَةَ ﷺ عَنْ خَالَتِهِ رضي الله عنها قَالَتْ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَاصِبٌ إِصْبَعَهُ مِنْ لَدْغَةِ عَقْرَبٍ فَقَالَ: "إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ الشِّعَافِ[3] مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ[4]"[5].

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج(ح ٣٠٩٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار (ح ٣٢٧).

[2] فتح الباري: ابن حجر (٦/٣٨٦).

[3] صُهْبُ الشِّعَافِ: يُرِيد شعر الرؤوس وَاحِدهَا شعفة وَهِي أَعلا الشّعْر وشعفة كل شَيْء أَعْلَاهُ، غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(١/٤٠٠) تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ

[4] الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ: المجان جمع المجن وهو الترس، وشبه وجوههم في عرضها ونتو وجناتها بالترسة قد ألبست الأطرقة، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م، والمعنى: أَيْ غِلَاظُ الْوُجُوهِ عِرَاضُهَا، المصباح المنير: الفيومي(٢/٢٧١).

[5] أخرجه أحمد في مسنده: باقي مسند الأنصار، حديث إمرأة رضي الله عنها (ح٢٢٣٣١) قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ابن حرملة، وهو خالد بن عبد الله بن حرملة، وروى له مسلم حديثاً واحداً متابعةً، وذكره ابن حبان في"ثقاته"، وقال الحافظ ابن حجر في"التقريب": مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فليّن الحديث، وهو هنا لم يتابع، لا سيما وقد ثبتت هذه الأوصاف المذكورة في الحديث في التُّرك وليس في يأجوج ومأجوج، وذلك في حديث أبي هريرة في"الصحيحين"والهندي في كنز العمال (ح٣٨٨٧٣) (١٤/٣٤١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

رابعاً: مكان وجود يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج موجودون ومحبوسون خلف السد، حتى يأتي أمر الله بخروجهم، هذا ما حدثنا به القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ(٩٦) ﴾. [الأنبياء]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: "مِنْ كُلِّ شَرَفٍ يُقْبِلُونَ، أَيْ لِكَثْرَتِهِمْ يَنْسِلُونَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ"[1]

فيأجوج ومأجوج محبوسون خلف هذا السد الذي بناه عليهم ذو القرنين [2] سداً قوياً من الحديد والنحاس ثخين وسميك، حيث إنهم لم يستطيعوا أن يثقبوه أو أن يتسلقوه لعلوه وارتفاعه، لأن هذا السد العظيم بين جبلين عظيمين.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٣٤١/١١)

[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَلِكًا صَالِحًا، رَضِيَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، وَكَانَ مَنْصُورًا، وَكَانَ الْخَضِرُ وَزِيرَهُ. وَذَكَرَ أَنَّ الْخَضِرَ ﷺ، كَانَ عَلَى مُقَدِّمَةِ جَيْشِهِ وَكَانَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاوِرِ، الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ فِي إِصْلَاحِ النَّاسِ الْيَوْمَ. وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ وَغَيْرُهُ، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَطَافَ مَعَهُ بِالْكَعْبَةِ الْمُكَرَّمَةِ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ، ﷺ. وَرُوِيَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ حَجَّ مَاشِيًا، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا سَمِعَ بِقُدُومِهِ تَلَقَّاهُ وَدَعَا لَهُ وَرَضَّاهُ، وَأَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ السَّحَابَ يَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ ذَا الْقَرْنَيْنِ: فَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي رَأْسِهِ شِبْهُ الْقَرْنَيْنِ. وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ لَهُ قَرْنَانِ مِنْ نُحَاسٍ فِي رَأْسِهِ. وَهَذَا ضَعِيفٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ: لِأَنَّهُ مَلَكَ فَارِسَ وَالرُّومَ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنَيِ الشَّمْسِ غَرْبًا وَشَرْقًا، وَمَلَكَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَرْضِ. وَهَذَا أَشْبَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ مِنْ شَعْرٍ يَطَأُ فِيهِمَا ؛ فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ. وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ سَمْعَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَا مَلِكًا جَبَّارًا إِلَى اللَّهِ فَضَرَبَهُ عَلَى قَرْنِهِ فَكَسَرَهُ وَرَضَّهُ، ثُمَّ دَعَاهُ فَدَقَّ قَرْنَهُ الثَّانِيَ، فَكَسَرَهُ، فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ. وَرَوَى الثَّوْرِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ فَقَالَ: كَانَ عَبْدًا نَاصَحَ اللَّهَ فَنَاصَحَهُ، دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ فَمَاتَ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ الْآخَرِ فَمَاتَ، فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ. وَهَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ عَلِيٍّ بِهِ. وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا وَلَا مَلَكًا، وَلَكِنْ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا.
وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِهِ: جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الضَّحَّاكِ بْنِ مَعْدٍ. وَقِيلَ: مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قِنَانَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ غَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأِ بْنِ قَحْطَانَ"، البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(٥٣٨/٢-٥٣٩) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

أما عن مكان هذا السد فالله تعالى أعلم، لأن تحديد المكان هو من علم الغيب، ولا يستطيع أحد الوصول، ولا إخراجهم إلى يوم الوقت المعلوم والمحدد في اللوح المحفوظ، حيث سيجعل هذا السد مدكوكا كما قال ﷻ: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]

خامساً: وقت خروجهم

يخرجون عندما يأتي وعد الله بخروجهم، وذلك بعد أن يَقْتُل عيسى عليه السلام الدجال فيخرجون عندئذ فينشرون الفساد في الأرض وقد نبه النبي ﷺ من وقوع هذا الشر العظيم عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ"[1].

سادساً: هلاك يأجوج ومأجوج

بعد طغيان يأجوج ومأجوج وإفسادهم وعتوهم في الأرض وإهلاكهم للحرث والنسل، يتضرع نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام وأصحابه إلى الله سبحانه وتعالى، ليكشف عنهم ما حل بهم من البلاء والمحن التي لم يجدوا بأنفسهم حيلة ولا قوة لدفعها، فيستجيب الله لهم، فيسلط الله عليهم الدود الصغير فيهلكهم فيصبحون موتى موت الجراد، يركب بعضهم بعضا، فتمتلئ الأرض من نتنهم، فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه ثانية إلى الله ﷻ فيرسل طيرا تحملهم وتطرحهم في البحر، ثم يرسل مطرا تغسل آثارهم، ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبت ثمارها، فيعم الرخاء، وتطرح البركة فيعيش عيسى عليه السلام وأصحابه في عيش رغيد.

جاء في حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ ﷺ:"فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح ٥٢٢٨).

إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ". [1]

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ يَبْعَثُ اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى حَتَّى لَا يُسْمَعَ لَهُمْ حِسٌّ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ، فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْعَدُوُّ، فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ فَيَخْرُجُونَ عَنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ"[2].

يمكن أن نخلص من مجموع ما سبق إلى عدة أمور:

١. أن أعدادهم لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى، فهم كأعداد النحل أو الجراد.
٢. أنهم يأكلون ويحصدون خيرات الناس من مأكل ومشرب فيشربون الأنهار والبحيرات.
٣. أنه لا يملك أحد قوة لدفعهم ومواجهتهم ولا التغلب عليهم.
٤. أن الله يكف بأس هؤلاء فيقتلهم بأضعف مخلوقاته وهو الدود.
٥. يتولى عيسى ﷺ توجيه المسلمين في وقت الفتنة حيث يعتصم بهم في طور سيناء.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح ٥٢٢٨).

[2] أخرجه ابن حبان في الإحسان (ح ٦٨٣٠) (٢٢٤/١٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، قال الأرنؤوط: إسناده جيد، رجاله ثقات رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ١٦٩٤) (٢٦٨/٤) وصحيح الجامع الصغير وزياداته(ح ٢١٧٧) (٤٣٥/١).

العلامة الرابعة: طلوع الشمس من مغربها

هذه العلامـة هي الرابعة من حيث الترتيب الزمني، ولكنها الأولى في تغير الكون العلوي حيث يرى المسلمون علامـات إيذانا بقرب وقوع الساعة، حيث يتغير النظـام الكوني فتتغير أنظمته، وأول هذا التغير هو شروق الشمس من مغربها حيث إن الكون منذ نشأته وهو يسير وفق نظام وسنن معينة، حيث تشرق الشمس من جهة الشرق وتغرب في جهة الغرب، ويبقى هذا النظام إلى أن يأمر الله بهذا التغير إيذانا بقرب وقوع الساعة، فتظهر الشمس طالعة من جهة الغرب في وقت الصباح.

الأدلة على طلوع الشمس من القرآن والسنة

١. الأدلة على طلوع الشمس من القرآن

قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ(١٥٨)﴾.[الأنعام]. ذهب جمع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبري:"وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ، مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ"[١].

وقال السفاريني"قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ثَابِتٌ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْأَخْبَارِ الصَّرِيحَةِ بَلْ وَبِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾. الْآيَةَ، أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ أَوْ جُمْهُورُهُمْ عَلَى أَنَّهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا"[٢].

---

[١] جامع البيان: الطبري (١٠/٢٧).

[٢] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/١٣٣).

٢. الأدلة على طلوع الشمس من السنة

أ- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ"قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا"[1].

ب-عن أَبِي مُوسَى ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"[2].

ت-عن أَبِي هُرَيْرَةَﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا. طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ. وَدَابَّةُ الْأَرْضِ"[3].

قال ابن حجر:"فَالَّذِي يَتَرَجَّحُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَخْبَارِ أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَّالِ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الْمُؤْذِنَةِ بِتَغَيُّرِ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ فِي مُعظم الأَرْض وَيَنْتَهِي ذَلِك بِمَوْت عِيسَى بن مَرْيَمَ وَأَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ الْمُغْرِبِ هُوَ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الْمُؤْذِنَةِ بِتَغَيُّرِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ الْعَلَوِيِّ وَيَنْتَهِي ذَلِكَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَلَعَلَّ خُرُوجَ الدَّابَّةِ يَقَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ مِنَ الْمُغْرِبِ"[4].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا"أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي

---

[1] متفق عليه: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (ح ٢٢٦) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لا ينفع نفساً إيمانها(ح ٤٢٦٩).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب (ح ٤٩٥٤).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان (ح ٢٢٧)

[4] فتح الباري: ابن حجر (٣٥٣/١١).

طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا"[1].

قال أبو سليمان الخطابي في قول رسول الله ﷺ: "مستقرها تحت العرش" قال:"لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده وإنما أخبرنا عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به... ثم قال عن سجودها تحت العرش: وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها والتصرف لما سخرت له"[2]

هذا السجود للشمس لا ندري كيفيته ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى الذي يسجد له كل من في السماوات والأرض قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[الحج: ١٨]

العلامة الخامسة: خروج الدابة

الدابة: حيوان يظهر للناس قبل قيام الساعة تكلم الناس، وتسميهم مؤمنا وكافرا، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى، دل على خروجها قبل قيام الساعة الكتاب والسنة، وخروج الدابة هي العلامة الخامسة زمنا في الظهور، وخروجها ثابت بالكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان (ح ٢٢٨).

(٢) أشراط الساعة: عبد الله بن سليمان الغفيلي (ص ١٤٤) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

أولاً: الأدلة على خروجها من القرآن والسنة

١. الأدلة على خروج الدابة من القرآن

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]قال ابن كثير:"هَذِهِ الدَّابَّةُ تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ وتَرْكِهِم أَوَامِرَ اللَّهِ وَتَبْدِيلِهِمُ الدِّينَ الْحَقَّ، يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ...فَتُكَلِّم النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ"[1].

٢. الأدلة على خروج الدابة من السنة

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوِ الدُّخَانَ أَوِ الدَّجَّالَ أَوِ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ"[2].

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ"[3]

قال الحنفي"أَمَّا خُرُوجُ الدَّابَّةِ بِشَكْلٍ غَرِيبٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، ثُمَّ مُخَاطَبَتُهَا النَّاسَ وَوَسْمُهَا إِيَّاهُمْ بِالْإِيمَانِ أَوِ الْكُفْرِ فَأَمْرٌ خَارِجٌ عَنْ مَجَارِي الْعَادَاتِ وَذَلِكَ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْأَرْضِيَّةِ، كَمَا أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، عَلَى خِلَافِ عَادَتِهَا الْمَأْلُوفَةِ، أَوَّلُ الْآيَاتِ السَّمَاوِيَّةِ."[4]

هذه الآية إما أن تسبق طلوع الشمس أو تليها وأياً ما كانت قبل الثانية، فإنهما يغلقان بطلوعهما باب التوبة، فإذا ما ظهرت الشمس قبل الدابة فإنها تغلق باب التوبة، وتأتي الدابة مؤكدة فتسم الكافرين بوسم الكفر، والمؤمنين بطابع الإيمان، حيث تميز المؤمن من الكافر، فتكتمل الدائرة حينئذٍ.

وكون الدابة علامة وآية من الآيات الكونية، التي تدل على قرب وقوع الساعة أن الناس لم يعهدوا في الدنيا تكلم الدواب بكلام يدركونه ويفهمونه، فإذا ما أنطق الله هذه

---

[1] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٦/٢١٠).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال(ح٥٢٤٠).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان (ح ٢٢٧)

[4] شرح الطحاوية: الحنفي(٥١٥)

الدابة – وهو القادر على كل شيء– فهم الناس وعرفوا أن هذه آية عظيمة وأمر خارق للعادة تنبئ بقدوم الساعة واقترابها.

ثانياً: أوصاف الدابة

ليس هناك أخبار صحيحة عن أوصاف الدابة، وما ذكر من أوصافها في بعض الروايات لم يصل إلى حد القبول أو الصحة، وحسبنا أن نقف عند النص القرآني والأحاديث الصحيحة، التي تفيد وتؤكد ظهور خروج الدابة، وأن خروجها إنما يؤكد حقيقة ظهور علامات القيامة، حينها تغلق أبواب التوبة فلا يهمنا حينئذ أوصافها وعلاماتها، لأن أحدا من الناس لن يقف وينظر إلى أوصافها ليتعرف عليها، بقدر ما سيصاب بالدهشة من تكلم هذه الدابة، لأن الناس لم يعهدوا تكلم الدواب.

يقول عبد الرحمن السعدي:"وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاما خارقا للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله، فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين وحجة على المعاندين"[1].

ثالثاً: مكان خروج الدابة

اختلف العلماء في مكان خروج الدابة إلى عدة أقوال:

القول الأول: أنها تخرج من جبل الصفا أو من المسجد الحرام بمكة المكرمة، قال القرطبي:"وَاخْتُلِفَ مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ تَخْرُجُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ عُمَرَ: تَخْرُجُ مِنْ جَبَلِ الصَّفَا بِمَكَّةَ، يَتَصَدَّعُ فَتَخْرُجُ مِنْهُ"[2].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(ص٦١٠) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

[2] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٣٦/١٣).

القول الثاني:"أن لها خرجات، الأولى من أقصى البادية، ثم تختفي، ثم تخرج من بعض أودية تهامة، ويصدق عليها أنه من وراء مكة، وفي المرة الأخيرة تخرج من مكة، وهذا القول الأخير هو الذي يجمع بين الأقوال في خروجها"[1].

رابعاً: مهام الدابة

المهام التي ستقوم بها الدابة كما جاءت به الأحاديث:

١. **تكلم الناس**: وتقول لهم كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]واختلفوا في كلامها.

أ- "فَقَالَ السُّدِّيُّ: تُكَلِّمُهُمْ بِبُطْلَانِ الْأَدْيَانِ سِوَى دِينِ الْإِسْلَامِ.

ب- وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَلَامُهَا أَنْ تَقُولَ لِوَاحِدٍ: هَذَا مُؤْمِنٌ، وَتَقُولَ لِآخَرَ: هَذَا كَافِرٌ.

ت- وَقِيلَ كَلَامُهَا مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ تَكَلَّمُهُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَتَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ، تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ". [2]

٢. **تَسِمَ الناس وتضع لهم علامات الكفر والإيمان**: فتسم المؤمن وتجلو وجهه بخَاتَمُ سُلَيْمَانَ حتى ينير وجهه ويضيء بنور الإيمان، وتخطم أنف الكافر بعَصَا مُوسَى حتى يُظْلِم وجهه بظلام الكفر، كما جاء في حديث. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَ فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخُوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هَاهَا يَا مُؤْمِنُ وَيُقَالُ هَاهَا يَا كَافِرُ وَيَقُولُ هَذَا يَا مُؤْمِنُ وَيَقُولُ هَذَا يَا كَافِرُ"[3].

---

[1] أشراط الساعة: الغفيلي (ص ١٥٥).

[2] معالم التنزيل: البغوي (٧٠٢/٥).

[3] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة النمل(ح ٣١١١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَسَنٌ غَرِيبٌ، قال الألباني: ضعيف.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"تَخْرُجُ دَابَّةُ الأَرْضِ مَعَهَا عَصَا مُوسَى، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، تَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْعَصَا، وَتُجْلِي وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى الْخِوَانِ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ."[1]

قال ابن الأثير"أَيْ تُصِيبُ خَطْمَهُ وَهُوَ أَنْفُه، يَعْنِي تُصِيبه فَتَجْعَلُ لَهُ أَثَرًا مِثْلَ أَثَرِ الْخِطَام"[2]، و"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ تُكَلِّمُهُمْ، تخرجهم، يعني يكتب عَلَى جَبِينِ الْكَافِرِ كَافِرٌ، وَعَلَى جَبِينِ الْمُؤْمِنِ مؤمن، وعنه تخاطبهم وتخرجهم"[3].

العلامة السادسة: الدخان والريح

الدخان والريح هما العلامة السادسة في التوقيت الزمني لظهور العلامات.

أولاً: الدخان

الأدلة على ظهورها من القرآن والسنة

١. الأدلة على ظهور الدخان من القرآن

قال ﷻ: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ(١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(١١) ﴾.

[الدُخان]. اختلف المفسرون في الدخان الوارد في الآية إلى فريقين:

قال الطبري:"اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذُكر في هذا الموضع"[4]

الفريق الأول: فذهب بعضهم إلى أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود ﷺ وتبعه جماعة من السلف ورجحه ابن جرير الطبري في تفسيره " فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على

---

[1] أخرجه الطيالسي في مسنده (ح٢٦٨٧) (٢٩٢/٤) مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م.

[2] النهاية: ابن الأثير (٥٠/٢).

[3] النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير (٢٠٨/١).

[4] جامع البيان: الطبري (١٣/٢٢).

قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدّة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان"[1].

الفريق الثاني: الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري ﷺ وغيرهم، وكثير من التابعين [2] جاء "عن مسروق، قال: دخلنا المسجد، فإذا رجل يقص على أصحابه. ويقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام"[3].

الجمع بين القولين: ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الآثار بأن قالوا هما دخانان ظ هر أحدهما وبقي الآخر الذي سيقع في آخر الزمان، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة[4].

قال القرطبي: قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول:"هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه"[5] وقال النووي:"وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمَا دُخَانَانِ لِلْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ"[6]

٢. الأدلة على ظهور الدخان من السنة

أ- عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ:"مَا تَذْكُرُونَ قُلْنَا السَّاعَةَ قَالَ إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ

---

[1] المصدر السابق (١٣/٢٢).
[2] انظر: أشراط الساعة: الغفيلي (ص ١٥٥).
[3] جامع البيان: الطبري (١٣/٢٢).
[4] انظر : أشراط الساعة: الغفيلي (ص ١٥٥).
[5] التذكرة: القرطبي (ص١٢٦٧).
[6] شرح النووي على صحيح مسلم(٢٧/١٨).

الْأَرْضِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ"[1].

ب-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ...."[2]

قال ابن كثير:"الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ مِنَ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ وَغَيْرِهِمَا، الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا مِمَّا فِيهِ مَقْنَعٌ وَدَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى أَنَّ الدُّخَانَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْتَظَرَةِ، مَعَ أَنَّهُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ"[3]

وقال النووي:"قَوْلُهُ ﷺ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ"لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ"[4]"هَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ قَوْلَ مَنْ قَالَ إِنَّ الدُّخَانَ دُخَانٌ يَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ وَإِنَّمَا يَكُونُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ"[5].

"فَيَدْخُلُ-الدخان- فِي أَسْمَاعِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ حَتَّى يَكُونَ كَالرَّأْسِ الْحَنِيذِ، وَيَعْتَرِي الْمُؤْمِنَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ"[6]، فالدخان لا يضر المؤمن بشيء، وإنما هو إنذار بقرب نزول النقمة عليهم.

ثانياً: الريح الطيبة

بعد أن ينتهي الدخان تأتي ريح طيبة من اليمن، فتقبض أرواح المؤمنين جميعا.

الأدلة على خروجها من السنة

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ"إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنْ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنْ الْحَرِيرِ فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ و قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ"[7].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة(ح٥١٦٣).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال(ح٥٢٤٠).

[3] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٢٤٩/٧)

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ح ٥١٦٢).

[5] شرح النووي على صحيح مسلم(٢٧/١٨).

[6] معالم التنزيل: البغوي (١٧٥/٤).

[7] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في الريح التي تكون قرب القيامة (ح١٦٨).

ب-عَنْ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ"تَخْرُجُ رِيحٌ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تُقْبَضُ فِيهَا أَرْوَاحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ"[1].

ت-عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺقَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ"[2].

ث-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ"[3].

فلا يبقى على وجه هذه الأرض إلا شرار الناس تمهيدا لصب العذاب عليهم فلا تقوم الساعة إلا عليهم.

العلامة السابعة والثامنة والتاسعة: الخسوفات الثلاثة

من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول ﷺ بحدوثها في آخر الزمان الخسوفات الثلاثة، وذلك بعد أن يموت المؤمنون وتُقبض أرواحهم، تبقى أربع علامات لا يراها إلا الكافرون وهي:

١-: خسف بالمشرق.

٢-: خسف بالمغرب

٣-: خسف بجزيرة العرب.

الأدلة على حدوثها من السنة

١- عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ"مَا تَذْكُرُونَ قُلْنَا السَّاعَةَ قَالَ إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"[4].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث عياش بن أبي ربيعة (ح١٤٩١٦) قال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه نافع: وهو مولى ابن عمر لم يدرك عياش بن أبي ربيعة وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٨٠) (٣٨٣/٤).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ح ٥٢٢٨).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (ح٥٢٤٣).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة(ح٥١٦٣).

٢- حديث أُمِّ سَلَمَةَ- رضي الله عنها -، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:"سَيَكُونُ بَعْدِي خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ يُخْسَفُ بِالأَرْضِ وَفِيهِمِ الصَّالِحُونَ؟، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:"إِذَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْخَبَثَ"[١].

فهذه الخسوفات الثلاثة من الأشراط الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان، وهي غير الخسوفات التي وقعت في الماضي، قال ابن حجر:"وَقَدْ وُجِدَ الْخَسْفُ فِي مَوَاضِعَ وَلَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْخُسُوفِ الثَّلَاثَةِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَى مَا وُجِدَ كَأَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْهُ مَكَاناً أَو قدراً"[٢].

هذه الخسوف الثلاثة لا يراها ولا يتعذب بها إلا الكفار لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وحتى لا يقال في الأرض الله الله.

العلامة العاشرة: نار تخرج من اليمن أو من حَضْرَمَوْتَ

ويأتي بعد هذه الخسوف الثلاثة آخر العلامات ظهورا، والتي تسبق الانقلاب الكوني الحقيقي الهائل للكون، حيث تخرج نار من (قُعْرَةِ عَدَنٍ) أو من (حَضْرَمَوْتَ) كما في رواية أخرى.

أولاً: الأدلة على خروجها من السنة

١. عنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ:"إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ.... وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ"[٣] وفي رواية أخرى:"وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ"[٤].

---

[١] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(ح٥٨٠) (٢٣ / ٢٧١) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،.الطبعة: الثانية، والأوسط (ح٣٦٤٧) (٤ / ٧٤) ، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات.

[٢] فتح الباري: ابن حجر (٨٤/١٣).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ح ٥١٦٢).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة (ح٥١٦٣).

٢. عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ"[1].

٣. عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ﷺ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: "مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ..." فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ"[2].

هذه النار تسوق الكفار أمامها سوقا، فلا يتخلف أحد من الكفار حتى تحضره وتحشره في أرض المحشر بالشام.

الجمع بين الأحاديث الواردة في مكانها

أما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وقد أحسن ابن حجر في الجمع بَيْنَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ بمجموعة أجوبة منها:

أ- "أَنَّ كَوْنَهَا تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، لَا يُنَافِي حَشْرَهَا النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمُغْرِبِ، وَذَلِكَ أَنَّ ابْتِدَاءَ خُرُوجِهَا مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، فَإِذَا خَرَجَتِ انْتَشَرَتْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، إِرَادَةُ تَعْمِيمِ الْحَشْرِ، لَا خُصُوصِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

ب- الِانْتِشَارِ أَوَّلَ مَا تَحْشُرُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ ابْتِدَاءَ الْفِتَنِ دَائِمًا مِنَ الْمَشْرِقِ كَمَا سَيَأْتِي تَقْرِيرُهُ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ، وَأَمَّا جَعْلُ الْغَايَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَلِأَنَّ الشَّامَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ مَغْرِبٌ.

---

[1] أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار (ح ٢١٤٣) ، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي(ح ٥٨٧٠). (١٦٤٣/٣) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح ٣٠٨٢).

ت- وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ النَّارُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ، كِنَايَةً عَنِ الْفِتَنِ الْمُنْتَشِرَةِ الَّتِي أَثَارَتِ الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَالْتَهَبَتْ كَمَا تَلْتَهِبُ النَّارُ، وَكَانَ ابْتِدَاؤُهَا مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى خَرِبَ مُعْظَمُهُ، وَانْحَشَرَ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ إِلَى الشَّامِ، وَمِصْرَ وَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ، كَمَا شوهد ذَلِكَ مرارًا من الْمغل -المغول- مِنْ عَهْدِ جَنْكِزْخَانْ وَمَنْ بَعْدَهُ، وَالنَّارُ الَّتِي فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ عَلَى حَقِيقَتِهَا "[1].

ثانياً: مكان الحشر[2]

المكان الذي يحشر إليه الناس، بعد خروج النار هي أرض الشام، كما صحت بذلك الأحاديث الكثيرة منها:

أ- حديث بَهْزَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ خِرْ لِي، قَالَ: فَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ، فَقَالَ:"إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ هَا هُنَا"وَنَحَا بِيَدِهِ"[3].

ب- حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ مَوْلَاةً لَهُ أَتَتْهُ فَقَالَتْ اشْتَدَّ عَلَيَّ الزَّمَانُ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى الْعِرَاقِ قَالَ فَهَلَّا إِلَى الشَّامِ أَرْضِ الْمَنْشَرِ[4] اصْبِرِي لَكَاعِ- اللئيم والأحمق والغبي

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (١١/٣٧٨-٣٧٩).

[2] قسم العلماء الحشر إلى أربعة أنواع: حشران الدنيا:

أ- حشر اليهود إلى الشام: وهو الحشر الأول حيث أجلى آخرهم عمر بن الخطاب ﷺ من جزيرة العرب المذكور، قَالَ ﷻفي سورة الحشر: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ (الحشر: ٢).

ب- حشر الناس من المشرق إلى المغرب: وهو الحشر الثاني المذكور في أشراط الساعة.

وحشران الآخرة :

أ- حشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعا؛ كما قَالَ ﷻ: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧].

ب- حشر الناس بعد الحساب إلى الجنة وللنار. انظر: التذكرة: القرطبي(ص٥١٥) فتح الباري: ابن حجر(١١/٣٧٩).

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك (ح ٨٦٨٦) (٤/٦٠٨) صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَا، وصححه الذهبي في التلخيص.

[4] المنشر: أيْ مَوْضِعِ النُّشور، نَشَرَ المَيتُ يَنْشُرُ نُشوراً، إِذَا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ. وأَنْشَرَهُ اللَّهُ: أَيْ أَحْيَاهُ، وَهِيَ الأَرْضُ المُقَدَّسة مِنَ الشَّامِ، يَحْشُرُ اللَّهُ الْمَوْتَى إِلَيْهَا يومَ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ، النهاية: ابن الأثير (٥/٥٤).

والمراد قلة العلم – فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّتِهَا وَلَأْوَائِهَا– الشدة وضيق المعيشة – كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

ث– حديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"الشَّامِ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ"[2].

والسبب في كون الشام هي أرض المحشر أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشام، وقد دعا النبي ﷺ للشام بالبركة عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ"اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا..."[3] وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الشام والترغيب في سكنها لا مجال لذكرها هنا ، وقد تقدم أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان يكون بالشام وبه يكون اجتماع المؤمنين لقتال الدجال، وهناك يقتله المسيح عليه السلام بباب لد، هذا بالإضافة إلى أن أرض الشام مهبط الأنبياء ومسرى رسول الله ﷺ.

ثالثاً: زمان الحشر

زمن الحشر اختلف أهل العلم فيه على قولين:

أ– **ذهب جمهور العلماء** [4] إلى أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل قيام الساعة، حيث يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف الصورة الواردة في حشر الناس إلى الشام

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله، باب ما جاء في فضل المدينة (ح٣٨٥٣) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، قال الألباني: صحيح.

[2] أخرجه الهندي في كنز العمال، باب فضل الحرمين والمسجد الأقصى (ح٣٥٠١٠) (٢٧٣/١٢) وصححه الألباني في فضائل الشام (ح٤) (ص١٦) تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، وأخرجه البزار في مسنده (ح٣٩٦٥) (٣٨٢/٩) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الأولى، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما قيل في الزلازل والآيات (ح٩٧٩).

[4] انظر: فتح الباري: ابن حجر (٣٧٩/١١)

قال السفاريني:" اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَشْرِ النَّاسِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ هَلْ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَالْخَطَّابِيُّ وَصَوَّبَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ إِنَّ هَذَا الْحَشْرَ يَكُونُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا الْحَشْرُ مِنَ الْقُبُورِ فَهُوَ عَلَى مَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مرفوعا" إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا(١)"(٢).

ب-ذهب بعض العلماء كالبيهقي والغزالي والحليمي وغيرهم إلى أن هذا الحشر ليس في الدنيا وإنما هو في الآخرة عند الخروج من القبور. (٣)

رابعاً: أحوال الناس في المحشر قبل البعث

جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ(٤) رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ(٥) وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا"(٦).

اختلف العلماء في تفسير وبيان المراد بالحديث هل يكون بعد البعث أم قبله؟ ناقش ابن حجر أقوال العلماء في تفسير المعنى المراد، ورجح أن الحشر المراد في

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (ح٦٠٤٣) و مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (ح٥١٠٣).

(٢) لوامع الأنوار: السفاريني (١٥٥/٢).

(٣) انظر: فتح الباري: ابن حجر (٣٧٩/١١).

(٤) قال البيهقي"فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ:"يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ"أَشَارَ إِلَى الْأَبْرَارِ، وَالْمُخَلِّطِينَ وَالْكُفَّارِ"، شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (٥٤٦/١) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، وقال شعيب الأرنؤوط:"راغبين راهبين"، هذه الطريقة الأولى، و"اثنان على بعير.."الطريقة الثانية، و"تحشر بقيتهم النار...": الطريقة الثالثة، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(٣٣١/١٦).

(٥) راغبين راهبين: أي طالبين راجين وخائفين فزعين، انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل(٢٩٥/١) دار النشر، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون.

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيفية الحشر (ح٦٠٤١) ، و مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (ح٥١٠٥).

سياق الحديث هو الحشر الذي يعقب خروج النار من قعر عدن، وهي آخر علامة من العلامات الكبرى، حيث قال:"فَالرَّاجِحُ مَا تَقَدَّمَ وَكَذَا يَبْعُدُ غَايَةَ الْبُعْدِ أَنْ يَحْتَاجَ مَنْ يُسَاقُ مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَى التَّعَاقُبِ عَلَى الأَبْعِرَةِ فَرَجَحَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ قَبْلَ الْمَبْعَثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[1].

ثم قال في معرض شرحه للحديث"قَوْلُهُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا إِلَخْ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مُلَازَمَةِ النَّارِ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى مَكَانِ الْحَشْرِ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ الثَّالِثَةُ قَالَ الْخَطَّابِيُّ هَذَا الْحَشْرُ يَكُونُ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ أَحْيَاءً إِلَى الشَّامِ وَأَمَّا الْحَشْرُ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْمَوْقِفِ فَهُوَ عَلَى خِلَافِ هَذِهِ الصُّورَةِ مِنَ الرُّكُوبِ عَلَى الْإِبِلِ وَالتَّعَاقُبِ عَلَيْهَا وَإِنَّمَا هُوَ على مَا ورد فِي حَدِيث بن عَبَّاسٍ فِي الْبَابِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً قَالَ وَقَوْلُهُ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ إِلَخْ يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَعْتَقِبُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ يَرْكَبُ بَعْضٌ وَيَمْشِي بَعْضٌ قُلْتُ وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكُرِ الْخَمْسَةَ وَالسِّتَّةَ إِلَى الْعَشَرَةِ إِيجَازًا وَاكْتِفَاءً بِمَا ذُكِرَ مِنَ الْأَعْدَادِ مَعَ أَنَّ الِاعْتِقَابَ لَيْسَ مَجْزُومًا بِهِ وَلَا مَانِعَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي الْبَعِيرِ مَا يَقْوَى بِهِ عَلَى حَمْلِ الْعَشَرَةِ"[2].

وبهذا يتبين أن الحشر الوارد إنما يكون في الدنيا قبل يوم القيامة كما ذهب جمهرة من العلماء كالنووي[3] والأمام البغوي[4].

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (١١/٣٨٢).

[2] المصدر السابق (١١/٣٧٩).

[3] انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٩٤).

[4] انظر: شرح السنة: البغوي (١٥/١٢٥).

القسم الثالث: علامات أخرى

أفردنا الحديث عن هذه العلامات هنا على اعتبار أنها لم ترد ضمن العلامات العشرة الواردة في الحديث، كما أن هذة العلامات قد اختلف العلماء في تصنيفها هل هي من العلامات الكبرى أو الصغري.

العلامة الأولى: خروج المهدي عليه السلام

من علامات الساعة وأماراتها الكبرى ظهور المهدي عليه السلام، الذي يخرج في آخر الزمان، ويلي أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها، وهو رجل يحكم بالإسلام، وَفي زَمَانِهِ تَكُونُ الثِّمَارُ كَثِيرَةً وَالزُّرُوعُ غَزِيرَةً وَالْمَالُ وَافِرًا وَالسُّلْطَانُ قَاهِرًا وَالدِّينُ قَائِمًا والعدو راغماً والخير في أيامه دَائِمًا [1].

أولاً: معنى المهدي عليه السلام

المهدي لغةً: من هداه هدى وهدياً وهداية، والهدى: هو الرشاد والدلالة، يقال:"هَدَاهُ اللَّه لِلدِّين هُدًى. وهَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ وَإِلَى الطَّرِيقِ هِدايةً: أيْ عَرَّفْتُه"[2]

قال ابن الأثير: "الْمَهْدِيُّ: الَّذِي قَدْ هَداه اللَّه إِلَى الحَقّ، وَقَدِ اسْتُعْمِل فِي الأَسْمَاءِ حَتَّى صَارَ كالأسْماء الغالِبَة، وَبِهِ سُمِّي المَهْدِيُّ الَّذِي بَشَّر بِهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنَّهُ يَجيء فِي آخِرِ الزَّمان"[3] اذن المراد بالمهدي عليه السلام هنا: هو الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان، ويكون من أهل بيته ﷺ، ويخرج في زمنه عيسى عليه السلام ، والدجال.

---

[1] انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير (٥٧/١).

[2] النهاية: ابن الأثير (٢٥٤/٥).

[3] المصدر السابق (٢٥٤/٥).

ثانياً: تواتر أحاديث المهدي عليه السلام

وردت في شأن المهدي أحاديث كثيرة، ما بين صِحَاحٌ وَحِسَانٌ وَغَرَائِبُ وَمَوْضُوعَة [١]، وهذه الأحاديث بمجموعها قد تواترت تواتراً معنوياً، كما قال عدد من الأئمة والعلماء منهم:

أ- يقول أبو الحسن الآبري:"وقد تواترت الاخبار، واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ في المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين ويملأ الأرض عدلا، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الامة وعيسى خلفه في طول من قصته وأمره"[٢].

ب- ويقول شيخ الإسلام رحمه الله ابن تيمية:"فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي يُحْتَجُّ بِهَا عَلَى خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ، رَوَاهَا أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ"[٣].

ت- ويقول السفاريني في المهدي عليه السلام:"قَدْ كَثُرَتِ الْأَقْوَالُ فِي الْمَهْدِيِّ حَتَّى قِيلَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى، وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ غَيْرُ عِيسَى وَأَنَّهُ يَخْرُجُ قَبْلَ نُزُولِ عِيسَى عليه السلام، وَقَدْ كَثُرَتْ بِخُرُوجِهِ الرِّوَايَاتُ حَتَّى بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ حَتَّى عُدَّ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ"، ويقول أيضا"وَقَدْ رُوِيَ عَمَّنْ ذُكِرَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِ مَنْ ذُكِرَ مِنْهُمْ رضي الله عنهم بِرِوَايَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَعَنِ التَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا يُفِيدُ مَجْمُوعُهُ الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ فَالْإِيمَانُ بِخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ وَاجِبٌ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَمُدَوَّنٌ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ"[٤].

---

[١] انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية(ص١٤٨) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

[٢] تهذيب التهذيب: الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (١٤٤/٩) مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

[٣] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٢٥٤/٨) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

[٤] لوامع الأنوار: السفاريني (٨٤/٢).

ثالثاً: اسمه المهدي ﷺ ونسبه

اسم المهدي عند أهل السنة والجماعة هو (محمد)، واسم أبيه (عبد الله) وهو رجل من أهل البيت من ولد الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وفاطمة رضي الله عنهما، يوافق اسمه اسم النبي ﷺ، واسم أبيه اسم أبي النبي ﷺ استدلالاً بما جاء من حديث عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ اتَّفَقُوا حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَقَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي"[1]

وفي رواية الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي"[2]، وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي[3] مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ"[4]، وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ"[5] فهذه الأخبار كلها تؤكد أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة الزهراء من نسل الحسن بن علي، وهذا ما عليه جماهير الأمة، فلا يسوغ العدول عنه ولا الالتفات إلى غيره من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المهدي، باب باب (ح٣٧٣٣) قال الألباني: حسن صحيح، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي (ح٢١٥٧) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[2] أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ما جاء في المهدي (ح٢١٥٦) ، قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ قال الألباني: حسن صحيح.

[3] قَالَ الْخَطَّابِيُّ:"الْعِتْرَةُ وَلَدُ الرَّجُلِ لِصُلْبِهِ وَقَدْ يَكُونُ الْعِتْرَةُ أَيْضًا الْأَقْرِبَاءُ وَبَنُو الْعُمُومَةِ وَمِنْ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ يَوْمَ السَّقِيفَةِ نَحْنُ عِتْرَةُ رسول الله انْتَهَى، وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ عِتْرَةُ الرَّجُلِ أَخَصُّ أقاربه وعترة النبي بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقِيلَ قُرَيْشٌ وَالْمَشْهُورُ الْمَعْرُوفُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ، عون المعبود: العظيم آبادي (٢٥١/١١).

[4] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المهدي باب باب (ح٣٧٣٥) قال الألباني: صحيح.

[5] أخرجه أحمد في المسند، مسند العشرة المبشرين في الجنة، ومن مسند علي بن أبي طالب (ح ٦١٠) صَحّحَه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة(ح٢٣٧١) (٤٨٦/٥).

فالمهدي عند أهل السنة والجماعة يرجع في نسبه إلى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، كما قال ابن تيمية في منهاج السنة:"الْمَهْدِيَّ الْمَنْعُوتَ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، لَا مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ"[1]

ويبرر ابن القيم سر كونه من ولد الحسن بقوله"وَفِي كَوْنِهِ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ سِرٌّ لَطِيفٌ، وَهُوَ أن الحسن رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَرَكَ الْخِلَافَةَ لِلَّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ مِنْ وَلَدِهِ مَنْ يَقُومُ بِالْخِلَافَةِ الْحَقِّ المتضمن للعدل الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، أَنَّهُ مَنْ ترك لأجله شَيْئًا أَعْطَاهُ اللَّهُ، أَوْ أَعْطَى ذُرِّيَّتَهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْحُسَيْنِ ﷺ فَإِنَّهُ حَرِصَ عَلَيْهَا، وَقَاتَلَ عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[2]

هذا وقد خالفت الشيعة الإثنى عشرية، أهل السنة والجماعة، وادعت أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وقد اختلف علماؤهم في تحديد مولده فقيل أنه ولد يوم الجمعة في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥هـ).[3]، وقيل:"في سنة ست وخمسين ومائتين(٢٥٦هـ)"[4]، وقيل:"ولد وقت الفجر من ليلة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومائتين(٢٥٧هـ)"، [5]

---

[1] منهاج السنة النبوية: ابن تيمية (٢٥٨/٨).

[2] المنار المنيف: ابن القيم (ص١٥١).

[3] انظر: الروض الفسيح في بيان الفوارق بين المهدي والمسيح: محمد باقر الإلهي القمي(٤٢/٣) مركز الأبحاث العقائدية بدون طبعة، في انتظار الإمام: عبد الهادي الفضلي(ص ٢٣) دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، إحقاق الحق: نور الله للتستري(٨٧/١٣) بدون طبعة.

[4] الغيبة: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ص ٢٣٠) تحقيق عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية للطباعة والنشر، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

[5] مختصر بصائر الدرجات: حسن بن سليمان الحلي(١٨١/١) من منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشراف، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م .

وقيل"ولد بسر من رأى"[1]في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين، ومائتين(٢٥٨هـ)".[2]

وأنه بعد ولادته بخمس أو ست سنين اختبأ في السرداب وغاب غيبتين غيبة صغرى ثم غيبة كبرى، فهم ينتظرون عودته، وهذا إن دل فإنه يدل على أن المهدي عندهم، شخصية وهمية غير موجودة!؟، ليس له وجود، سوى في خيالات الشيعة الروافض.

ومن الأدلة على خرافات ولادة المهدي عند الباحثين والمحققين أن الإمام الحدي عشر (الحسن العسكري) كان رجلاً عقيماً ولم يعقب له ولد، قال الهيثمي"وَالْكثير على أَن العسكري لم يكن لَهُ ولد لطلب أَخِيه جَعْفَر مِيرَاثه من تركته لما مَاتَ فَدلَّ طلبه أَن أَخَاهُ لَا ولد لَهُ وَإِلَّا لم يَسعهُ الطّلب وَحكى السُّبْكِيّ عَن جُمْهُور الرافضة أنهم قَائِلُونَ بِأَنَّهُ لَا عقب للعسكري وَأَنه لم يثبت لَهُ ولد بعد أَن تعصب قوم لإثباته وَأَن أَخَاهُ جعفرا أَخذ مِيرَاثه"[3]

وقال ابن تيمية عن المنتظر:"وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمُنْتَظِرِهِمْ فَهُوَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ، وَهَذَا الْمُنْتَظَرُ صَبِيٌّ عُمْرُهُ سَنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ أَوْ خَمْسٌ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ دَخَلَ السِّرْدَابَ بسامرا مِنْ أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعمِائَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ، وَهُوَ شَيْءٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا فِي الْوُجُودِ قَطُّ"[4]، وقال في منهاج السنة النبوية"ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وَعَبْدُ الْبَاقِي بْنُ قَانِعٍ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَنْسَابِ وَالتَّوَارِيخِ: أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسْلٌ

---

[1] سامَرّاء: لغة في سرّ من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت، معجم البلدان: الحموي(١٧٣/٣).

[2] انظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي(٢٣٢/٣) دار الأوضاع للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، الإمام المهدي: علي محمد دخيل، دار المرتضى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

[3] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي(٤٨٢/٢) تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[4] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٤٠١/٢٨).

وَلَا عَقِبٌ"[1]، وقال في موضع آخر "وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِأَنْسَابِ أَهْلِ الْبَيْتِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسْلٌ وَلَا عَقِبٌ"[2]، وقد مضى على غيبته كما تدعي الشيعة ألف ومائتان من السنين، ولم يخرج، وهذا يدلل على أنه شخص موهوم لا حقيقة ولا وجود.

رابعاً: صفة المهدي

من صفات المهدي الواردة في السنة كما جاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ من رواية أبو داود قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ أَقْنَى الأَنْفِ يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ"[3].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَجْلَى أَقْنَى يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ قَبْلَهُ ظُلْمًا يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ"[4].

من خلال ما سبق يتضح أن:

١-صفاته الخَلْقِيَّة:

أ- **أَجْلَى الْجَبْهَةِ**: "الأَجْلَى: الْخَفِيفُ شَعَرِ مَا بيْن النَّزَعَتين مِنَ الصُّدْغين، وَالَّذِي انْحَسَرَ الشَّعَرُ عَنْ جَبْهته"[5]، أي خَفِيفُ شَعَرٍ مقدم رأسه أو نصف الرأس وهو دون الصلع.

ب- **أَقْنَى الأَنْفِ**: "القَنَا فِي الأنْف: طُوله ورِقَّة أرْنَبَتِه مَعَ حَدَبٍ فِي وَسَطِه"[6].

---

[1] منهاج السنة النبوية: ابن تيميه(٤/٨٧).

[2] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٢٧/٤٥٢).

[3] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المهدي، باب باب (ح٣٧٣٦) قال الألباني: حسن.

[4] أخرجه أحمد في المسند، مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري (ح١٠٧٠٦) قال الأرؤوط: حديث صحيح دون قوله: "يكون سبع سنين".

[5] النهاية: ابن الأثير (١/٢٩٠).

[6] المصدر السابق (٤/١١٦) مرقاة المفاتيح: القاري (٨/٣٤٤٠).

٢- صفاته العَمَلِيَّة:

أولاً: صفاته العَمَلِيَّة عند أهل السنة

أ- يقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور: ومن الأمور الدالة عليه، أنه يخرج في زمان ساد فيه الجور والظلم، فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة.

ب- يكثر الخير على يديه: حيث يسقيه الله الغيث فتمطر السماء كثيرا لا تدخر شيئا من قطرها، وتؤتي الأرض أكلها لا تدخر عن الناس شيئا من نباتها، وتكثر المواشي بسبب الخيرات، ويفيض المال فيقسمه بين الناس بالسوية، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ و تُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطَى الْمَالُ صِحَاحًا وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ و تعظم الأُمَّةُ يَعِيشُ سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً"[(١)]

ثانياً: صفاته العَمَلِيَّة عند الشيعة الإمامية

يدعي الشيعة الإمامية أن المهدي المنتظر المزعوم عند رجوعه من غيبته فإنه سيقوم بالأعمال التالية:

١- المهدي المنتظر عند قيامه يحكم بحكم آل داوود وليس بالإسلام:

قال الكليني عن أبي عبد الله:"إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داوود بن سليمان ولا يسأل بينه"[(٢)] والظاهر من هذه الرواية أن مهدي الشيعة يهدم الإسلام وما كان قبله، و يستأنف ديناً جديداً، وهذا يعني أنه يكفر بالإسلام.

٢- المهدي المنتظر يعذب ويصلب أبا بكر ﷺ وعمر ﷺ:

يقول محمد العاملي الشيعي"وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام، وأن الله سيعيد عند قيام القائم قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (ح ٨٦٧٣) (٦٠١/٤) وقال: حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص: صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٨/٢) (ح٧١١).

(٢) أصول الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني(٣٩٧/١) تحقيق محمد جواد مغنية، د.يوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

ليفوزا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه، لينتقم منهم وينالوا ما يستحقونه من العقاب في الدنيا من القتل على أيدي شيعته أو الذل والخزي بما يرونه من علو كلمته"[١].

وينسب صاحب كتاب بحار الأنوار إلى مهديهم المنتظر قوله:"وأجيء إلى يثرب فاهدم الحجرة وأخرج من بهما وهما طريان فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الأولى، فينادي مناد الفتنة من السماء يا سماء أنبذي، ويا أرض خذي، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن . أي شيعي . قد أخلص قلبه للأيمان"[٢].

٣- المهدي المنتظر يقيم حد الزنا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

لم يكتف الشيعة بصلب أبي بكر وعمر ﷺ بل ازدادوا كفراً عندما زعموا أنهم سيقيمون الحد على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي برأها الله من كل سوء "قال أبو جعفر: أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء [٣] حتى يجلدها، وحتى ينتقم لأمه فاطمة منها قلت جعلت فداك ولم يجلدها الحد؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم، قلت فيكف أخر الله ذلك إلى القائم ؟ قال: إن الله بعث محمداً رحمة ويبعث القائم نقمة"[٤].

٤- المهدي المنتظر يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه

روى المجلسي في بحار الأنوار، والطوسي في الغيبة: عن عبد الرحمن عن ابن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله قال:"القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده

---

[١] الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: محمد بن الحسن الحر العاملي(ص٢٦٤) تحقيق: مشتاق المظفر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

[٢] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر الحسيني(٣٥/١٠٤) مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

[٣] الحُمَيْراءِ: يَعْنِي عَائِشَةَ، كَانَ يَقُولُ لَهَا أَحياناً يَا حُمَيْرَاءُ تَصْغِيرُ الْحَمْرَاءِ يُرِيدُ الْبَيْضَاءَ، لسان العرب: ابن منظور(٤/٢٠٩).

[٤] الإيقاظ من الهجعة: العاملي(ص٢٣١) انظر: بحار الأنوار الجامعة: المجلسي(٢٢/٢٤٢) (٣١/٦٤٠) (٥٢/٣١٤).

إلى أساسه ومسجد الرسول ﷺ وآله إلى أساسه ويرد البيت إلى موضعه وأقامه على أساسه وقطّع أيدي بني شيبه السّراق وعلقها على الكعبة"[١].

٥- المهدي المنتظر يقتل قريشاً ويصلبهم أحياءً وأمواتاً عند رجعته:

مهدي الشيعة عندما يخرج فإنه يقتل قريشا ويصلبهم أحياءً وأمواتاً، وقد جاء تصريح الموت والقتل للعرب عامة وقريش خاصة في عشرات الروايات المنسوبة لأئمتهم منها:

أ- عن الحارث بن المغيرة"وذريح المحاربي قالا: قال أبو عبد الله:"ما بقى بيننا وبين العرب إلا الذبح، وأومأ بيده إلى حلقه"[٢].

ب- وفي خبر طويل ثم يتوجه إلى الكوفة فينزلها وتكون داره، ويبهرج سبعين قبيلة من قبائل العرب تمام الخبر[٣].

وهذا يعني أن العدل والقسط ورفع الظلم والجور الذي يكون في دولة مهدي الشيعة المزعوم، لا يتحقق إلا بعد القضاء على المسلمين جميعاً، وقتل العرب عامة، وقريش خاصة، وهدم الحجرة النبوية، وإخراج جسدي أبي بكر وعمر ﷺ الطاهرين وصلبهما، وإقامة الحد على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيحكم الأئمة تلك الدولة، وحينها لا يكون للمهدي أعداء، فلم يبقَ في دولته إلا مريدوه ومحبوه من شيعته.

خامساً: مكان خروج المهدي وزمانه

ليست هناك روايات صحيحة صريحة تدل على مكان خروجه، أو الزمن الذي يخرج فيه، ولكن استأنس أهل العلم في بيان ذلك من مفهوم بعض الروايات وإن لم تكن قطعية، فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ

---

[١] بحار الأنوار الجامعة: المجلسي(٥٢/٣٣٢) الغيبة: الطوسي(ص ٤٧١).

[٢] بحار الأنوار الجامعة: المجلسي(٥٢/٣٤٩) الغيبة: الطوسي(١٩/٣).

[٣] انظر: بحار الأنوار الجامعة: المجلسي(٥٢/٣٣٣) الغيبة: الطوسي(١/٣٨٩) (١١/٩).

يُقْتَلُهُ قَوْمٌ– ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ – فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ"[1].

قال ابن كثير: " والظاهر أن المراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتل عِنْدَهُ لِيَأْخُذَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ حَتَّى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فِيهِ الْآنَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ فِي آخِرِ الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كثير مِنَ الْخِذْلَانِ وَهَوَسٌ شَدِيدٌ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذْ لا دليل عليه ولا برهان لا من كتاب ولا من سنة ولا من معقول صحيح ولا استحسان"، إلى أن قال:"وَيُؤَيِّدُهُ بِنَاسٍ من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه وتكون راياتهم سوداء أَيْضًا وَهُوَ زِيٌّ عَلَيْهِ الْوَقَارُ لِأَنَّ رَايَةَ سُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ سَوْدَاءَ يُقَالُ لَهَا الْعُقَابُ"إلى أن قال:"والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك نص الْحَدِيثِ"[2].

سادساً: مكان بيعة المهدي

مكان بيعة المهدي في الكعبة (بَيْنَ الرُّكْنِ): أى الحجر الأسود (وَالْمَقَامِ): أي مقام إبراهيم عليه السلام كما جاء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ.. فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"قَالَ أَبُو دَاوُد قَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ هِشَامٍ تِسْعَ سِنِينَ و قَالَ بَعْضُهُمْ سَبْعَ سِنِينَ [3].

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك(ح ٨٤٣٢) (٤/٥١٠) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص.

[2] النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير (١/٥٥-٥٦).

[3] أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المهدي باب باب (ح٣٧٣٧) قال الألباني: ضعيف.

سابعاً: مدة مُكْث المهدي في الأرض

يعيش المهدي بعد بيعته وقيادته للأمة سبع أو ثماني أو تسع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ففي رواية أبي داود "فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ"وفي تعليق أَبُو دَاوُد"قَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ هِشَامٍ تِسْعَ سِنِينَ و قَالَ بَعْضُهُمْ سَبْعَ سِنِينَ"[١]وفي رواية الحاكم سبع أو ثماني حجج قال رسول الله ﷺ:"يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا، يَعْنِي حِجَجًا"[٢].

أما مدة حكم المهدي المنتظر عند الشيعة الإمامية، فقد رويت روايات كثيرة مختلفة ومتناقضة عن المدة التي يحكم بها المهدي بعد رجعته منها: أن المهدي المنتظر يمكث سبع سنين: [٣]، وقيل يمكث تسع عشرة سنة.[٤] وقيل يمكث ثلاثمائة وتسع سنين[٥].

سابعاً: أوجه الاتفاق والاختلاف في المهدي بين أهل السنة والشيعة الإمامية

يمكن إجمال عقيدة أهل السنة والجماعة وعقيدة الشيعة الإمامية في المهدي بما يلي:

١. اتفق أهل السنة مع الشيعة في نسبة المهدي إلى أمير المؤمنين علىﷺ.

٢. اتفق أهل السنة مع الشيعة في نسبة المهدي إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

٣. اختلف أهل السنة مع الشيعة في نسبة المهدي للحسن بن علىﷺ، أم للحسين بن علىﷺ، **فأهل السنة:** يقولون بنسبة المهدي لسلالة الحسن بن علىﷺ، **وتزعم الشيعة:** نسبة المهدي لسلالة الحسين بن علىﷺ.

٤. اختلف أهل السنة مع الشيعة في نسبة المهدي لأبيه، **فأهل السنة:** يقولون أن اسم أب الإمام المهدي(محمد) يوافق اسم أب النبيﷺ ، كما جاء في كثير من النصوص،

---

[١] الحديث السابق.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك (ح ٨٦٧٣) (٤/٦٠١) وقال: حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ /٣٢٨) (ح٧١١).

[٣] انظر : إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(٢/٢٩٠) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي(ص٢٥١) تحقيق محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية للطباعة والنشر، بدون طبعة.

[٤] انظر: الغيبة: الطوسي(ص ٤٧٧).

[٥] الصراط المستقيم: البياضي(ص ٢٦٣) انظر: بحار الأنوار الجامعة: المجلسي(٥٣/ ١٤٥).

وتزعم الشيعة: نسبة المهدي إلى الحسن العسكري والخلاصة: أن المهدي الذي أخبر به النبيﷺ اسمه (محمد بن عبد الله) لا (محمد بن الحسن).

٥. اختلف أهل السنة مع الشيعة في زمن ظهور المهدي، **فأهلَ السنة:** يقولون أنه لم يولد بعد، وسيولد في آخر الزمان قبيل يوم القيامة، ولو لم يبق في الدنيا إلا يوماً واحداً، وهو من العلامات التي تسبق الساعة عند ظهور ونزول المسيح عيسى ﷺ، **وتزعم الشيعة:** أنه ولد ليلة النصف من شعبان سنه ٢٥٥هـ ودخل سرداب سامراء بالعراق وعمره خمس سنين وهو الآن حي يرزق، وسيخرج يقيم دولة الشيعة.

٦. اختلف أهل السنة مع الشيعة في أهم الأعمال التي يقوم بها المهدي، **فأهل السنة:** يقولون أنه يأتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً، فينشر الله به لواء الخير على الأمة، وينتصر للإسلام في آخر الزمان، ويؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية **وتزعم الشيعة:** أن المهدي عند ظهوره، من أهم مهماته هو الانتقام من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وإقامة الحد عليها، ثم القضاء على أهل السنة وإقامة دولة الشيعة التي ينتظرونها ويحي الله على يديه الأئمة ثم يحكمون بالتناوب حتى تقوم الساعة.

٧. اختلف أهل السنة مع الشيعة في مدة مكث المهدي بعد ظهوره، **فأهل السنة:** يقولون أن المهدي يتولى قيادة الأمة سبع أو ثماني أو تسع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، **وتزعم الشيعة:** أن المهدي المنتظر عند ظهوره يمكث سبع سنين أو تسع عشرة سنة، أو ثلاثمائة وتسع سنين، وهذا الرأي الأخير مخالف وبعيد جداً عما ذهب إليه أهل السنة.

٨. اختلف أهل السنة مع الشيعة في حكم المهدي بعد ظهوره، **فأهل السنة:** يقولون أن المهدي يحكم بشريعة محمدﷺ، **وتزعم الشيعة:**أن المهدي المنتظر يحكم بحكم آل داود.

ويمكن أن نجمل ما سبق، أن المهدي رجل صالح يخرج في آخر الزمان، يأوي إلى مكة هاربا من المدينة، فيبايعونه بين الركن والمقام عند الكعبة المشرفة، فَيَبْعَثُوا إليه جيشٌ لقتله، فيخسف الله بهم الْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وينصره الله ويؤيده فيحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الناس، ويعم الرخاء والنعمة بزمانه، ويلتقي مع نبي الله

عيسى عليه السلام فيؤم الأمة، وعيسى عليه السلام يصلي خلفه، كما جاء عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ"[1] فيخرج معه ويساعده على قتل الدجال عند باب لد.

العلامة الثانية: هدم الكعبة

لا يكون الهدم إلا بعد أن يغزو الكعبة جيش، فيخسف الله به الأرض كما جاء في رواية أم المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ ﷺ:"يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَيُخْسَفُ بِهِمْ"[2] وفي حديث آخر عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"[3] وفي رواية النسائي عن أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يَغْزُو هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ"[4].

وغزو الكعبة هنا مقدمة لهدمها، لأن غزوها يقع مرتين ففي الأولى يكون هلاكهم، وفي الثانية يتم هدمها، ومقدمة الشيء تابعة لها وهدم الكعبة وسلب حليها يكونن على يد ذي السويقتين [5]من الحبشة، ويجردها من كسوتها ولا تبنى الكعبة بعد ذلك، لأن الساعة ستقوم على شرار الناس، كما صحت بذلك السنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال ﷺ:"يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم (ح٢٢٥).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب هدم الكعبة (بدون).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (ح ١٩٧٥).

[4] أخرجه النسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب حرمة الحرم (ح ٢٨٢٨) قال الألباني: حسن صحيح.

[5] السُّوَيقَةُ تصغيرُ الساق وهي مُؤنثة فلذلك ظَهرت التاءُ في تصغيرها. وإنما صَغَّر الساق لأنّ الغالبَ على سُوق الحبَشة الدِّقة،والتصغير هنا للتحقير أي ضعيف هزيل لا شأن له.انظر: النهاية: ابن الأثير (٢/٤٢٣).

ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ"[1]وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ يُخَرِّبُ بَيْتَ اللَّهِ ﷻ"[2] و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ[3] أُفَيْدِعَ[4] يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ[5]وَمِعْوَلِهِ"[6].

وفي وصف آخر له، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا"[7].

ويقول أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي معلقاً:"فإن قال قائل ما السر في حراسة الكعبة من أصحاب الفيل في الجاهلية ولم تحرس في الإسلام مما صنع بها الحجاج والقرامطة حين سلبوها ثيابها وقلعوا الحجر ومما يصنع بها في آخر الزمان؟ فالجواب أن حبس الفيل كان علما لنبوة نبينا ﷺ ودليلا على نبوته، لأن أهله كانوا عمار البيت وسكان الوادي، فصين ليعرفوا نعمة الذي حفظه بلا قتال، فلما ظهر نبي منهم تأكدت الحجة عليهم بالأدلة التي شوهدت بالبصر قبل الأدلة التي ترى بالبصائر، وكان حكم الحس غالبا على القوم فأروا آية تدل على وجود الناصر وليس لقائل أن يقول فقد كانوا يقرون بالإله، لأنه ليس بإقرار من جهة أن مدعي الشريك مع القوي القادر لا يعرف القادر،

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب قول الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام (ح ١٤٨٨-١٤٩٣) ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل(ح ٥١٨٠).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل(ح ٥١٨١).

[3] الأُصَيْلِع: تصغيرُ الأَصلَع: الذي انْحَسرَ الشَّعرُ عن رأسه، تاج العروس: الزَّبيدي (٣٥٢/٢١).

[4] أُفَيْدِعُ: أُفَيْدِعُ تصغير أَفْدَعَ والفَدَعةُ موضع الفَدَعِ والأَفْدَعُ الظَّليم لانحراف أصابعه صفة غالبة وكلُّ ظَلِيمٍ أَفْدَعُ لأَنَّ في أَصابعه اعوجاجاً، وهو زيغ بين القدم وعظم الساق أو لانحرافِ واعْوِجاج أَصابِعه وهي صفةٌ غالِبةٌ.انظر: لسان العرب: ابن منظور (٢٤٦/٨).

[5] مِسْحاة وهي المِجْرفة من الحديد. النهاية: ابن الأثير(٣٤٩/٢) (٣٢٨/٤).

[6] أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص(ح٦٧٥٦) تعليق شعيب الأرنؤوط: بعضه مرفوع صحيح وبعضه يروى موقوفا ومرفوعا والموقوف أصح.

[7] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب هدم الكعبة (ح ١٤٩٢).

فلما ظهر الدين وقويت حججه كان ما جرى ويجري على الكعبة ابتلاء للخلق، كما سلط الكفار على الأنبياء، لينظر إيمان المؤمنين هل يثبت أو يتزلزل"[1] ؟!

العلامة الثالثة: رفع القرآن من المصاحف والصدور

معنى رفع القرآن من الأرض إلى السماء الوارد في علامات الساعة أنه يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف آية في سطر أو حرف إلا رفعت، ولعل ذلك يكون قبيل هبوب الريح الطيبة، جاء عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"يَدْرُسُ الإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا فَقَالَ لَهُ صِلَةُ مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ ثَلَاثًا"[2].

وكما جاء عَنْ شَدَّادِ بْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ، يَقُولُ:"إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةَ، وَآخَرَ مَا يَبْقَى مِنْ دِينِكُمُ الصَّلاةُ، وَلَيُصَلِّيَنَّ قَوْمٌ لا دِينَ لَهُمْ، وَلَيُنْتَزَعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ"، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَسْنَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ:"يُسْرَى عَلَى الْقُرْآنِ لَيْلا فَيُذْهَبُ بِهِ مِنْ أَجْوَافِ الرِّجَالِ فَلا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ"[3].

---

[1] كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٢/٣٨٩) تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، بدون.

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (ح٤٠٣٩) ، قال الألباني: صحيح.

[3] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، كتاب العشرة المبشرين بالجنة، باب العين(ح٨٧٠٠) (٩ /١٤١).

قال ابن تيمية:"فَإِنَّهُ يَسْرِي بِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ، فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ كَلِمَةٌ وَلَا فِي الْمَصَاحِفِ مِنْهُ حَرْفٌ"[١].

وأعظم من هذا أن لا يذكر اسم الله تعالى في الأرض، كما جاء عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ"[٢].

---

[١] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٣/١٧٤).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (ح٢١١).

المبحث الخامس

عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين

معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان باليوم الآخر وبكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ومن ذلك الإيمان بالحياة البرزخية من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وسؤال منكر ونكير، قال ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ(٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٠٠)﴾. [المؤمنون].

و(البرزخ) لغةً: الحاجز بين شيئين، ما بين الموت والبعث، فمن مات فقد دخل البرزخ، والجمع برازخ [1] هذا البرزخ أول منزل من منازل الآخرة؛ ففيه سؤال الملكين ثم العذاب أو النعيم.

واسند النعيم والعذاب للقبر باعتبار الغالب؛ فالمصلوب والمحروق والغريق ومن أكلته السباع أو نهشته الطيور أو تحلل جسده في الأحماض، فعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين ينالان كل من مات، ولو لم يدفن؛ حتى لو علق الميت على رءوس الأشجار في مهب الريح أو حرق وذري جسده في الهواء؛ لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه، فغير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لا نشعر بها؛ لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود؛ فهذا المغمى عليه والمسكور أحياء وأرواحهم معهم ولا يشعرون بوجودهم، فلا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالا بتلك الأجزاء التي تباعدت فيما بينها أو قربت، فيكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من اللذة و الألم.

المطلب الأول: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم، حسب ما أخبر به الصادق، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه أهل السنة و الجماعة و الصحابة و التابعون، فعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين واقع لا محالة وأنه حق لا مرية فيه مطابق للعقل

---

[1] انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون (٤٩/١).

وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به، ولا نتكلم عن كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له في هذه الدار، فالمؤمن ينعم في البرزخ على حسب أعماله، والفاجر يعاقب على قدر أعماله.

قال الإمام الطحاوي:"ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه، ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران". [1].

ويقول الحنفي:"قَدْ تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِه لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِه، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِه، لِكَوْنِه لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُه الْعُقُولُ، وَلَكِنَّه قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ. فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْه الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَةً غَيْرَ الْإِعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي الدُّنْيَا"[2].

استدل أهل السنة على وجوب الإيمان بعذاب القبر وفتنته بأدلة من الكتاب والسنة:

أولاً : أدلة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من القرآن

١. قال ﷻ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ(٩٣) ﴾. [الأنعام].

وجه الاستدلال: هذا خطاب لهم عند الموت، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا؛ لما صح أن يقال لهم: [الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ]، فدل على أن المراد به عذاب القبر[3].

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٨٤-٣٩١).

[2] شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٩٥).

[3] انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (ص٢٧٥) دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

قال ابن القيم: "وَهَذَا خطاب لَهُم عِند الْمَوْت وَقد أخبرت الْمَلَائِكَة وهم الصادقون أنهم حِينَئِذٍ يجزون عَذَاب الْهون وَلَو تَأَخّر عَنْهُم ذَلِك إِلَى انْقِضَاء الدُّنْيَا لما صَحَّ أَن يُقَال لَهُم الْيَوْم تُجْزونَ"[1].

٢. قال ﷻ: ﴿ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ(٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(٤٦) ﴾[غافر].

وجه الاستدلال: أن الله ذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره، فدل على ثبوت عذاب القبر[2]، أخبر في أول الآية ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ثم قال في الختام: "﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ وعطف الثاني على الأول، والعطف يقتضي المغايرة، فإذا كان الثاني يوم تقوم الساعة، كان الأول في البرزخ فدل على أن العرض السابق إنما هو في القبر قبل يوم القيامة، وهذا يدل على إثبات عذاب القبر، قال ابن كثير: "وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِدْلَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ الْبَرْزَخِ فِي الْقُبُورِ"[3].

٣. قال ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

وجه الاستدلال: فدلت الآية على تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيم، أخرج البخاري من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ قَالَ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [4].

---

[1] الروح: ابن القيم(ص٧٥).

[2] انظر: الإرشاد: الفوزان(ص٢٧٥).

[3] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١٤٦/٧).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة ونعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار(ح٥١١٧).

ثانياً: أدلة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من السنة

تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر، ونعيمه، تواترت معنى لا لفظا، وهو يفيد اليقين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ومن هذه الأدلة:

١. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺبِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ"يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا"[١].

٢. عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ..."[٢].

٣ –عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ"[٣].

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (ح٢٠٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول(ح٤٣٩).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام (ح٧٨٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضيع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة(ح٩٢٥).

[٣] اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب جاء في عذاب القبر (ح١٢٨٥).

المطلب الثاني: المنكرون لعذاب القبر ونعيمه، وشبهتهم، والرد عليهم

إِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعة، وَقَدْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ الْخَوَارِجُ وَمُعْظَمُ الْمُعْتَزِلَةِ وَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ [1]وَالرَّافِضَةِ [2]، وتعلقوا بشبه عقلية، حكموا فيها عقولهم قاسوا فيها الغائب على الشاهد، وقاسوا أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وقالوا: إنا نكشف القبر، فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا حيات ولا ثعابين ولا نيران تأجج ! وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناها له، ولم يزد ولم ينقص ؟!

وكيف نؤمن بعذاب القبر ونعيمه؟ ونحن نرى المصلوب على الخشبة مدة طويلة لا يسأل، ولا يجيب، ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه نارا، ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان، وذرته الرياح، كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟[3].

والجواب عن هذه الشبه من وجوه:

١- أن الله تعالى جعل أمر الآخرة، وما كان متصلا بها غيبا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته؛ ليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم[4]، وإذا شاء الله أن يطلع العباد على عذاب القبر لأطلعهم عليه، ولو أطلع العباد كلهم؛ لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس؛ كما جاء عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ"قَالَ لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"[5] فهذه نعمة

---

[1] انظر: شرح النووي على صحيح مسلم(٢٠١/١٧) طرح التثريب في شرح التقريب: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي(٣٠٦/٣) الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

[2] انظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي(٤٨٣/٢) دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

[3] انظر: الروح: ابن القيم(ص٦٢) لوامع الأنوار: السفاريني (٢٠/٢).

[4] انظر: الروح: ابن القيم(ص٦٤).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت (ح٥١١٢).

أنعمها الله علينا، عندما كتم عنا سماع أصوات العذاب حتى نتدافن لغلبة الخوف عند سماع العذاب.

٢-"أن الرُّسُل صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم لم يخبروا بِمَا تحيله الْعُقُول وتقطع باستحالته بل اخبارهم قِسْمَانِ

أَحدهمَا: مَا تشهد بِهِ الْعُقُول وَالْفطر

الثَّانِي: مَالا تُدْرِكهُ الْعُقُول بمجردها كالغيوب الَّتِي أخبروا بهَا عَن تفاصيل البرزخ وَالْيَوْم الآخر وتفاصيل الثَّوَاب وَالْعِقَاب وَلَا يكون خبرهم محالا فِي الْعُقُول أصلا وكل خبر يظنّ أن الْعقل يحيله فَلَا يَخْلُو من أحد أَمريْن أما يكون الْخَبَر كذبا عَلَيْهِم أَو يكون ذَلِك الْعقل فَاسِدا وَهُوَ شُبْهَة خيالية يظنّ صَاحبهَا أَنَّهَا مَعْقُول صَرِيح"[1].

٣-"أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّورَ ثَلَاثَةً، دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْبَرْزَخِ وَدَارَ الْقَرَارِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَارٍ أَحْكَامًا تَخْتَصُّ بِهَا، وَرَكَّبَ هَذَا الْإِنْسَانَ مِنْ بَدَنٍ وَنَفْسٍ وَجَعَلَ أَحْكَامَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَبْدَانِ، وَالْأَرْوَاحُ تَبَعٌ لَهَا"[2].

٤- أحوال الآخرة مجهولة لنا، وأحوال الدنيا معلومة لنا، فكيف يقاس مجهول على معلوم؟ وكيف يقاس الغائب على الشاهد؟ يقول الحنفي"وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّارَ التي في الْقَبْرِ وَالنَّعِيمَ، لَيْستَ مِنْ جِنْسِ نَارِ الدُّنْيَا وَلَا نَعِيمِهَا، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَحْمِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَالْحِجَارَةَ التي فَوْقَه وَتَحْتَه حتى تكُونَ أَعْظَمَ حَرًّا مِنْ جَمْرِ الدُّنْيَا، وَلَوْ مَسَّهَا أَهْلُ الدُّنْيَا لَمْ يُحِسُّوا بِهَا. بَلْ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ يُدْفَنُ أَحَدُهُمَا إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ، وَهَذَا فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَهَذَا فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، لَا يَصِلُ مِنْ هَذَا إِلَى جَارِهِ شَيْءٌ مِنْ حَرِّ نَارِه، وَلَا مِنْ هَذَا إِلَى جَارِهِ شَيْءٌ مِنْ نَعِيمِه"[3].

---

(1) الروح: ابن القيم (ص٦٢) انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (٢١/٢).

(2) لوامع الأنوار: السفاريني (٢١/٢) شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٩٦) تسلية أهل المصائب: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (ص٢٠٤) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

(3) شرح الطحاوية: الحنفي(ص٣٩٦).

فهذه السعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار، التي في القبر ليست من جنس المعهود في هذا العالم، وعود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير المألوفة في الدنيا.

حكم الإيمان بعذاب القبر: الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم، حسب ما أخبر به الصادق، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه أهل السنة و الجماعة و الصحابة و التابعون، فعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين واقع لا محالة وأنه حق لا مرية فيه مطابق للعقل وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به، ولا نتكلم عن كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له في هذه الدار، فالمؤمن ينعم في البرزخ على حسب أعماله، والفاجر يعاقب على قدر أعماله.

أما من ينكر عذاب القبر فقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء"ما حكم من ينكر عذاب القبر بحجة أنها، أحاديث آحاد، وحديث الآحاد لا يؤخذ به مطلقا، وهم لا ينظرون إلى الحديث صحيح أو حسن أو ضعيف، ولكن ينظرون إليه من جهة كونه آحاداً أو مروياً بطرق مختلفة، فإذا وجدوه حديث آحاد لم يأخذوا به، فما هو الرد عليهم؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول وآله وصحبه، وبعد:

ج: إذا ثبت حديث الآحاد عن الرسول ﷺ كان حجة فيما دل عليه اعتقاداً وعملاً بإجماع أهل السنة.

ومن أنكر الاحتجاج بأحاديث الآحاد بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر"[1].

وقال ابن باز:"من أنكر عذاب القبر يستتاب، وإن تاب وإلا قتل كافراً، "[2].

---

[1] مجلة البحوث الإسلامية (١٠٨/٥١) مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى(١٩/٥) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض.

[2] فتاوى نور على الدرب: عبد العزيز بن عبد الله بن باز(٣١٤/٤) جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

فالذي ينكر عذاب القبر فهو منكر لما جاء في القرآن، فتقام عليه الحجة ويبين له ما جاء في القرآن وما جاء في السنة، وإذا أصر على ذلك فيكون كافراً، لأنه مكذب بما جاء في القرآن، ومكذب بما جاء في السنن المتواتر، قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]. ومن أنكر عذاب القبر أو نعيمه لعدم علمه بثبوت ذلك شرعاً فإنه يعذر لجهله، أما إذا علم وأنكر فإنه يعتبر كافراً لرفضه ما هو قطعي من الدين، والله أعلم.

المطلب الثالث: هل يستثنى أحد من سؤال الملكين؟

مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ [١] ملكان موكلان بسؤال الميت في قبره وما يحصل منهما من فتنة المقبورين، فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اسم الملكين ووصفهما، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملكين، وسؤالهما أهل القبور بعد الدفن، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ "[٢] وسؤال الملكين عام للمكلفين إلا النبيين، و اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين إلى فريقين:

الأول : أنهم يفتنون.

وحجة من قال: إنهم يفتنون :

١. أنه يشرع الصلاة عليهم والدعاء، لهم وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر،

---

[١] قَوْلُهُ: مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، بِفَتْحِ كَافِ الْأَوَّلِ وَكَسْرِ كَافِ الثَّانِي عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ مِنْ الرُّبَاعِيِّ وَالثَّانِي فَعِيلٌ إمَّا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَوْ بِمَعْنَى فَاعِلٍ لِمَا قِيلَ إنَّ الْقِيَاسَ فِي الْأَوَّلِ الْكَسْرُ لِإِنْكَارِهِ عَلَى الْعَاصِي وَعِلَّةُ الْفَتْحِ أَنَّ صُورَتَهُمَا لَا تُشْبِهُ خَلْقَ الْآدَمِيِّينَ وَلَا الْمَلَائِكَةِ وَلَا الطَّيْرِ وَلَا الْبَهَائِمِ وَلَا الْهَوَامِّ بَلْ هُمَا خَلْقٌ بَدِيعٌ لَيْسَ خَلْقُهُمَا أُنْسًا لِلنَّاظِرِينَ جَعَلَهُمَا اللَّهُ تَكْرِمَةً لِلْمُؤْمِنِ وَهَتْكًا لِسِتْرِ الْمُنَافِقِ وَهُمَا لِلْمُؤْمِنِ الطَّائِعِ وَغَيْرِهِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: هُمَا لِلْكَافِرِ وَالْعَاصِي وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْمُوَفَّقُ فَإِنَّهُمَا مَلَكَانِ اسْمُ أَحَدِهِمَا بَشِيرٌ وَالْآخَرُ مُبَشِّرٌ". حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (٢/٤٨٣) دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (ح٩٩١) ، وقال حديث حسن غريب، قال الألباني: حسن.

فقد جاء في الحَدِيث إنَّهﷺ كَانَ يُصَلِّي عَلَى طِفْل فسمع فِي دُعَائِهِ يَقُول"اللَّهُمَّ قه عَذَاب الْقَبْر وَعَذَاب النَّار"[1] .

٢.احتجوا بما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنه مُرَّ عليها بجنازة صبي صغير، فبكت، فقيل لها: ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟ فقالت: "هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر"[2].

٣.يكمل لهم العقل ليعرفوا ويسألوا وهذا ما جزم به القرطبي فقال"فإن قالوا: ما حكم الصغار عندكم ! قلنا: هم كالبالغين وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم و سعادتهم، ويلهمون الجواب عما يسألون عنه وهذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار، فقد جاء أن القبر ينضم عليه كما ينضم على الكبار"[3].

٤. دلت الأحاديث الكثيرة أنهم يمتحنون في الآخرة، فإذا امتحنوا في الآخرة؛ لم يمتنع امتحانهم في القبور، والله سبحانه يكمل لهم عقولهم، ليعرفوا بذلك منزلتهم، ويلهمون الجواب عما يسألون عنه.

الثاني: أنهم لا يفتنون :

واحتج من قال: إنهم لا يسألون و لا يمتحنون بما يلي:

١.السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل، فيسأل: هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فأما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما؛ فكيف يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ ولو رد إليه عقله في القبر؛ فإنه لا يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال[4].

يقول السيوطي:"لأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل، فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ والجواب عن الحديث أنه ليس المراد فيه بعذاب القبر عقوبته،

---

[1] المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي(١٠٦٩/٢) دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

[2] التذكرة: القرطبي (ص٣٢٥)

[3] المصدر السابق (ص٣٧٧)

[4] انظر: الإرشاد: الفوزان (ص٢٦٩).

ولا السؤال، بل مجرد الألم بالهم والغم والحسرة والوحشة والضغطة التي تعم الأطفال وغيرهم"[1].

٢. هذا بخلاف امتحانهم في الآخرة؛ فإن الله سبحانه يرسل إليهم رسولا ويأمرهم بطاعته وعقولهم معهم؛ فمن أطاعه منهم؛ نجا، ومن عصاه؛ أدخله النار. فذلك امتحان بأمر يأمرهم به يفعلونه ذلك الوقت، لا أنه سؤال عن أمر مضى لهم في الدنيا من طاعة أو عصيان كسؤال الملكين في القبر[2].

٣. وأما حديث أبي هريرة ﷺ: أنه ﷺ صلى على جنازة صبي فسُمع من دعائه: اللهم قه عذاب القبر، فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة أو فعل معصية قطعاً؟ فإن الله لا يعذب أحداً بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت ولا ريب أن في القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل فيتألم به، فيشرع للمصلي عليه أن يسأل الله تعالى أن يقيه ذلك العذاب[3].

الراجح: كما قال السيوطي: وهذا القول هو الصحيح بل الصواب"ونقل هذا الترجيح عن النسفي والشافعية والنووي وابن حجر حيث قال"وقد قال النسفي في بحر الكلام: الأنبياء وأطفال المؤمنين ليس عليهم حساب ولا عذاب القبر ولا سؤال منكر ونكير، وقد جزم أصحابنا الشافعية بأن الطفل لا يلقن بعد الدفن، وأن التلقين يختص بالبالغ، هكذا ذكره النووي في الروضة وغيرها، وهو دليل على أن الأطفال لا يسألون، وقد أفتى به الحافظ ابن حجر"[4].

---

[1] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،(ص١٥٢) تحقق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[2] انظر: الإرشاد: الفوزان (ص٢٧٠).

[3] انظر: المصدر السابق (ص٢٧٠).

[4] شرح الصدور: السيوطي (ص١٥٢).

المطلب الرابع: أسباب عذاب ونعيم القبر

أولاً: الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور

قال العلامة السفاريني: " الْأَسْبَابُ الَّتِي يُعَذَّبُ بِهَا أَصْحَابُ الْقُبُورِ عَلَى قِسْمَيْنِ مُجْمَلٍ وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَإِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَلَى جَهْلِهِمْ بِاللَّهِ وَإِضَاعَتِهِمْ لِأَمْرِهِ وَارْتِكَابِهِمْ مَعَاصِيَهِ فَلَا يُعَذِّبُ اللَّهُ رُوحًا عَرَفَتْهُ وَأَحَبَّتْهُ وَامْتَثَلَتْ أَمْرَهُ وَاجْتَنَبَتْ نَهْيَهُ، وَلَا بَدَنًا كَانَتْ فِيهِ أَبَدًا فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بَلْ وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَثَرُ غَضَبِ اللَّهِ وَسُخْطِهِ عَلَى عَبْدِهِ فَمَنْ أَغْضَبَ اللَّهَ وَأَسْخَطَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ بِارْتِكَابِ مَنَاهِيهِ وَلَمْ يَتُبْ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ لَهُ عَذَابُ الْبَرْزَخِ بِقَدْرِ غَضَبِ اللَّهِ وَسُخْطِهِ عَلَيْهِ فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ وَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ.

وَأَمَّا الْمُفَصَّلُ: فَقَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ رَآهُمَا يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا أَنَّ أَحَدَهُمَا كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْآخَرَ كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ"[1].

ثم ذكر من يعذب لكونه تَرَكَ الطَّهَارَةَ الْوَاجِبَةَ، وَهَذَا ارْتَكَبَ السَّبَبَ الْمُوقِعَ لِلْعَدَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِلِسَانِهِ، وَهَذَا تَرَكَ الِاسْتِبْرَاءَ مِنَ الْبَوْلِ، وَهَذَا يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ، وَهَذَا مُغْتَابٌ، وَذَاكَ نَمَّامٌ، وَذَاكَ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَذَاكَ صَلَّى صَلَاةً وَاحِدَةً بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَذَاكَ مَرَّ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، وَذَاكَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنَامُ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ فِي النَّهَارِ، وَذَاكَ مِنَ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي، وَآكِلِ الرِّبَا، وَالْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَالْمُرَاءُونَ وَالْهَمَّازُونَ وَاللَّمَّازُونَ وَالطَّعَّانُونَ وَالْمُنَجِّمُونَ وَالْعَرَّافُونَ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ الَّذِينَ بَاعُوا آخِرَتَهُمْ بِدُنْيَا وَمِمَّنْ يَشْتَغِلُ بِذُنُوبِ النَّاسِ عَنْ ذَنْبِهِ وَبِعُيُوبِهِمْ عَنْ عَيْبِهِ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ بِهَذِهِ الْجَرَائِمِ بِحَسَبِ كَثْرَتِهَا وَقِلَّتِهَا وَصِغَرِهَا وَكِبَرِهَا[2].

ثانياً: الأسباب المنجية من عذاب القبر

الأسباب المنجية من عذاب القبر، سببان: مجمل ومفصّل:

أما المجمل: أن تداوم على العمل الصالح كالتوحيد، والصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، وحضور مجالس العلم والعلماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر

---

[1] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/١٧).

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/١٨-١٩).

الوالدين، وصلة الأرحام، كل عمل يرضى الرب فهو عمل صالح ينجي صاحبه من عذاب القبر والنار.

وأما المفصل: فهو مما دلّت عليه الأحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجي من عذاب القبر، فمنها:

أولا: الرباط في سبيل الله. روى مسلم في صحيحه عَنْ سَلْمَانَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ"[1]والترمذي عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ"كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ"[2].

ثانيا: الشهادة في سبيل الله: . عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ"أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ قَالَ كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً"[3] وعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"[4].

ثالثا: قراءة سورة تبارك. كان رسول الله ﷺ يداوم على قراءتها في كل ليلة كما جاء عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ"كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الم تَنْزِيلُ وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ"[5]وتسمى سورة

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله (ح٣٥٣٧).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب بما جاء في فضل من مات مرابطاً (ح١٥٤٦) قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الألباني: صحيح.

[3] أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب الشهيد (ح٢٠٢٦) قال الألباني صحيح.

[4] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب في ثواب الشهيد (ح١٥٨٦) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب.، وقال الألباني صحيح.

[5] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك (ح٢٨١٧) وقال الألباني صحيح.

الملك، بالمانعة، والمنجية عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ" سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ "[1].
وروى الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ"ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمُلْكِ حَتَّى خَتَمَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ "[2].

رابعاً: الموت في ليلة الجمعة أو يومها. روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ "[3].

المطلب الخامس: عذاب القبر دائم على الكفار منقطع عن بَعْضِ الْعُصَاةِ

عذاب القبر نوعان[4]:

أولاً: نوع دائم: وهو عذاب الكفار، ويدل عليه:

١- **من القرآن:** قال ﷻ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]"قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَرْوَاحُ آلِ فِرْعَوْنَ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ سُودٍ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ تَغْدُو وَتَرُوحُ إِلَى النَّارِ، وَيُقَالُ: يَا آلَ فِرْعَوْنَ

---

[1] رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين(ح١٤٩) (ص٩٩) : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان، عمان الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١١٤٠) (٣/١٣١).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في فضل سورة الملك (ح٢٨١٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[3] أخرجه الترمذي في سننه كتاب فضائل الجنائز عن رسول الله، باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة(ح٩٩٤) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وقال الألباني حسن.

[4] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٧).

هَذِهِ مَنَازِلُكُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ وَالسُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ: تُعْرَضُ رُوحُ كُلِّ كَافِرٍ عَلَى النَّارِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ما دامت الدنيا"[1].

٢- **من السنة:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2]

الشاهد: حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيًّا إِمَّا النَّارُ وَإِمَّا الْجَنَّةُ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ"[3]

الشاهد: فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "... وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ"[4].

الشاهد: فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ.

ثانيا: نوع يبقى إلى مُدَّةٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ، "وَهُوَ عَذَابُ بَعْضِ الْعُصَاةِ الَّذِينَ خَفَّتْ جَرَائِمُهُمْ، فَيُعَذَّبُ بِحَسَبِ جُرْمِهِ، ثُمَّ يُخَفَّفُ عَنْهُ"[5]، أو ينقطع عنه العذاب بصَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو بدعاء وَلَدٍ صَالِحٍ، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[6].

---

(1) معالم التنزيل: البغوي (١١٣/٤).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (ح:١٢٩٠).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (ح٦٠٣٤).

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز عن رسول الله، باب ما جاء في عذاب القبر(ح٩٩١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(5) شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٨).

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوسيلة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ح٣٠٨٤)

المطلب السادس: هل السؤال في القبر مختص بهذه الأمة ؟

أقوال العلماء جاءت على ثلاثة أقوال[1]:

القول الأول: أنه خاص بهذه الأمة: لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا، كَفَّتِ الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث محمد ﷺ بالرحمة إماماً للخلق أمسك عنهم العذاب، واحتجوا بقوله ﷺ"إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا"[2] وبقوله:"أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ"[3] وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة ويدل عليه قول الملكين:"فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"[4] فالمسئول عنه هو النبي محمد ﷺ دون غيره.

القول الثاني: إن السؤال في القبر لهذه الأمة ولغيرها: وأجاب أصحاب هذا القول عن أدلة القول الأول بأنها لا تدل على الاختصاص بالسؤال لهذه الأمة دون سائر الأمم، وقوله:"هَذِهِ الْأُمَّةَ"إما أن يراد به أمة الناس: أي بني آدم كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] وكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة، وإن كان المراد أمته ﷺ لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، لأنه إخبار لهم بأنهم يسألون في قبورهم، وكذلك حديث:"أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ"[5] مجرد إخبار لا ينفي سؤال غيرهم.

وهذا القول هو الأرجح، لأن الأدلة تثبته فقد قال الله تعالى في حق آل فرعون، قال ﷻ: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ(٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ(٤٦)﴾. [غافر]. وقوله ﷺ:"يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا"[6]وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ

---

[1] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٧) الإرشاد: الفوزان (ص٢٧٠).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت (ح٥١١٢).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل (ح١٧٨).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (ح١٢٥٢).

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل (ح١٧٨).

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (ح١٢٨٦).

الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا لِي إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ "صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"[1] فهذه أدلة صريحة لا مراء فيها تدل دلالة قاطعة على فتنة القبر وأنها حق لا جدال فيه.

القول الثالث: التوقف في هذه المسألة: لأن الأدلة في ذلك محتملة وليست قاطعة في الاختصاص، ففتنة القبر حاصلة لا محالة ولا شك فيها، فقد تكون خاصة بهذه الأمة وقد تكون خاصة بها وبغيرها والله أعلم[2].

المطلب السابع: هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء، أم لا؟

إنها تنتفع من سعي الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة:

أحدهما: ما تسبب به الميت في حياته.

الثاني: دعاء المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة والحج.

أما بقية العبادات البدنية: كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر قال الحنفي "وَاخْتُلِفَ فِي الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ: فَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ وَجُمْهُورُ السَّلَفِ إِلَى وُصُولِهَا، وَالْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ عَدَمُ وُصُولِهَا. وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ إِلَى عَدَمِ وُصُولِ شَيْءٍ الْبَتَّةَ، لَا الدُّعَاءِ وَلَا غَيْرِهِ. وَقَوْلُهُمْ مَرْدُودٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ"[3]، وقد اختار ابن القيم وصول ثواب ذلك كله للميت. وقال: "وَالَّذِي أوصل ثَوَاب الْحَج وَالصَّدَقَة وَالْعِتْق هُوَ بِعَيْنِه الَّذِي يُوصل ثَوَاب الصّيام وَالصَّلَاة وَالْقِرَاءَة وَالِاعْتِكَاف وَهُوَ إِسْلَام المهدى وتبرع المهدى وإحسانه"[4].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر (ح٥٨٨٩).

(2) انظر: الإرشاد: الفوزان (ص٢٧٠).

(3) شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤٥٨).

(4) الروح: ابن القيم (ص ١٣٦).

ثم قال رحمه الله:"وَبِالْجُمْلَةِ فأفضل مَا يهدى إِلَى الْمَيِّت الْعتْق وَالصَّدَقَة وَالِاسْتِغْفَار لَهُ وَالدُّعَاء لَهُ وَالْحج عَنهُ، وَأما قِرَاءَة الْقُرْآن وإهداؤها لَهُ تَطَوّعا بِغَيْر أُجْرَة فَهَذَا يصل إِلَيْهِ كَمَا يصل ثَوَاب الصَّوْم وَالْحج"[1].

المطلب الثامن: النعيم والعذاب على الروح والبدن ؟

نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن معاً هذا هو مذهب سلف الأمة، فإن الميت إذا مات يكون في نعيم، أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا، ويحصل له معها النعيم أو العذاب.

الأدلة على ذلك:

١.عَنْ أَنَسٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺفَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا...."[2].

٢.وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ.."[3].

دلت الأحاديث على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جميعا، ففي حديث أنس السابق دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (**الْعَبْدُ**) اسمٌ للروح والجسد جميعا،

---

[1] الروح: ابن القيم (ص ١٤٢).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال(ح١٢٥٢).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز عن رسول الله، باب ما جاء في عذاب القبر، (ح٩٩١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب، هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله:"لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ"و"فَأَقْعَدَاهُ"، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بالروح والجسد جميعهما، خلافا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط ولا يتعلق بالبدن.

يقول الحنفي"وَلَيْسَ السُّؤَالُ فِي الْقَبْرِ لِلرُّوحِ وَحْدَهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَفْسَدُ مِنْهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لِلْبَدَنِ بِلَا رُوحٍ! وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَة تَرُدُّ الْقَوْلَيْنِ، وَكَذَلِكَ عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ لِلنَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُفْرَدَةً عَنِ الْبَدَنِ وَمُتَّصِلَة بِهِ"[1].

المطلب التاسع: وجوه عذاب ونعيم القبر

أولاً: وجوه نعيم القبر

١.**توسعة القبر:** حيث يوسع قبر المؤمن كما جاء في الروايات سبعون ذراعاً ؟ قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ[2] وفي رواية الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ"ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ"[3] وفي رواية أبي داود عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ"ﷺقَالَ وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ"[4].

٢.**امتلاء القبر بالرياحين:** قبر المؤمن روضة من روضات الجنة، والجنة رائحتها المسك الأذفر والرياحين، كما في حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ"قَالَ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٣٩٥).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (ح٥١١٥).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (ح٩٩١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[4] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر(ح٤١٢٧) قال الألباني: صحيح.

صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا قَالَ وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ"[1].

٣.**تنوير القبر:** ينور الله قبر المؤمن كما ينور القمر ليلة البدر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ"إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، .... وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ"[2]وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ"أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًّا فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ قَالَ أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي قَالَ فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ فَقَالَ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ"[3] وفي رواية الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ"ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ"[4].

٤.**فتح طاقة له من الجنة:** يفتح للمؤمن طاقة ينظر بها إلى مقعده في الجنة كما جاء عَنْ أَنَسٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ... فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا...."[5].

٥.**النومة الهانئة السعيدة:** ينام المؤمن بعد السؤال كنومة العروس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ"[6].

---

[1] الحديث السابق.

[2] أخرجه ابن حبان في الإحسان (ح٣١١٣) (٣٨٦/٧) قال الأرنؤوط: إسناده قوي ، وحسنه الألباني في ظلال الجنة(ح٨٦٤) (٤١٦/٢) كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة) محمد ناصر الدين الألباني: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (ح٥٨٨).

[4] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (ح٩٩١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (ح١٢٥٢).

[6] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (ح٩٩١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

ثانياً: وجوه عذاب القبر

يتنوع العذاب في القبر بحسب الذنب، سواء كان للكفار أو للعصاة، منها:

١- ضغطة القبر وضمته:

قال العلماء أن المراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت فيضغط ضغطة تتداخل فيها أضلاعه بعضها في البعض، روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ.... وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ"[1] وفي رواية أبي داود عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ"وَإِنَّ الْكَافِرَ.... قَالَ وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ"[2].

ضغطة القبر للمؤمن والكافر: ثم يعود القبر للمؤمن والكافر على حد سواء إلا أن الفرق بينهما أن ضغطة القبر وضمته للكافر دائمة، وضغطة القبر وضمته للمؤمن لمرة واحدة في أول نزوله، ثم يعود القبر للاتساع له فيه. [3].

سبب ضغطة القبر وضمته: وسبب ضغطة القبر وضمته، أنه ما من أحد منا إلا وقد ألم بخطيئة ما، وإن كان صالحاً، فجعلت هذه الضغطة جزاءً لها، ثم تدركه رحمة الله، فليس أحد مستثنى من ضغطة القبر ولو كان أحد منها ناجياً، لنجى منها سعد بن معاذ كما جاءت الحديث، قَالَ ﷺ:"إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (ح٩٩١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[2] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (ح٤١٢٧) قال الألباني: صحيح.

[3] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (١٦/٢).

بْنُ مُعَاذٍ"[1]"وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلَا نَعْلَمُ أَنَّ لَهُمْ فِي الْقُبُورِ ضَمَّةً وَلَا سُؤَالًا لِعِصْمَتِهِمْ – أَيْ لِأَنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا جَاءُوا بِهِ فَكَيْفَ يُسْأَلُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ"[2].

قَالَ مُحَمَّدٌ التَّمِيمِيُّ:"ضَمَّةُ الْقَبْرِ إِنَّمَا أَصْلُهَا أَنَّ الْأَرْضَ أُمُّهُمْ وَمِنْهَا خُلِقُوا فَغَابُوا عَنْهَا الْغَيْبَةَ الطَّوِيلَةَ فَلَمَّا رُدُّوا إِلَيْهَا وَهُمْ أَوْلَادُهَا ضَمَّتْهُمْ ضَمَّةَ الْوَالِدَةِ إِذَا غَابَ عَنْهَا وَلَدُهَا ثُمَّ قَدِمَ، فَمَنْ كَانَ مُطِيعًا ضَمَّتْهُ بِرِفْقٍ وَمَنْ كَانَ عَاصِيًا ضَمَّتْهُ بِعُنْفٍ سُخْطًا لِرَبِّهَا عَلَيْهِ"[3]

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةٍ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ قَعَدَ عَلَى شَفَتِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّ بَصَرَهُ فِيهِ ثُمَّ"قَالَ يُضْغَطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ ضَغْطَةً تَزُولُ مِنْهَا حَمَائِلُه[4]"وَيُمْلَأُ عَلَى الْكَافِرِ نَارًا ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللَّهِ الْفَظُّ الْمُسْتَكْبِرُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ الضَّعِيفُ الْمُسْتَضْعَفُ ذُو الطِّمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّ اللَّهُ قَسَمَهُ"[5].

وأخرج البيهقي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ مُنْذُ يَوْمِ حَدَّثْتَنِي بِصَوْتِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَضَغْطَةِ الْقَبْرِ لَيْسَ يَنْفَعُنِي شَيْءٌ قَالَ:"يَا عَائِشَةُ إِنَّ أَصْوَاتَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي أَسْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَالْإِثْمِدِ فِي الْعَيْنِ وَإِنَّ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَالْأُمِّ الشَّفِيقَةِ يَشْكُو إِلَيْهَا ابْنُهَا الصُّدَاعَ؛ فَتَغْمِزُ رَأْسَهُ غَمْزًا رَفِيقًا، وَلَكِنْ يَا عَائِشَةُ وَيْلٌ لِلشَّاكِّينَ فِي اللَّهِ، كَيْفَ يُضْغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ كَضَغْطَةِ الْبَيْضَةِ عَلَى الصَّخْرَةِ"[6]

٢–النار: يفرش له في قبره ناراً، ويلبس ناراً، حيث تفتح له طاقة من جهنم يُعذب بها إلى أن يأتي يوم البعث، ونار القبر ليست كنار الدنيا، بل هي من نار الآخرة، والتي

---

[1] رواه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (ح٢٣١٤٨) قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

[2] المصدر السابق (١٦/٢).

[3] لوامع الأنوار: السفاريني (١٦/٢).

[4] يُحْتَمَلُ أن يُرَادَ مَوْضِعُ حَمَائِل السَّيْفِ أَي عَوَاتِقُهُ وأَضلاعه وصَدْرُهُ، لسان العرب: ابن منظور (١٨٠/١١).

[5] أخرجه احمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث حذيفة بن اليمان عن رسول النبي (ح٢٢٣٦٠) قال الألباني صحح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني(ح٢٩٠٤) (٦٥/٣) مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

[6] رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر (ح١١٦) (ص٨٥).

تعادل سبعين جزءاً من نار الدنيا وهي شديدة على من هي عليه، جاء في الحديث:"فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا"[1].

٣.**يضرب بمطارق من حديد:** عَنْ أَنَسٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ... وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ"[2]

٤.**الخسف في الأرض** عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ"قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنْ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ-غوص ويضطرب-فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[3]

يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه: كما جاء عن أبي سعيد الخدري ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:"يُسَلَّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا تَنْهَشُهُ وَتَلْدَغُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ فَلَوْ أَنَّ تِنِّينًا مِنْهَا نَفَخَتْ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ خَضْرَاءَ"[4].

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر(ح٤١٢٧) قال الألباني: صحيح.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (ح١٢٥٢).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (ح٣٢٢٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي (ح٣٨٩٤).

[4] أخرجه ابن حبان في الإحسان (ح٣١٢١) (٣٩١/٧) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

المبحث السادس

بدايات اليوم الآخر

المطلب الأول: أهوال يوم القيامة وبدايات التغير الكوني

يكون التغيير في هذا الكون بعد النفخة الأولى، التي ينفخها إسرافيل بأمر الله تعالى، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله تعالى.

تدل آيات القرآن التي تتحدث عن اليوم الآخر بمجملها أن الساعة ستبدأ بزلزال هائل، يقع والناس لا يزالون أحياء في الدنيا قال ﷻ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا(٣)﴾ [الزلزلة]. فيصاب المجتمع البشري بفزع عام، ورعب شامل، يبلغ من شدته أن الأم تذهل عن رضيعها، والحوامل يُسقطن ما في بطونهن، والناس يكادون يفقدون عقولهم الواعية، كأنهم سكارى وما هم بسكارى، ولكن من شدة الأمر يكون الناس كذلك فهم لا يطيقونه قال ﷻ: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢]

قال ابن كثير "يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِتَقْوَاهُ، وَمُخْبِرًا لَهُمْ بِمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَزَلَازِلِهَا وَأَحْوَالِهَا. وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ: هَلْ هِيَ بَعْدَ قِيَامِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ نُشُورِهِمْ إِلَى عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ؟ أَوْ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ زَلْزَلَةِ الْأَرْضِ قَبْلَ قِيَامِ النَّاسِ مِنْ أَجْدَاثِهِمْ؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٢)﴾. [الزلزلة]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١٥)﴾. [الحاقة]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا(٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا(٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا(٦)﴾. [الواقعة] فَقَالَ قَائِلُونَ: هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ

كَائِنَةٌ فِي آخِرِ عُمُرِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ أَحْوَالِ السَّاعَةِ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: .... فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١]، قَالَ: قَبْلَ السَّاعَةِ"[1].

ثم يحصل التغيير العام في هذا الكون، فتنشق السماء، وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب، وتتفتت الأرض، ويخرب كل شيء، ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود، قَالَ: ﷻ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ(١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ(١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ(١٦.﴾[الحاقة]وقَالَ: ﷻ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُواْ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

مشاهد وأهوال يوم القيامة من خلال الآيات القُرآنية ومنها:

١. قَالَ ﴿ :ﷻإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ(٢) وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ(٣) وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ(٤) وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ(٥) وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ(٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ(٧) وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ(١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ(١١) وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ(١٢) وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ(١٣) [التكوير]

٢. و قَالَ ﷻ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ(١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(٣) إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا(٤) وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا(٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا(٦)﴾. [الواقعة]

٣. و قَالَ ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ(١)وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ(٢)وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ(٣)وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ(٤)عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ١، ٥].

٤. و قَالَ ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ(١)وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ(٢)وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ(٣)وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ(٤)﴾ [الانشقاق: ١، ٥].

الآيات السابقة تصور المشاهد يوم القيامة، فالشمس قد ذهب ضياؤها، والكواكب ما عادت تضيء، تناثرت هنا وهناك وتمزقت بأمر الله، تتزلزل الأرض كالقنديل المعلق في سقف المسجد وترتج بأهلها رجّات عنيفة مزلزلة، البحار والأنهار ما عادت تحوى

---

[1] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٥/٣٨٩).

بطونها ماء، فماؤها تحول إلى نار أجاج، الجبال أصبحت الآن قطع متناثرة كالعهن المنفوش.

المطلب الثاني: ما هو الصور ؟! ومن هو صاحبه؟! ومتى ينفخ فيه ؟

أ- **الصُّور**:"هو القرن الذي وكل الله به إسرافيل عليه السلام لينفخ فيه حين يأمره بذلك[1] قال القرطبي:"قَرْنٌ مِنْ نُورٍ يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ قَالَ مُجَاهِدٌ: كَهَيْئَةِ الْبُوقِ". [2]وقد فسر عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]قَالَ:"إِذَا نُفِخَ فِي الصُّوَرِ"[3]. والمقصود به هنا قرن لا يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى ينفخ فيه إسرافيل وهو كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي في البعث والنشور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ هُوَ؟ قَالَ:"عَظِيمٌ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، إِنَّ عِظَمَ دَائِرَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"[4].

إننا أمام حدث من أحداث يوم القيامة، وهولٍ من أهوالها، تفزع منه القلوب، وتوجل منه النفوس، إنه حدث يقرع أسماع أصحاب القبور، فينتفضون من قبورهم، مبهوتين، شعث الرؤوس، غُبْر الأبدان، قد أفزعتهم الصيحة، وأزعجتهم النفخة، وقد صوّر القرآن هذا المشهد تصويرا بليغاً:

١. قال ﷻ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]
٢. وقال ﷻ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]
٣. وقال ﷻ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]

---

[1] مختصر معارج القبول: أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة(ص٢٢٧) مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ.

[2] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٣٩/١٣).

[3] جامع البيان: الطبري (٤١٩/٢٣).

[4] رواه البيهقي في البعث والنشور: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي(ح٦٠٩) (ص٣٣٦) تحقيق: الشيخ عامر حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

ب – وصاحب الصور هو إسرافيل: قَالَ قَتَادَةُ:"هُوَ إِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ"[1] وإِسْرَافِيلُ هو ملك كريم من ملائكة الرحمن، وَكَلَهُ الله بالنفخ في الصور منذ أن خلق الله الصور فدفعه إلى إسرافيل، ووكله بالنفخ فيه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوﷺ قَالَ قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الصُّورُ؟ قَالَ"قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ"[2] لذا فإن إسرافيل ينظر دائما إلى عرش الملك جل وعلا لا يطرف بعينه منذ خلقه الله مستعد للأمر من الملك في أي لحظة من اللحظات وهو متهيئ للنفخ فيه، وكلما اقترب الزمان ازداد تهيؤه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا"[3]

ج – متى ينفخ إسرافيل في الصور:

يأمر الله إسرافيل بالنفخ في الصور يوم الجمعة، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ"خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ"[4] وفي رواية عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ....". [5]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١٧/٢٧).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور (ح٢٣٥٤) ، وقال: حديث حسن، قال الألباني: صحيح

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور (ح٢٣٥٥) ، قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٠٧٩) (٣/٦٦).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة (ح١٤١١).

[5] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (ح٨٨٣) قال الألباني: صحيح.

المطلب الثالث: عدد النفخات

النفخات الثلاثة كلها مذكورة في القرآن، لكن الخلاف في عدد النفخات هل هي ثلاث، أو اثنتان؟

١- **الفريق الأول:** قالوا هي نفختان، فجعلوا نفخة الفزع مقدمة لنفخة الصعق، فينفخ اسرافيل نفخة الصعق، يفزع الناس ثم يصعقون، فتكون نفخة واحدة، وتبنى هذا الرأي ابن حجر[١] والعيني[٢] والإمام القرطبي في التذكرة[٣] وفي تفسيره حيث قال:"الصَّحِيحَ فِي النَّفْخِ فِي الصُّوَرِ أَنَّهُمَا نَفْخَتَانِ لَا ثَلَاثَ، وَأَنَّ نَفْخَةَ الْفَزَعِ إِنَّمَا تَكُونُ رَاجِعَةً إِلَى نَفْخَةِ الصَّعْقِ لِأَنَّ الْأَمْرَيْنِ لَا زَمَانَ لَهُمَا"[٤]، واستدلوا بما ثبت عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ"[٥] فقد ذكر النبي في الحديث نفختين وليس ثلاثاً.

٢- **الفريق الثاني:** قالوا هي ثلاث نفخات، ومن أثبت الثلاثة قالوا: ينفخ اسرافيل في الصور النفخة الأولى فيفزعون، ثم ينفخ الثانية فيصعقون، ثم ينفخ الثالثة فيبعثون، وتبنى هذا الرأي السفاريني[٦] والبغوي[٧] وحافظ حكمي[٨]وغيرهم.

---

[١] انظر: فتح الباري: ابن حجر (٤٤٦/٦).

[٢] انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (٩٩/٢٣) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

[٣] التذكرة: القرطبي (ص٤٩١).

[٤] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٤٠/١٣).

[٥] متفق عليه: أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ (ح٤٤٤٠) واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن، باب ما بين النفختين رقم (٥٢٥٣).

[٦] انظر: لوامع الأنوار (١٦١/٢).

[٧] انظر: معالم التنزيل: البغوي (٥١٨/٣).

[٨] انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكمي (٨٠٠/٢) ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

وهو الراجح: وذلك لأن آيات القرآن فرقت بين النفخات الثلاث، فذكرت نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، كما جاء في الحديث أيضاً ما يفرق بينهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي طَائِفَةٍ فَقَالَ:"إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ شَاخِصًا بَصَرَهُ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ"قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الصُّورُ؟ قَالَ:"الْقَرْنُ"قُلْتُ: كَيْفَ هُوَ؟ قَالَ:"عَظِيمٌ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ عِظَمَ دَارَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَنْفُخُ فِيهِ ثَلاثَ نَفَخَاتٍ، النَّفْخَةُ الأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"[1].

النفخة الأولى: نفخة الفزع: قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [النمل: ٨٧]: وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من هول النفخة، فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيفزع من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، وهي التي قال الله ﷻ فيها: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] وبعد هذه الصيحة يتغير نظام الكون فترتج الأرض رجاً، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع الحوامل وتشيب الولدان قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]

النفخة الثانية: نفخة الصعق: قال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللهُ..(٦٨)﴾. [الزُّمر] وبسماع هذه النفخة يموت كل من في السموات والأرض، إلا من شاء الله أن يبقيه، وتسمى: نفخة الموت.

---

[1] أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ح٦٠) (٢٦٦/١) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مطبعة الأمة، بغداد الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، والمَرْوَزِي في تعظيم قدر الصلاة: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ح٢٧٣) (٢٨٣/١) تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، وإسحاق ابن راهويه في مسنده (ح١٠) (٨٤/١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، الحديث بطوله ضعيف، ومدار ضعفه على إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف كما قال علماء الجرح والتعديل في هذا الحديث.

يقول ابن كثير"هَذِهِ النَّفْخَةُ هِيَ الثَّانِيَةُ، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَهِيَ الَّتِي يموت بها الأحياء من أهل السموات وَالْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَا هُوَ مُصَرَّحٌ بِهِ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ."[1].

وتأتي هذه الصيحة على حين غفلة من الناس وانشغالهم بالدنيا، كما قال ﷻ: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ(٤٩) ﴾ [يس].روى الطبري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ:"لَيَنْفُخَنَّ فِي الصُّورِ، وَالنَّاسُ فِي طُرُقِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، حَتَّى إِنَّ الثَّوْبَ لَيَكُونَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ يَتَسَاوَمَانِ، فَمَا يُرْسِلُهُ أَحَدُهُمَا مِنْ يَدِهِ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَنْفُخَ فِي الصُّورِ"[2].

ما بعد نفخة الصعق

ورد في حديث الصور الطويل الذي رواه الطبراني وغيره،"ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ، فَيَصْعَقُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ خَمَدُوا جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ ﷻ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، بَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ ﷻ: لِيَمُتْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيُنْطِقُ اللَّهُ الْعَرْشَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، يَمُوتُ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ: اسْكُتْ، فَإِنِّي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِي، فَيَمُوتَانِ، فَيَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ عَرْشِي، فَيَمُوتُونَ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ الْعَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ مِنْ إِسْرَافِيلَ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السلام إِلَى الْجَبَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنْتَ مِنْ خَلْقِي، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ، فَمُتْ،

---

[1] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(٧/١١٦).

[2] جامع البيان: الطبري(١٩/٤٥١).

فَيَمُوتُ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، كَانَ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا، طَوَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ طَيَّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ، ثُمَّ دَحَاهُمَا، ثُمَّ تَلَقَّفَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْجَبَّارُ، ثَلَاثًا، ثُمَّ هَتَفَ بِصَوْتِهِ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فَيَبْسُطُهَا وَيَسْحَبُهَا ثُمَّ يَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ"[١]

يقول ابن كثير"ثُمَّ يَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْبَاقِينَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مَلَكَ الْمَوْتِ، وَيَنْفَرِدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا وَهُوَ الْبَاقِي آخِرًا بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، وَيَقُولُ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ يُجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ: ﴿ لله الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] أَيِ: الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ وَقَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَحَكَمَ بِالْفَنَاءِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ثُمَّ يُحْيِي أَوَّلَ مَنْ يُحْيِي إِسْرَافِيلَ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ أُخْرَى، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ"[٢].

فسبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الذي كتب الموت على جميع الخلائق، وهو الحي الباقي الذي لا يموت هو الأول فلا شيء قبله وهو الآخر فلا شيء بعده وهو الظاهر فلا شيء فوقه وهو الباطن فلا شيء دونه وهو السميع العليم، قَالَ ﷻ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ(٢٧) ﴾ .[الرحمن] وقَالَ ﷻ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

المستثنى من نفخة الصعق والفزع: اختلف أهل العلم فيمن استثناهم الله:

أ- قَالَ الْحَسَنُ:"هُوَ الله الواحد القهار وما يدع أحد مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَذَاقَهُ الْمَوْتَ"[٣]

---

[١] أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال(ح٦٠) (٢٦٦/١).

[٢] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(١١٦/٧).

[٣] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٨٠/١٥).

ب-قَالَ مقَاتل"وَقيل هم جِبْرَائِيل وَمِيكَائِيل وإسرافيل وَملك الْمَوْت"[1]، ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش[2].

ت-وقال ابن عباس:"هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل إليهم الفزع"[3]،"وهَذَا قَول أَبى هُرَيْرَة وَابْن عَبَّاس وَسَعِيد بن جُبَير"[4].

ث-وَقِيلَ:"عَقَارِبُ أَهْلِ النَّارِ وَحَيَّاتُهَا"[5].

ج-قَالَ الضَّحَّاكُ:"هُوَ رِضْوَانُ وَالْحُورُ وَمَالِكٌ وَالزَّبَانِيَةُ"[6] وقَالَه أَبُو إسْحَق بن شاقلا[7]،"وَقد نَص الإمَام أَحْمد على أَن الْحور الْعين والولدان لَا يمتن عِنْد النفخ فِي الصُّور"[8].

ح-وقيل المستثنى هو النبي موسى عليه السلام واحتجوا على ذلك بما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ" [9].

الخلاصة: ، الأقرب للصواب هو القول الثاني لحديث الصور الطويل السابق الذي رواه الطبراني، ومع ذلك نقول أن الجزم بمن استثنى الله غير دقيق لأن رسول الله ﷺ لم يجزم لنبي الله موسى، فإذا كان النبي سكت عن ذلك فلا ينبغي لأحد أن يجزم لمن استثناهم الله في الآية، فعلم الله لا ينال إلا بالخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ وهذا اختيار

---

[1] الروح: ابن القيم (ص٣٥) انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (٣٨/٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٨٠/١٥).

[2] انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (٣٥٤/٣) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٨٠/١٥).

[3] لباب التأويل: الخازن (٣٥٤/٣).

[4] الروح: ابن القيم (ص٣٥) لوامع الأنوار: السفاريني (٣٨/٢).

[5] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٨٠/١٥).

[6] المصدر السابق (٢٨٠/١٥).

[7] انظر: الروح: ابن القيم (ص٣٥).

[8] الروح: ابن القيم (ص٣٥) لوامع الأنوار: السفاريني (٣٨/٢).

[9] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله"وواعدنا موسى ثلاثين ليلة"(ح٣١٤٦).

شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:"وَأَمَّا الِاسْتِثْنَاءُ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِمَنْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا مَوْتٌ وَمُتَنَاوِلٌ لِغَيْرِهِمْ. وَلَا يُمْكِنُ الْجَزْمُ بِكُلِّ مَنْ اسْتَثْنَاهُ اللَّهُ"[1].

النفخة الثالثة: نفخة البعث:

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين، وهو مشتمل على جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص، تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به.

أولاً: معنى البعث لغةً واصطلاحاً:

١. **البعث لغةً:** البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرسال، يقال:"بعثه وابتعثه بمعنىً، أي أرسله، فانبعث، ومنه قَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾ [الأعراف: ١٠٣]، أي: أرسلنا.

والثاني:"الْإِثَارَةُ يُقَالُ بَعَثَ النَّاقَةَ فَانْبَعَثَتْ أَيْ أَثَارَهَا فَثَارَتْ وَنَهَضَتْ وَمِنْهُ يَوْمُ الْبَعْثِ يَوْمَ يَبْعَثُنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ الْقُبُورِ (وَبَعَثَهُ) أَرْسَلَهُ"[2]، ومنه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم قَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦]أي: أحييناكم. [3]

٢- **البعث اصطلاحاً:** قال ابن كثير:"الْبَعْثِ: وَهُوَ الْمَعَادُ وَقِيَامُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4] فالبعث هو إحياء الله للموتى بإحياء الأجساد، وعودة الأرواح إليها، وذلك بعد النفخ في الصور، النفخة الثانية أو الثالثة وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء.

وَأَمَّا النُّشُورُ اصطلاحاً:"فَهُوَ يُرَادِفُ الْبَعْثَ فِي الْمَعْنَى، يُقَالُ نَشَرَ الْمَيِّتُ يَنْشُرُ نُشُورًا إِذَا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْشَرَهُ اللَّهُ أَيْ أَحْيَاهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ يَوْمُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ"[5].

---

[1] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٢٦١/٤) (٣٦/١٦).

[2] المغرب في ترتيب المعرب: : ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ص٤٦) دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

[3] انظر: تاج العروس: الزَّبيدي (١٩٦/٥).

[4] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٣٩٥/٥).

[5] لوامع الأنوار: السفاريني (١٥٨/٢).

ثانياً: أدلة البعث من القرآن والسنة

أ: أدلة البعث من القرآن

١. قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠]

٢. وقال ﷻ: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ... ﴾ [التغابن: ٧].

٣. وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٦]

٤. و قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٦]

ب: أدلة البعث من السنة

١. حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:"لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ....."[١]. وفي رواية لمسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"[٢]

٢. وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺفي الصحيحين: قَالَ"فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى"[٣].

دلت الأحاديث على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامة من قبورهم إلى أرض المحشر، وفيهما فضيلة للنبي ﷺ لكونه أول من يبعث.

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (ح٣١٦٢) ، و مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى (ح٤٣٧٦).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق (ح٤٢٢٣ح).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة (ح٢٢٣٥).

ثالثاً: حقيقة البعث

نفخة البعث هي المذكورة في قولهﷻ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ(٦٨)﴾ .[الزُّمر]. و هي المقصودة قالَ ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] هي صيحة توقظ الأموات مما هم فيه، ثم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر، حيث ينادي إسرافيل عليه السلام عندما ينفخ في الصور: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

فالله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت، ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء.

رابعاً: كيفية البعث، والفترة الزمنية الفاصلة بين النفختين

ينزل الله إلى الأرض ماءً، فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب، وقد دل على ذلك الحديث الذي أخرجه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ قَالَ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث، وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين، وهما نفخة الصعق ونفخة البعث، ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهل المراد أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة، على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء، وقد جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال، فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم، إلا عجب الذنب، وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى وأخرج الشيخان

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب يوم ينفخ في الصور (ح٤٥٥٤) ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب مابين النفختين (ح٥٢٥٣).

من حديث أبي هريرة ﷺ السابق أنه ﷺ قال:"وَلَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وفي روايات مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ عَجْبُ الذَّنَبِ"[1] .

عجب الذنب: :العَجْبُ، بِالسُّكُونِ: الْعَظْمِ الَّذِي فِي أَسفل الصُّلْب عِنْدَ العَجُزِ"[2]

عجب الذنب عظمة دقيقة صغيرة لا تزيد عن حبة العدس توجد في آخر السلسلة الفقرية أسفل الصلب في كل إنسان.هذه العظمة لا تبلى أبداً، يبلى الجسد كله وتبقى هذه العظمة الدقيقة منه ينبت جسم الإنسان.

فإذا أراد الله أن يبعث الخلائق أتى بهذه العظمة الدقيقة وأتى بجسد صاحبها وما تفرق منه في البحار والتراب، وما ذهب منه في بطون السباع والحيوانات وما نهشته الطيور في حواصلها، يأتي به الله جل وعلا ويركب جسد صاحبها، والله يعلم عظمة كل إنسان خلقه من لدن آدم إلى يوم القيامة فتكتمل الأجساد في القبور وحينئذ يأمر إسرافيل بعدما يحييه أن يلتقم الصور وينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح من مستقرها ثم تذهب كل روح إلى الجسد الذي خرجت منه لا تخطئ جسدا خرجت منه، فيجتمع الروح والجسد، أرواح المؤمنين لها نور، وأرواح المشركين لها ظلمة !! فتسرى الأرواح إلى الأجساد التي اكتملت، ويخرجون من قبورهم إلى أرض المحشر لتقوم القيامة.

خامساً: أول من يُبعث يوم القيامة

يكون رسولنا محمد ﷺ أول من يفيق من الصعق، وأول من يبعث، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ"يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَمَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ"[3].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (ح ٥٢٥٥).

[2] لسان العرب: ابن منظور(٥٨٢/١)، تاج العروس: الزبيدي (٣١٧/٣).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور (ح٦٠٣٧).

الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ[1]"[2].

فالنبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يخرج من قبره، ثم يخرج الناس على إثره بعد ذلك، قال: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"...وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي"[3] قال العيني:"أي على أثري أي أنه يحشر قبل النَّاس ويوافق هَذَا لقَوْله فِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى يحْشر النَّاس على عَقبي وَيُقَال مَعْنَاهُ على زماني وَوقت قيامي على الْقدَم بظُهُور عَلَامَات الْحَشْر وَيُقَال مَعْنَاهُ لَا نَبِي بعدِي"[4]

سادساً: من مات على شيء بعث عليه

يبعث العبد على الهيئة التي مات عليها فإن كان من السعداء مات على طاعة يبعث يوم القيامة عليها، وإن كان من الأشقياء مات على معصية يبعث عليها يوم القيامة، كما ورد في حديث في صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:"يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ"[5].

هناك من يبعث والنور يشرق من وجهه، ومن أعضائه، وعن يمينه، ومن بين يديه قَالَ ﷻ: ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨] وقَالَ ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣]ينادى

---

[1] وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ: بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ الْمَفْتُوحَةِ أَيْ: أَوَّلُ مَنْ تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي أَنْوَاعِ الشَّفَاعَاتِ، مرقاة المفاتيح: القاري (٣٦٧٢/٩).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (ح ٤٢٢٣).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله (ح٣٢٦٨) وكتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ﴾ (ح٤٥١٧) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في أسمائه(ح٤٣٤٢-٤٣٤٣).

[4] عمدة القارئ: العيني (٩٦/١٦).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (ح٥١٢٦).

أهل الظلمات أهل الأنوار: يا أهل الأنوار انتظرونا، لاتتركونا في هذا الظلام الحالك الدامس !! ألم نكن معكم ؟ ألم نصلي معكم صلاة الجماعة؟ ألم نشهد معكم الغزوات ؟ قال ﷻ: ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾. [الحديد: ١٤]

ومنهم من يبعث فينطلق إلى أرض المحشر وهو يردد لبيك اللهم لبيك، هذا من مات بلباس الإحرام في الحج والعمرة يبعث به ملبياً يوم القيامة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ أَوْ قَالَ فَأَوْقَصَتْهُ قَالَ النَّبِيُّ: ﷺ"اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ وَلَا تُحَنِّطُوهُ وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا"[1].

ومنهم من يحشرون ودماؤهم تسيل عليهم كهيئتها يوم جرحت في الدنيا تفجر دماً، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، وهم الشهداء في سبيل الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ"[2].

وهذا إكرام لهم وبيان لمزاياهم وإشادة بمواقفهم وعلو مقامهم عند الله تعالى. قال النووي:"وَالْحِكْمَةُ فِي مَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَاهِدَ فَضِيلَتِهِ وَبَذْلِهِ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى". [3]

ومنهم من يبعث وبطنه منتفخة لا يقوى على القيام، بل ولا يستطيع الجلوس يتخبط عن يمينه وعن شماله ينكفئ على وجهه، من هؤلاء ؟! هؤلاء هم أكلة الربا:
قالَ ﷻ: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين(ح١١٨٦) ومسلم في صحيحه، كتاب الحج باب ماذا يفعل المحرم إذا مات (ح٢٠٩٣).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله ﷻ (ح٢٥٩٣) ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (ح٣٤٨٦).

[3] شرح النووي على صحيح مسلم(٢١/١٣).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] ومنهم رجل يسير في أرض المحشر ومن حوله مجموعة من الأطفال الصغار، هذا يتعلق بيده وهذا يتعلق بقدمه، وهذا يجره جراً وهذا يدفعه دفعاً، مشهد رهيب.. مَنْ هذا ؟! مَنْ هؤلاء ؟!.
هذا هو آكل أموال اليتامى بالباطل وهؤلاء هم اليتامى قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]

ومنهم من يبعث وهو يحمل على كتفه ما سرقه في الدنيا من الغنائم، وهي من أموال المسلمين العامة، هؤلاء يحشرون في هيئة تشهد عليهم بالخيانة أمام الخلق أجمعين، فمن غل شيئاً في حياته ولم يرجعه أو يتوب منه، فسيظهره الله يوم الحشر وسيشهر به أمام الناس، زيادة في النكاية به، يحمل ما غل على ظهره، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(١٦١)﴾[آل عمران].

المبحث السابع

الحشر

المطلب الأول: تعريف الحشر وأدلته

أولاً: تعريف الحشر:

الْحَشْرُ لغةً:"جَمْعُ النَّاسِ لِلْقِيَامَةِ"[1] قال السفاريني:"الْحَشْرُ فَهُوَ فِي اللُّغَةِ الْجَمْعُ، تَقُولُ حَشَرْتُ النَّاسَ إِذَا جَمَعْتُهُمْ، وَالْمُرَادُ بِهِ جَمْعُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ ثُمَّ إِحْيَاءُ الْأَبْدَانِ بَعْدَ مَوْتِهَا[2].

الْحَشْرُ اصطلاحاً:"سوقهم جميعا إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً لفصل القضاء بينهم"[3]، وذلك بعد بعثهم من قبورهم.

الْمَحْشَرَ:"الْمَوْضِعُ الَّذِي يُحْشَرُ إِلَيْهِ النَّاسُ"[4].

ثانياً: أدلة الحشر من الكتاب والسنة

١- أدلة الحشر من الكتاب

١. و قَالَ ﷻ: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [الصَّفات: ٢٢]

٢. وقَالَ ﷻ:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[طه: ١٢٤]

٣. وقَال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢]

---

[1] غريب الحديث: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق(٢٨٢/١) تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (١٥٨/٢).

[3] الإيمان: ياسين(ص٩٠).

[4] سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (١٠٩/٣) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٢- أدلة الحشر من السنة

١- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ". [١]

٢- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ ﷺ يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ"[٢].

المطلب الثاني: إسرافيلعليه السلام يقودهم إلى أرض المحشر

يخرجون من القبور في أول ذلك اليوم، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]"وَإِذَا الْقُبُورُ أُثِيرَتْ، فَاسْتُخْرِجَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً"[٣]، وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] يعني: كَأَنَّهُمْ إِلَى عَلَمٍ قَدْ نُصِبَ لَهُمْ يَسْتَبِقُونَ.، [٤]يخرجون من قبورهم كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] أو الجراد المنتشر قال ﷻ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]"يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ وَسَعْيِهِمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"[٥] في الكثرة والانتشار والضعف والتخبط، وموجات بعضهم فوق بعض، غير منتظمين فلا يدرون أين يذهبون، يحومون حول بعضهم، ينتشرون يمنة ويسرة ثم لا يلبثون أن"يدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنة ولا

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفات القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور (ح٤٩٩٨) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (ح٦٠٤٠).

[٢]متفق عليه: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (ح٥١٠٢)واللفظ له، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيفية الحشر (ح٦٠٤٦).

[٣] جامع البيان: الطبري (٢٤/١٧٥).

[٤] المصدر السابق (٢٣/٢٨٥).

[٥] المصدر السابق (٢٢/١١٨).

يسرة"[1] قال ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]،"الدَّاعِي: هُوَ إِسْرَافِيلُ إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ. لَا عِوَجَ لَهُ، أَيْ: لَا مَعْدِلَ لَهُمْ عَنْ دُعَائِهِ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَزِيغُوا عَنْهُ، أَوْ يَنْحَرِفُوا مِنْهُ، بَلْ يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ"[2] ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: خفضت وسكنت وسكتت هيبةً لله تعالى، وإجلالاً وخوفاً قال ﷻ: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الصوت الخفي، أو صوت وطء الأقدام إلى المحشر[3].

المطلب الثالث: مقدار الحشر

يبدأ الحشر بعد خروج الناس من قبورهم، وينتهي حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وقد اختلف العلماء في مقدار الوقوف فيه إلى فريقين:

١. **الفريق الأول: طوله ألف سنة**، استدلوا بقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:"مِقْدَارُ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلْفُ سَنَةٍ"[4].

٢. **الفريق الثاني: طوله خمسون ألف سنة**، استدلوا بقول الله ﷻ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ(١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ(٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ(٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ(٤)﴾. [المعارج]. كما دل على ذلك حديث الطبري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي تفسيره الآية " فَهَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ مِقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"[5].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص٥١٢).

[2] فتح القدير: الشوكاني (٤٥٦/٣).

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (٢٤٣٥/٧) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.

[4] جامع البيان: الطبري (٥٩٧/١٦).

[5] انظر: المصدر السابق (٢٥٣/٢٣).

وقال بعض العلماء: إن مقدار الوقوف في الحشر يختلف باختلاف أحوال الناس، فيطول على الكفار، ويتوسط على الفساق، ويخفف على الطائعين[1]، فعباد الله في ذلك اليوم العظيم آمنون كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تغرب"[2] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ ﷺ: "يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ"[3] فالمؤمنون يكون ذلك اليوم عليهم مثل ما بين الظهر والعصر، مثل وقت وجبة الغداء ينتظرون الكرامة من الله في ظل العرش؛ لا يصيبهم لهب الشمس.

المطلب الرابع: من الذي يحشر.

للعلماء فيمن يحشر مذهبان:

١.ذهبت طائفة إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى من الثقلين(الجن والإنس) فقط

يحشر الثقلان (الجن والإنس) لأنهم مكلفون حتى يثابوا أو يعاقبوا على أعمالهم، هذا الحشر عام لجميع الخلائق: قال ﷻ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا(٩٣)لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(٩٤)وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا(٩٥) ﴾[مريم].

يحشرهم جميعاً من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا يمتنع أحد لا يتخلف مَلِك، ولا متكبر، ولا حاكم، ولا زعيم، ولا طاغية، فلم نغادر منهم أحدا قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٤٧) ﴾. [الكهف].

---

[1] انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (١٥٩/٤) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

[2] أخرجه ابن حبان في الإحسان (ح٧٣٣٣) (٣٢٨/١٦) قال الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط البخاري.

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك (ح٢٨٤) (١٥٨/١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢.وقال فريق من العلماء أن الحشر عام لجميع الأمم. مستدلين بما يلي:
أ- قال ﷻ: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] فهذه الآية تصرح أن الدواب أمم تحشر كما تحشر الأمم، ورد أصحاب الفريق الأول أن حشرها هو موتها.
ب- قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥] فالوحوش ما توحش من دواب البَرِ، وحشرت أي جمعت جاء في تفسير القرطبي"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَيْضًا قَالَ: يُحْشَرُ كل شي حَتَّى الذُّبَابُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: تُحْشَرُ الْوُحُوشُ غَدًا: أَيْ تُجْمَعُ حَتَّى يُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، فَيُقْتَصُّ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهَا كُونِي تُرَابًا فَتَمُوتُ. وَهَذَا أَصَحُّ مِمَّا رَوَاهُ عَنْهُ عِكْرِمَةُ"[1] ورد أصحاب الفريق الأول أن حشر البهائم يعني موتها.
١- فالثقلان: تحشر حتى يحاسبوا وتوزن أعمالهم ويعرف كل مصيره.
٢- الملائكة: تحشر لتقوم بوظائفها التي كلفت بها من القيام على أهل الجنة والنار.
٣- دواب الأرض جميعاً(حيواناتها وطيورها حتى الذباب من الحشرات وغيرهم) تحشر.
أ- تؤدي الشهادة على الناس بحسب مشاهداتها في الدنيا.
ب- تشاهد عقاب من ظلمها من الناس وتعويضها على ذلك وفق قانون العدل الإلهي.
ت- يقتص الله حقوق بعضها من بعض كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ -الَّتِي لَا قرن لَهَا- مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ -الَّتِي لَهَا قرن-"[2].

ويعلق النووي على الحديث بقوله"هَذَا تَصْرِيحٌ بِحَشْرِ الْبَهَائِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِعَادَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ أَهْلُ التَّكْلِيفِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَكَمَا يُعَادُ الْأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةٌ وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥] وَإِذَا وَرَدَ لَفْظُ الشَّرْعِ وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ قَالَ الْعُلَمَاءُ وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْحَشْرِ وَالْإِعَادَةِ فِي الْقِيَامَةِ الْمُجَازَاةُ

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٢٩/١٩).
[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (ح٤٦٧٩).

وَالْعِقَابُ وَالثَّوَابُ وَأَمَّا الْقِصَاصُ مِنَ الْقَرْنَاءِ لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاصِ التكليف إِذْ لَا تَكْلِيفَ عَلَيْهَا بَلْ هُوَ قِصَاصُ مُقَابَلَةٍ وَالْجَلْحَاءُ بِالْمَدِّ هِيَ الْجَمَّاءُ الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(١).

وحمل أصحاب الفريق الأول الحديث على أنه كناية عن العدل.

ويرد عليهم: فهذه الأمور لا يوجد شرعا ما يمنع وقوعها ولا يوجد عقلا ما يمنع وقوعها، فيجب إمرارها على ظاهرها، وهذا من كمال عدل الله، ثم يقول لهذه الدواب والطيور والوحوش: كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر قَالَ ﷻ: ﴿وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النَّبأ: ٤٠] ثم يبقى الذين قد كلفوا ليكون الحساب عليهم.

المطلب الخامس: صفة أرض المحشر

سيكون هذا الحشر في أرض أخرى غير هذه الأرض قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]قال عبد الله بن مسعود ﷺ:"تبدل الأرض أرضاً كأنها الفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة"(٢).

وقد أخبرنا النبي ﷺ عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر وصفاً دقيقاً بليغاً ففي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ"(٣) من خلال ما سبق يمكن أن نجمل صفات أرض المحشر بما يلي:

١. **أرض بيضاء عفراء:** اختلف العلماء في معنى العفرة، فقال ابن حجر:"قَالَ الْخَطَّابِيُّ الْعَفَرُ بَيَاضٌ لَيْسَ بِالنَّاصِعِ وَقَالَ عِيَاضٌ الْعَفَرُ بَيَاضٌ يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ قَلِيلًا وَمِنْهُ سُمِّيَ عَفَرُ الْأَرْضِ وَهُوَ وَجهها وَقَالَ بن فَارِسٍ مَعْنَى عَفْرَاءَ خَالِصَةُ الْبَيَاضِ وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٣٦).

(٢) معاني القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣/٥٥٤) تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩م.

(٣) متفق عليه: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات القيامة، باب في البعث (ح ٤٩٩٨) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (ح٦٠٤٠).

شَدِيدَةُ الْبَيَاضِ"[1] وقال الزبيدي:"وإِنّمَا سُمِّيَتْ بعَفَرِ الأَرْضِ والأَعْفَرُ التُّرِيدُ المُبَيَّضُ مأْخوذ من العُفْرَةِ وهي لَوْنُ الأَرْضِ، والعَفْراءُ البَيْضاءُ"[2].

٢. **كقرصةِ نقي:**"فَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْقَافِ أَيِ الدَّقِيقِ النَّقِيِّ مِنَ الْغِشّ وَالنُّخَّالِ"[3].

٣. **ليس فيها معلم لأحد:** لا معلم طبيعي كجبل أو هضبة أو صخرة بارزة، ولا معلم غير طبيعي، وهو العلامات التي تعارف عليها الناس في الشوارع والطرقات، أي ما وضعه الناس كعلامات حتى يعرفون به الطرائق والأماكن والمدن، فهذه الأرض ليس فيها معلم لأحد، ليس فيها معلم موجود من عند الله، وليس فيها معلمٌ يتخذه إنسان لنفسه من سكنى، أو بناء، أو أثر، وإنما هي مستوية لا ترى فيها عوجاً، ولا أمتاً، لا يستطيعون الاختباء خلف أي شيء في تلك الأرض، فالله سبحانه وتعالى يبدل معالم الأرض، ويغير صفاتها فتكون مستوية قال ﷻ: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] فيحشرون على أرض بيضاء مستوية نقية لم يعصَ الله فيها قط كالفضة البيضاء، لا يوجد عليها أشجار، أو أنهار، أو أبنية، هذه هي صفة أرض المحشر كما أخبرنا الصادق المصدوق.

المطلب السادس: صفات الناس في المحشر

يحشر الناس حفاةً عراةً غُرْلاً، قال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يخرج الناس من القبور حفاةً عراةً غُرْلاً كما ولدوا من أمهاتهم، جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ ﷺ يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ"[4].

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (٣٧٥/١١).

[2] تاج العروس: الزبيدي (٨٤/١٣).

[3] فتح الباري: ابن حجر (٣٧٥/١١).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر (ح٥١٠٢).

١. **حفاة:** أي لا شيء في أقدامهم من خفٍ، أو نعل.

٢. **عراة:** متجردون غير مكتسين، أي لا ثياب تغطي أبدانهم ولاشيء يسترهم.

أول من يُكسى يوم القيامة هو خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، كما جاء من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ"إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ الْآيَةَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ"[١].

ثم يكسى النَّبِيﷺ وَهُوَ عَن يَمِينِ الْعَرْشِ حلّة حبرة كما جاء عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ:"أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ قُبْطِيَّتَيْنِ[٢] ثُمَّ يُكْسَى مُحَمَّدٌ ﷺحُلَّةَ حِبَرَةٍ [٣]عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ"[٤] قال ابن حجر:"لَا يَلْزَمُ مِنْ تَخْصِيصِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُطْلَقًا...وَأَجَابَ الْحَلِيمِيُّ بِأَنَّهُ يُكْسَى أَوَّلًا ثُمَّ يُكْسَى نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى ظَاهِرِ الْخَبَرِ لَكِنَّ حُلَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ أَعْلَى وَأَكْمَلُ فَتَجْبُرُ نَفَاسَتُهَا مَا فَاتَ مِنَ الْأَوَّلِيَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[٥].

ولقد تكلم علماؤنا عن حكمة تقديم إبراهيم عليه السلامعلى نبينا محمد ﷺ في الكسوة يوم القيامة، أن المشركين لما هموا بحرق إبراهيمعليه السلام وأشعلوا ناراً متأججة، وظلوا يجمعون لها الحطب شهوراً، وأياماً حتى ارتفع لهيبها في عنان السماء فكانت الطيور تسقط من ارتفاع لهب هذه النيران فلما هموا بإلقائه، جردوه من ثيابه، فلما صبر واحتسب وتوكل على الله جزاه الله سبحانه وتعالى عن ذلك فوقاه حر النار في الدنيا والآخرة وكافأه يوم

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (ح٦٠٣٥) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (ح٥١٠٤).

[٢] قبطيتين"مثنى: قبطية: ثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء، نسبة إلى القبط، وهم أهل مصر

[٣] قَالَ الدَّاوديّ"الْحبرَة ثوب أَخْضَر كُله من التحبير وَهُوَ التحسين"مشارق الأنوار: السبتي (١٧٥/١)

[٤] أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي(١٠٥/٢) تحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، وصححه الألباني في مختصر العلو للعلي العظيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي(ص١٢٥) حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

[٥] فتح الباري: ابن حجر (٣٨٥/١١).

القيامة فكساه على رؤوس الأشهاد[1].

قال ابن حجر: "قِيلَ الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى أَنَّهُ جُرِّدَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقِيلَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنِ اسْتَنَّ التَّسَتُّرَ بِالسَّرَاوِيلِ وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَخْوَفُ لِلَّهِ مِنْهُ فَعُجِّلَتْ لَهُ الْكِسْوَةُ أَمَانًا لَهُ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ"[2].

٣. **غرلا:** جمع أغرل، والأغرل من بقيت غرلته وهو الصبي الصغير المولود قبل ختانه، أي ما قطع من القلفة أي من جلدة الذكر عند الختان فيعاد، يحشرون كما خلقوا.

فتعجبت أم المؤمنين قالت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فكونهم عراة يستوجب وفق مقاييس الدنيا أن ينظر بعضهم إلى بعض، لكن مقاييس الدنيا لا تطبق على الآخرة عن عائشة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ بما استقر عندها من مقاييس الدنيا، قالت: الرجال والنساء عراة ينظر بعضهم إلى بعض، فقال المصطفى ﷺ في الحديث السابق: "يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ"، أي لا يمكن أن يكون أحد لديه من فراغ القلب آنذاك أن ينظر إلى ما حوله، كل امرئ مشغول بنفسه، وهذا يبين لك عظمة أهوال يوم القيامة، ويحشر على هذه الهيئة جميع الخلق بما فيهم الأنبياء والصالحون والصديقون والشهداء.

المطلب السابع: أصناف الناس في المحشر

يتم الوقوف في ذلك الموقف، وفي أرض المحشر ليس للإنسان إلا موطئ قدميه فقط قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ليس أحدٌ جالساً، ولا مضجعاً، كل الناس واقفون في ذلك اليوم، حال الناس في الحشر في كرب شديد وهذا الكرب وهذه الشدة تزيد وتنقص بمقدار أعمالهم، فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم، وزكت نفوسهم يكونون في حالٍ مختلفة عن حال من خبثت أعمالهم وفسدت معتقداتهم.

قال رسول الله ﷺ في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفًا مُشَاةً وَصِنْفًا رُكْبَانًا وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ قِيلَ يَا

---

[1] انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي (٣٩٢/١) مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[2] فتح الباري: ابن حجر (٣٨٤/١١).

رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ قَالَ إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ"[1].

الناس في المحشر أصناف مختلفة فمنهم:

١. **المتقون:** يحشر المتقون ركباناً، كما جاء في الحديث السابق (**وَصِنْفًا رُكْبَانًا**)، وقَالَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، في تفسير قوله: ﷻ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]"عَلَى الْإِبِلِ النُّوقِ"[2].

حيث يقدم الملائكة لأهل التقى ركائب من دواب الآخرة عليها سُرُج من ذهب فيركب المتقون، وينطلقون بها في أرض المحشر حتى لا يمشون على أقدامهم في هذا اليوم العصيب.. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟!.

أخرج الطبري عن علي ﷺ في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] قال:"قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا يُحْشَرُ الْوَفْدُ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَلَا يُسَاقُونَ سَوْقًا، وَلَكِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ بِنُوقٍ لَمْ يَرَ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا، عَلَيْهَا رِحَالُ الذَّهَبِ، وَأَزِمَّتُهَا الزَّبَرْجَدُ، فَيَرْكَبُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَضْرِبُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ"[3].

٢. **أهل الوضوء**:يحشرون غراً محجلين، كرامة من الله تعالى لأوليائه وأحبائه، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ"إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا[4] مُحَجَّلِينَ[5] مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ"[6]قال السبتي:"محجلين من الْوضُوء أي

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل(ح٣٠٦٧) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[2] جامع البيان: الطبري (٦٣١/١٥).

[3] المصدر السابق (٥٢٩/١٥).

[4] **غُرًّا**: جمع أغر أي ذوى غرة، وأصلها لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، والمراد ههنا النور الكائن في وجود المسلمين، انظر: مرقاة المفاتيح: القاري (٣٥٠/١) (٣٥٣٧/٨).

[5] **مُحَجَّلِينَ**: من التحجيل، وهو بياض يكون في قوائم الفرس، وأصله من الحجل بالكسر وهو القيد والخلخال، والمراد به هنا أيضاً النور، انظر: مرقاة المفاتيح: القاري (٣٥٠/١) (٣٥٣٧/٨)

[6] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الغر المحجلين من آثار الوضوء (ح١٢٣) ، و مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب إطالة الغرة والتحجيل من الوضوء (ح٣٦٣).

بيض الْوُجُوه والأطراف من نور الْوضُوء كالفرس الأَغَر المحجل وَهُوَ الَّذِي فِي وَجهه وإرساغ قوائمه بَيَاض وَقَوله غراً محجلة وغر محجلون هُوَ بَيَاض فِي قَوَائِم الدَّابَّة والغرة فِي وَجههَا يُرِيدَان هَذِه الْأمة لَهَا سِيمَا فِي وجوهها وأيديها وأرجلها من نور"[1]

٣. الكفار:

قال ﷻ: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ {الإسراء: ٩٧} وقالﷻ: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾. [الفرقان٣٤].

يحشر الكفار إلى النار على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، عمياً لا يبصرون، وصماً لا يسمعون، وبكماً لا ينطقون، لكنهم قبل أن يصلوا إلى النار يعطون الأسماع والأبصار ليروا جهنم ويفزعوا، ويسمعوا شهيقها، ويتكلم عندما يلقون فيها، وإما أن يكون معنى لا يسمعون يعني لا يسمعون ما يسرهم، ولا يبصرون ما يسرهم وهكذا.

فلا يستبعد أن يعطوا أسماعاً ثم تسلبب، ثم يعطوها مرة أخرى ثم تسلب وهكذا؛ لأن يوم القيامة يومٌ طويل فيه أحوال، فحالٌ ينطقون وحال لا ينطقون، وحالٌ يبصرون، وحالٌ يختم على أبصارهم أيضاً، وحالٌ يسمعون، وحالٌ صم لا يسمعون، فإذاً الأحوال تتغير وتتقلب في ذلك الموقف العصيب.

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺأَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ:"أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ قَتَادَةُ بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا"[2].

قال العيني:"وَالْحكمَة فِي حشر الْكَافِر على وَجهه أَنه يُعَاقب على عدم سُجُوده لله تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، فيسحب على وَجهه فِي الْقِيَامَة إِظْهَارًا لهوانه"[3].

---

[1] مشارق الأنوار: السبتي (١٨٣/١)

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قول الذين يحشرون على وجوههم (ح٤٣٨٨) ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه (ح٥٠٢٠).

[3] عمدة القارئ: العيني (١٠٥/٢٣).

فالكافر الذي لم يسجد لله في الدنيا، يعاقب بأن يسحب على وجهه في القيامة إظهاراً لهوانه وذلته، فويل لتارك الصلاة، حيث يحشر على وجهه، ويمشي على وجهه، ويعفر بالتراب ويلاقي ما يلاقي، يحشرون يوم القيامة عمياً وبكماً وصماً.

٤. **المتكبرون:** يحشرون كأمثال الذر[١] في صور الرجال فالذين لم يخفضوا جناح الذل لخلق الله، بل تراه مغروراً بكرسيه و بمنصبه، متكبراً بماله، و بسلطانه وجاهه. يجعلهم الله على صور الرجال، لكن المقاس والحجم حجم النمل والذر، يطؤهم الناس بأقدامهم، كما تكبروا في الدنيا، والجزاء من جنس العمل، فكما انتفخ واستعلى في الحياة الدنيا يحشر يوم القيامة في غاية الذلة والمهانة، تطوه الأرجل والأقدام أخرج الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ..."[٢]

٥. **التجار:** يحشرون كما جاء عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْبَقِيعِ، فَقَالَ:"يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ"حَتَّى إِذَا اشْرَأَبُّوا[٣] ، قَالَ:"إِنَّ التُّجَّارَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنِ اتَّقَى، وَبَرَّ، وَصَدَقَ"[٤] في هذا الحديث دليلٌ واضحٌ على حشر التجار الفجار، فإن الكثير يستغلون بجشعهم حال الناس، وكثيرٌ منهم يحتكر، وهم من أكبر أسباب رفع الأسعار في البلاد، ولذلك يحشرون فجاراً يحلفون على الكذب وهم يعلمون، إلا من رحم الله فاتقى في بيعه وشرائه، ولم يبع المحرمات، ولم يغشَّ في تجارته، وبرَّ في يمينه فإنهم مكرمون مع الآمنين المؤمنين.

---

[١] الذَّرُّ: النَّمْلُ الأَحْمَرُ الصَّغِير، تاج العروس: الزَّبيدي(٣٦٦/١١).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، (ح٢٤١٦) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ قَالَ الألباني حَسَنٌ.

[٣] اشرأب: ارتفعَ وعلا وكلُّ رافِعٍ رأْسَه مُشْرَئِبٌّ، لسان العرب: ابن منظور(٤٩١/١)

[٤] أخرجه الدارمي في سننه، كتاب البيوع، باب في التجار(ح٢٥٨٠) (١٦٥٢/٣) مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي:`أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠م، تعليق المحقق: إسناده جيد، والبيهقي في شعب الإيمان(ح٤٥٠٧) (٦ /٤٨٤).

المطلب الثامن: أهوال الموقف ومشاهد الحشر

١. الشمس تدنوا من الرؤوس:

ها هي الشمس تدنو من الرؤوس. ففي صحيح مسلم كما حدث الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ﷺقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺوَسَلَّمَ"يَقُولُ تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ قَالَ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ ﷺبِيَدِهِ إِلَى فِيهِ"[١].

وفى هذا المشهد والموقف الرهيب يزداد الهم والكرب بإتيان جهنم، حيث يؤتى بجهنم في أرض المحشر كما قال المصطفى ﷺ والحديث رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا"[٢].

فإذا أقبلت جهنم، وأحاطت بالخلائق، ورأت الخلق زفرت، وزمجرت غضباً منها لغضب الله جل وعلا، عند ذلك تجثو جميع الأمم على الركب من الخوف والذلة، قَالَ ﷻ:﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٨) ﴾ [الجاثية].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَبِالْمُصَوِّرِينَ"[٣].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب في صفة الجنة، باب في صفة يوم القيامة (ح٥١٠٨).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب في شدة حر نار جهنم (ح٥٠٧٦).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم عن رسول الله، باب ما جاء في صفة النار(ح٢٤٩٧) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (ح٥١٢) (٣٩/٢).

وفى هذا التدافع في هذا الموقف الذي ترتعد منه الفرائص وتشيب له الرؤوس، ويهتز له الوجدان، فإن الأنبياء حينما يرون هول هذا الموقف لا يملكون إلا أن يقولوا: اللهم سلم.. سلم.

هذه دعوتهم يومها، والكلام مقتصر عليهم دون غيرهم !!

يؤمئذ يفر المرء من أبيه، وأمه، وأخيه، وصاحبته، وينسى الابن أبويه الذان برهما في دنياه، فالكل له شأن يلهيه، استمع لقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ(٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ(٣٧) ﴾. [عبس].

٢. غرق الناس في العرق

اجتماع وازدحام الإنس والجن وتدافعهم، فلا فرار ولا هروب، والشمس اقتربت بمقدار ميلٍ، وزيد في حرها، وضوعف في وهجها، وسال من الأجسام العرق، وكان الناس في العرق على قدر أعمالهم حتى أن الكافر الذي يلجمه العرق، يقول: أرحني ولو إلى النار، هذا العرق ينزل فتشربه الأرض (أرض المحشر) حتى يغوص فيها سبعين ذراعاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ"قَالَ يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ"(١)

هذا عمق العرق تحت الأرض؛ أما فوقها، فقد روي الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"..فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾(ح٦٠٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب في صفة الجنة، باب في صفة يوم القيامة (ح٥١٠٨).

٣. سبعة يستظلون في ظل عرش الرحمن

في هذه اللحظات العصيبة، ينادي الحق ﷻ على مجموعة من الخلق في أرض المحشر، أن يتقدموا ليظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[١].

٤. الشفاعة العظمى

يشتد الأمر على الخلائق، ويعظم الكرب في ذلك الموقف العظيم المهيب الرهيب، فيستشفعوا بالأنبياء والرسل لإنقاذهم مما هم فيه وتعجيل فصل القضاء لهم، وهنا يبحث الخلق عمن يشفع لهم إلى الله ﷻ ليقضي بين الخلائق لينتهي هذا الموقف، فيحيلهم كلُ نبي إلى من بعده وهنا يقول كل نبي من الأنبياء نفسي نفسي.

حتى يأتوا محمداً ﷺ فيقول: (أنا لها) ويشفع لهم عند الله ﷻ ويتقدم الحبيب المصطفى ﷺ، صاحب الحوض المورود، وصاحب اللواء المعقود، وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين، يتقدم ليشفع للخلائق في أرض المحشر، ويقبل الله شفاعته، وهي المقام المحمود الذي وعده الله في قوله قالَ ﷻ: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩][٢].

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد (ح٦٢٠) وكتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (ح١٣٣٤) وكتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش (ح٦٣٠٨) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (ح١٧١٢).

[٢] انظر: شرح النووي على صحيح مسلم(٣/٥٣).

المبحث الثامن

صحائف الأعمال

المطلب الأول: تعريف الصحائف وأدلتها

أولاً: تعريف الصحائف:

الصحائف: جمع صحيفة، والصحيفة هي الكتاب التي أحصت فيها الملائكة مَثَاقِيل الذَّر وَمَثَاقِيل الْخَرْدَل، فكل ما فعله الإنسان في الحياة الدنيا من الأقوال والاعتقادات وأعمال الجوارح مسطورة ومسجلة[1].

قال السفاريني"الصُّحُفُ: جَمْعُ صَحِيفَةٍ، وَهِيَ الْكُتُبُ كَتَبَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، وَأَحْصَوْا مَا فَعَلَهُ كُلُّ إِنسَانٍ مِنْ سَائِرِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ"[2]

الأقوال: قال ﷻ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

الاعتقادات: قال ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّخرف: ٨٠]

أعمال الجوارح: قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠)كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١)يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(١٢)﴾. [الانفطار]. قَالَ ﷻ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]

ثانياً: أدلة صحائف الأعمال:

نشر وتطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع، فنؤمن بأن العباد يأخذون صحفهم ويقرؤونها فيتعرفون على أعمالهم بأنفسهم قبل محاسبتهم، فمن كان من أهل النجاة فيؤتى كتابه بيمينه، ويتجاوز الله تعالى عن ذنوبه ولم يناقشه الحساب، ولم يعذبه في النار، ثم يدخله

---

[1] انظر: تفسير جزء عم: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص٧٢) إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢م.

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/١٨٠).

الجنة، وأما من أوتي كتابه بشماله أو من وراء ظهره فذلك الذي يناقش الحساب، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، وكل حقيرة وجليلة، ثم يعذب بإدخاله النار.

قال السفاريني:"نَشْرَ الصُّحُفِ وَأَخْذَهَا بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَقَدَ الْقَلْبُ بِأَنَّهُ حَقٌّ لِثُبُوتِهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ"[1]

أ- أدلة صحائف الأعمال من القرآن:

١. وقال ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا(١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(١٤)﴾. [الإسراء].

٢. وقال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠)﴾. [الحاقة]. وقال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ(٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(٢٦)﴾. [الحاقة].

٣. وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]

٤. وقال ﷻ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]

ب- أدلة صحائف الأعمال من السنة

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(٨)﴾ [الانشقاق] قَالَ ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ"[2]

---

[1] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (١٨١/٢).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (ح٤٥٥٨).

ج- أدلة صحائف الأعمال من الإجماع

ينقل الإمام الصابوني عن عقيدة أهل السنة والجماعة في أخذ العباد للكتب، فيقول:"ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت، وبكل ما أخبر الله سبحانه...من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل والإجابة عن المسائل...ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها"[1]

المطلب الثاني: هل الصحف لجميع الخلائق

جميع الخلائق تأخذ صحفها إلا:

١. الأنبياء والملائكة لأنهم معصومون.

٢. من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فهؤلاء لا وزن لهم ولا ميزان لأن الميزان من الحساب وهؤلاء لا يحاسبون.

قال أبو حامد:"والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها فما مر عليه شيء أسر من ذلك لمقام"[2]، وقال شهاب الدين الأزهري"الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَأْخُذُونَ صُحُفًا وَكَذَا الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ"[3]

مسألة:

لِكُلِّ مُكَلَّفٍ صحائف متعددة في الدنيا، لِأَنَّ كُلَّ مُكَلَّفٍ تُرْفَعُ لَهُ صَحِيفَةٌ فِي اللَّيْلِ وَصَحِيفَةٌ فِي النَّهَارِ، فكيف جُعلت صَحِيفَةً وَاحِدَةً يوم القيامة؟.

الْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

---

[1] عقيدة السلف وأصحاب الحديث: أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ص٢٥٧) دراسة وتحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

[2] التذكرة: القرطبي (ص٧١٩).

[3] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الأَوَّلُ: قِيل أَنَّهُ يَجْمَعُ تِلْكَ الصُّحُفَ فِي وَاحِدَةٍ بِاتِّصَالِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ فَصَحَّ، مِنْ أَنَّ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ صَحِيفَةً وَاحِدَةً أَيْ بَعْدَ الْجَمْعِ.

الثَّانِي: وقِيل أَنَّ مَا كَتَبَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِلْإِنْسَانِ يُنْقَلُ أي ينسخ ما فيها فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ فَصَحَّ، مِنْ أَنَّ لِكُلِّ عَبْدٍ صَحِيفَةً، وَإِنْ كَانَ يُرْفَعُ لَهُ صَحِيفَةٌ فِي اللَّيْلِ وَصَحِيفَةٌ فِي النَّهَارِ"[1].

المطلب الثالث: أخذ الصحف

أولاً: كيف يأخذ العباد صحفهم

١. قيل أن الصحف توضع في مكانها تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا فَتُطَيِّرُهَا بِالْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ[2]، فتذهب كل صحيفة لا تخطئ عنق صاحبها كما قال ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(١٤)﴾. [الإسراء].

٢. قيل أن كل واحد يدعى فيعطى كتابه من قبل الملائكة.

ولا تعارض بين الروايتين، لأن الريح تطيرهما أولا من الخزانة فتعلق بالأعناق ثم تناولهم الملائكة فتأخذها من أعناقهم وتعطيها لهم في أيديهم.

قال أبو الحسن العدوي:"وَخُلَاصَةُ مَا قَالُوا أَنَّ الرِّيحَ تُطَيِّرُهَا مِنْ خِزَانَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَا تُخْطِئُ صَحِيفَةٌ عُنُقَ صَاحِبِهَا وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُهَا الْمَلَكُ مِنْ الْعُنُقِ فَيَدْفَعُهَا لِصَاحِبِهَا"[3].

ثانياً: طريقة استلام الكتب

بيّن تعالى أن بعض الناس يأخذ كتابه بيمينه، وأن من أوتيه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، ويرجع إلى أهله مسروراً، وبعضهم يستلمون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، ثم يدعون بالويل والثبور.

---

[1] حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (٩٤/١) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بتصرف.

[2] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (١٨١/٢).

[3] حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني: العدوي (٩٤/١).

١. المؤمن:

أ- المؤمن المطيع يأخذ كتابه بيمينه من أمامه كما قال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ(٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(٢٣) ﴾. [الحاقة].

أول من يعطى صحيفته بيمينه:

اختلف العلماء فيمن يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ إلى فريقين:

١. "أَوَّلَ مَنْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ"[١].

٢. "قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَالِكِيَّةِ: أَوَّلُ مَنْ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَلَهُ شُعَاعٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ وَبَعْدَهُ أَبُو سَلَمَةَ". [٢] وقد اعتمد عُلَمَاءِ الْمَالِكِيَّةِ على حديث رواه الثعلبي عن ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: "أَوَّلُ مَنْ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَلَهُ شُعَاعٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ. قِيلَ لَهُ: فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! زَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ"[٣]

ب- المؤمن العاصي (الفاسق): فيه خلاف:

أولاً: جَزَمَ الْمَاوَرْدِيُّ بِأَنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ الْفَاسِقَ الَّذِي مَاتَ عَلَى فِسْقِهِ دُونَ تَوْبَةٍ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ.

ثانياً: وقال بعضهم يُعْطَى الْمُؤْمِنُ الْعَاصِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ أَمَامِهِ.

ثالثاً: وقال بعضهم بالتوقف. [٤]

---

[١] لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٣/٢).

[٢] المصدر السابق (١٨٣/٢).

[٣] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (٣٠/١٠) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٦٩/١٨).

[٤] انظر لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٣/٢).

٢. الكافر والمنافق.

يأخذ الكافر والمنافق الكتاب بشماله كما قال ﷻ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الحاقة: ٢٥] أو من وراء ظهره قال ﷻ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾[الانشقاق: ١٠]، ثم يدعون بالويل والثبور، قال ابن عثيمين:"ظاهر أن هذا الاختلاف اختلاف صفات؛ فالذي يأخذ كتابه من وراء ظهره هو الذي يأخذ كتابه بشماله؛ فيأخذ بالشمال، وتجعل يده من الخلف؛ فكونه يأخذه بالشمال؛ لأنه من أهل الشمال، وكونه من وراء ظهره؛ لأنه لما استدبر كتاب الله، وولى ظهره إياه في الدنيا؛ صار من العدل أن يجعل كتاب أعماله يوم القيامة خلف ظهره، فعلى هذا، تخلع اليد الشمال حتى تكون من الخلف".[1]

والعلماء في كيفية أخذ الكافر والمنافق الكتاب بِشِمَالِهِ أو من خَلْفَ ظَهْرِهِ أقوال أهمها:

أ- قَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: "الَّذِي يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ تُلْوَى يَدُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَهُ.

ب- وَقِيلَ: تُنْزَعُ مِنْ صَدْرِهِ إِلَى خَلْفِ ظَهْرِهِ.

ت- وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾[الانشقاق: ١٠] قَالَ: تُجْعَلُ شِمَالُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَيَأْخُذُ بِهَا كِتَابَهُ"[2] وروي عَنْ مُجَاهِدٍ أنه قَالَ:"يُحَوَّلُ وَجْهَهُ فِي مَوْضِعِ قَفَاهُ، فَيَقْرَأُ كِتَابَهُ كَذَلِكَ"[3]

ث- وقال القرطبي:"﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ تخلع كتفه اليسرى، فتجعل يده خلفه فيأخذ بها كتابه"[4].

---

[1] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (٨/ ٥٠٩) جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣ هـ.

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، (ج٨ ص٤٥٧) دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، لوامع الأنوار: السفاريني (ج ٢ص١٨٣).

[3] كتاب الفوائد (الغيلانيات) أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزّاز (٢/ ٨١١) تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مباحث العقيدة في سورة الزمر: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ (ص٥٩٩) مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

[4] التذكرة: القرطبي (ص٦٢٢).

أول من يعطى صحيفته بشماله:

أول من يعطى كتابه بشماله الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ أَخِي أَبِي سلمة لأنه أول من بادر النبي ﷺ بالحرب في غزوة بدر.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يَمُدُّ يَدَهُ الْيُمْنَى لِيَأْخُذَ كِتَابَهُ فَيَجْذِبُهُ مَلَكٌ، فَيَخْلَعُ يَمِينَهُ، فَيَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ: يُفَكُّ أَلْوَاحَ صَدْرِهِ وَعِظَامِهِ ثُمَّ تُدْخَلُ يَدُهُ وَتُخْرَجُ مِنْ ظَهْرِهِ، فَيَأْخُذُ كِتَابَهُ كذلك. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾ أَيْ بِالْهَلَاكِ فَيَقُولُ: يَا وَيْلَاهُ، يَا ثُبُورَاهُ"[1] فالجزاء من جنس العمل، فجوزي الأسود بخلع يده.

والقصة: لما أراد سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد أن يهاجر مع أمه أم سلمة منع بنو المغيرة أم سلمة أن تسير مع أبي سلمة ونزعوا خطام البعير من يده فأخذوها منه، فغضب رهط أبي سلمة وهم بنو عبد الأسد فاجتنبوا ابنه سلمة المذكور من أمه حيث أخذها قومها، ولم يدعوها تسير مع أبي سلمة فخلعوا يد الغلام...القصة [2].

ثالثاً : كيفية قراءة الصحف

اختلف العلماء في كيفية القراءة إلى فريقين:

الفريق الأول: قالوا أن القراءة حقيقية وهو الراجح.

يقرأ كل واحد كتابه ولو كان أمياً كما قال قتادة"سَيَقْرَأُ يَوْمَئِذٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا"[3]، ولكن هناك جماعة لا يقرأون كتبهم نظراً لذهولهم ودهشتهم، من هول وسوء ما فيها من الذنوب والقبائح، قَالَ الْعَلَّامَةَ الشَّيْخُ مَرْعِيٌّ:"وَإِنَّمَا خَصَّ الْقِرَاءَةَ بِمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ دُونَ مَنْ أُوتِيَهُ بِشِمَالِهِ لِأَنَّ أَهْلَ الشِّمَالِ إِذَا طَالَعُوا كِتَابَهُمْ وَجَدُوهُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْمُهْلِكَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالْقَبَائِحِ الْكَامِلَةِ فَيَتَوَلَّى الْخَوْفُ وَالدَّهَشُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَيَثْقُلُ لِسَانُهُمْ، وَيَعْجِزُونَ عَنِ الْقِرَاءَةِ الْكَامِلَةِ بِخِلَافِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَإِنَّهُمْ إِذَا طَالَعُوا صُحُفَ حَسَنَاتِهِمْ، وَجَدُوهَا عَلَى الْكَمَالِ فَيَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ وَأَتَمِّهَا"[4].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١٩/٢٧٢).

[2] انظر لوامع الأنوار: السفاريني (٢/١٨٣).

[3] جامع البيان: الطبري (١٤/٥٢٥).

[4] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/١٨٠-١٨١).

كتاب المؤمن: المؤمن يأتيه كتابه أبيض بكتابة بيضاء، فيقرأه فيبيض وجهه ويتلألأ ويشرق وجهه، وينبعث النور من أعضائه، ويقال له: انطلق إلى إخوانك إلى من هم على شاكلتك من أهل الأنوار، فينطلق إلى أرض المحشر، وكتابه بيمينه، فقد سُعِدَ سعادة لا يشقى بعدها أبداً كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ قَالَ يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَيُبَيَّضُ وَجْهُهُ وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ يَتَلَأْلَأُ فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهَذَا وَبَارِكْ لَنَا فِي هَذَا حَتَّى يَأْتِيَهُمْ فَيَقُولُ أَبْشِرُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا..."[1]

كتاب الكافر: وأما الكافر فيأتيه كتابه أسود بكتابة سوداء، فيقرؤه فَيَسْوَدُّ وجهه، كما عن النبي ﷺ، قَالَ:"... وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُسَوَّدُ وَجْهُهُ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَيُلْبَسُ تَاجًا فَيَرَاهُ أَصْحَابُهُ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا اللَّهُمَّ لَا تَأْتِنَا بِهَذَا قَالَ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ أَخْزِهِ فَيَقُولُ أَبْعَدَكُمْ اللَّهُ فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا"[2].

الفريق الثاني: قالوا أن القراءة مجاز عن علم الواحد بماله وما عليه والأول أرجح.

رابعاً: الحكمة من أخذ الصحف

الحكمة من أخذ العباد صحفهم إلزاما لهم ورفعا للجدال والعناد، وحتى يطمئن العباد أن القلم لم يخط عليهم شيئاً لم يرتكبوه ولم يفعلوه، وذلك أدعى للاطمئنان إلى عدل الله: ويشهد المجرمون يوم القيامة بأن الكتاب لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال ﷻ: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[الكهف: ٤٩].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني اسرائيل (ح٣٠٦١) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب قال حسين سليم أسد: إسناده حسن.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني اسرائيل (ح٣٠٦١) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب قال حسين سليم أسد: إسناده حسن

المبحث التاسع

الحساب

المطلب الأول: تعريف الحساب وأدلته

أولاً: تعريف الحساب:

الحساب لغةً: قَالَ اللَّيْث:"الحِسابُ والحِسابةُ: عَدُّك الشيءَ، تَقول: حَسَبْتُ الشَّيْء أَحْسُبُه حِسَابا وحِسابَةً وحِسْبَةً"[1].

الحساب اصطلاحاً:"ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه". [2]

فالحساب هو تعريف الله سبحانه الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه. قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] أي أن الله تعالى يوقف عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر واستقامة وانحراف، فاليوم يوم الحساب والجزاء، حيث تجثو الأمم على الركب عندما تدعى للحساب"قال ﷻ: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]

ثانياً: أدلة الحساب

١. **أدلة الحساب من الكتاب**

أ- وقال ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

ب-وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(٢٦) ﴾. [الغاشية].

ت-وقال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(٨) ﴾. [الانشقاق].

---

[1] تهذيب اللغة: الأزهري الهروي (١٩٣/٤).

[2] التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (ص١٣٩).

ث- وقال ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾. [غافر:١٧].

٢. أدلة الحساب من السنة

أ- عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"[1]

ب- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"[2]

٣. أدلة الحساب من الإجماع

ذكر ابن عثيمين الإجماع فقال:"أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونسائهم، وأموالهم، فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله ﷻ : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]"[3]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى ﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (ح٢٢٦١) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله (ح٤٩٧٢).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب (ح٦٠٥٨).

[3] شرح ثلاثة الأصول: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص١٠٢) دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م. مجموع فتاوى ورسائل: ابن العثيمين (١٢٨/٥) (٩٩/٦).

المطلب الثاني: مجيء الله والملائكة لفصل القضاء

أولاً: مجيء الله لفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله

ينزل الله وهو على عرشه تحمله الملائكة، وهم يسبحون الله سبحانه ويقولون: سبحان ذي الملك والملكوت.. سبحان ذي العزة والجبروت.. سبحان من كتب الموت على الخلائق ولا يموت. سبوح قدوس.. قدوس.. قدوس.. رب الملائكة والروح.

قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]وقال ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]

وعن أبي عبيدة عن عبد الله‌ﷺ: عن النبي ﷺقال:"إِنَّ اللهَ يَجْمَعُ فِي الأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَنْزِلُ عَنْ عَرْشِهِ إِلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ"[1].

في ذلك اليوم يجيء الرب لفصل القضاء بين الأولين والآخرين مجيئاً يليق بكماله وجلاله، لا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل لصفة المجيء، فالله منزه عن الشبيه والنظير والمثيل، لا ند له، ولا كفء، ولا صاحبة، ولا ولد[2] قال ﷻ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(١) اللهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)﴾. [الاخلاص]. و قال ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]

ثانياً: مجيء الملائكة صفوفاً

قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقالﷻ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]وقال ﷻ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ وَنُزِّلَ المَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(ح١٠٣٨٦) (١٠/١٨٠).

[2] انظر: قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر (ص١٣١) دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث: محمد بن عبد الرحمن الخميس(ص٣١١) دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

قال ابن كثير: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَولِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الأُمُورِ الْعَظِيمَةِ، فَمِنْهَا انْشِقَاقُ السَّمَاءِ وَتَفَطُّرُهَا وَانْفِرَاجُهَا بِالْغَمَامِ، وَهُوَ ظُلَلُ النُّورِ الْعَظِيمِ الَّذِي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السموات يَوْمَئِذٍ، فَيُحِيطُونَ بِالْخَلَائِقِ فِي مَقَامِ الْمَحْشَرِ. ثُمَّ يَجِيءُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ"[1].

المطلب الثالث: من بيده الحساب

أولاً: الله وحده بيده الحساب

محاسبة الناس يوم القيام شأن لله خاص به سبحانه، وليس للعباد شأن به، فلا يحق لهم تقويم أعمال إخوانهم من البشر، ولا الحكم على مصائرهم عند ربهم، قال ﷻ ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) ﴾. [المؤمنون]. وقال ﷻ ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾. [الغاشية].

ثانياً: الله سريع الحساب

قال ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٢] وقال ﴿ وَاللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١] و قَالَ ﷻ: ﴿ لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥١] و قَالَ ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧]

الله وحده الذي يحكم على العباد، وهو لا يظلم أحداً سبحانه، يضع الميزان بالقسط ويحاسب حسابا دقيقا، فيغفر لمن شاء ويضاعف الأجر لمن شاء ويعذب من شاء يوم الحساب، وبين لنا أنه رغم دقة الحساب فإن الله يوفى الصابرين أجرهم بلا حساب، الحساب وطبيعته وكيفيته ونتائجه كلها من خصائص الله العلى القدير، وما علينا إلا اليقين بأننا سنحاسب على أعمالنا، وعليه وجب علينا أن نتقى ذلك اليوم، وأن نصلح من أمورنا، ونعد العدة للقاء والحساب. فالله سوف يكلمك ليس بينك وبينه ترجمان، كما

---

[1] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١٠٥/٦).

في حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ"[1].

المطلب الرابع: أول من يحاسب من الأمم وأول من يكلمهم الله ﷻ

أولاً: أول من يحاسب من الأمم أمة محمد ﷺ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:"نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يُقَالُ أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ"[2]

ثانياً: أول من يكلمه الله ﷻ يوم القيامة

أول من يكلمه الله ﷻ يوم القيامة في هذا الموقف العصيب هو آدم عليه السلام، ينادى عليه الحق سبحانه كما ثبت في الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يَقُولُ اللَّهُ يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ يَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ قَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ[3].

ثم بعد ذلك ينادى رب العزة تبارك وتعالى: يا نوح.. يقول لبيك وسعديك، فيقول الله سبحانه هل بلغت قومك ؟ ! فيقول نوح عليه السلام: نعم يا رب والله أعلم، فيقول الحق ﷻ: يا قوم نوح هل بلغكم نوح ؟! فيقولون لا ما أتانا من نذير وما آتانا من أحد، فيقول من

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب (ح٦٠٥٨).

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد (ح٤٢٨٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٢٣٧٤) (٤٤٨/٥).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق باب قوله ﷻ ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (ح٦٠٤٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب قوله"يقول الله لآدم: أخرج بعث النار"(ح٣٢٧).

يشهد لك يا نوح؟!! فيقول نوح عليه السلام: محمد وأمته !

جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ"[1] فتدعى أمة محمد للشهادة، فيشهدون لنوح أنه قد بلغ أمته، ثم يدعى الرسول فيشهد علينا، ثم يدعى عيسى عليه السلام ويقال له يا عيسى ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾. [المائدة: ١١٦]

ثم يدعى جميع الرسل قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾. [المائدة: ١٠٩]. وقال ﷻ ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ(٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ(٧) ﴾. [الأعراف].وقال ﷻ: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ(٧٠) ﴾. [الزمر].

المطلب الخامس: من يشملهم الحساب وكيفيته

قال ابن تيمية:" وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا "[2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ (ح٤١٢٧).

[2] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٤٦/٣).

الناس في الحساب فريقان

أولاً: الذين لا يحاسبون وهم

١- **الأنبياء والرسل** لأنهم معصومون.

٢- **من يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**، كما جاء في الصحيحين عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ"[١].

وفي رواية أخرى يبين النبيﷺ أوصافهم عَنْ عِمْرَانَ قَالَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ"يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ قَالُوا وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ[٢]

٣- البهائم لا حساب عليها حساب حسنات وسيئات، وإنما يجري بينها القصاص، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ"[٣].

٤- **المجنون والصبي**: الصبيان والمجانين لا حساب لهم؛ لأنهم غير مكلفين وليسوا أهلاً للتكليف وغير مؤاخذين في الدنيا، ففي الحديث عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال:"رُفِعَ الْقَلَمُ عن ثَلَاثَةٍ عن النَّائِمِ حتى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّغِيرِ حتى يَكْبَرَ وَعَنْ الْمَجْنُونِ حتى يَعْقِلَ أو يُفِيقَ قال أبو بَكْرٍ في حَدِيثِهِ وَعَنْ الْمُبْتَلَى حتى يَبْرَأَ"[٤].

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار(ح٦٠٧٠) واللفظ له، و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة(ح٣٢٢).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة (ح٣٢٠).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (ح٤٦٧٩).

[٤] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم (ح٢٠٣١) وصححه الألباني، في مشكاة المصابيح(ح٣٢٨٧) (٩٨٠/٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٥١٣) (٦٥٩/١).

فالمجنون معذور في أصول الدين وفروعه، والقلم مرفوع عنه، والصبي أيضاً غير مكلف، والمكلف هو البالغ العاقل ؛ لأن خطاب الشارع إنما هو موجه إلى العقلاء ولا حساب بدون تكليف، فرفع القلم عن الصبيان والمجانين، لعدم التكليف، ولفقدانهم العقل والإدراك وهذا من كمال عدل الله تعالى، والله تعالى أعلى وأعلم.

ثانياً: الذين يحاسبون وهم فريقان

١. فرقة تحاسب حساباً يسيراً

وهم المؤمنون من الإنس والجن الذين يأخذون كتابهم باليمين قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(٨) ﴾. [الانشقاق]. فالمؤمن المطيع يخلو به ربه ويقرره ذنوبه، ثم يسترها ويغفرها، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ[1] وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [2]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ"اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ قَالَ أَنْ يَنْظُرَ فِي

---

[1] فَيَضَع عَلَيْهِ كنفه: بِالتَّحْرِيكِ ستره فيحفظه، ويستره بِهِ عَن النَّاس، أهل الْموقف، صِيَانة لَهُ عَن الخزي والفضيحة، التيسير بشرح الجامع الصغير: المناوي(١/٢٧٣).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، ح(٢٢٦١) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله،(ح٤٩٧٢).

كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْه إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللَّهُ ﷻ بِهِ عَنْه حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ" [1].

ويدخل مؤمن الجن كما هو مذهب أكثر العلماء لعموم قوله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].ولقوله ﷻ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].ولقوله ﷻ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]

٢. وفرقة تحاسب حساباً عسيراً

وهؤلاء يكون منهم المسلم العاصي الفاسق ومنهم الكافر، وهؤلاء يناقشون الحساب ويسألون عن كل صغيرة وكبيرة وكل حقيرة وجليلة، ومن نوقش الحساب عذب عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾[الانشقاق] قَالَ ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ" [2]

ويحاسب الجن لأنهم مكلفون مأمورون كالإنس، ولذلك الجني الكافر يدخل النار بالاتفاق، كما قال ﷻ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ....﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الكفار والمنافقون يحاسبون حساب تقريع وتوبيخ، وليس محاسبة حسنات وسيئات، وهو عسير عليهم كما قال ﷻ ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾[الفرقان: ٢٦]، وقال ﷻ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]وإنما كان الحساب شديداً، لأنه لا يدع شاردة ولا واردة إلا أتى بها قال ﷻ ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، باقي مسند الأنصار،حديث السيدة عائشة،(ح٢٣٠٨٢) ، وصححه الألباني، في مشكاة المصابيح(ح٥٥٦٢) (٢٧٣/١).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾(ح٤٥٥٨).

فإن قيل: فقد قال ﷻ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] وقال ﷻ: ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨] و قال ﷻ: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤] و هذا يتناول بعمومه جميع الكفار.

الجواب: القيامة مواطن فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك، فلا تتناقض الآيات. قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل في بعضها، ولا يسأل في بعضها، وقال ابن عباس رضي الله عنه: لا يسألون سؤالاً شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ: لم عملتم كذا و كذا؟ والقاطع لهذا قوله ﷻ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢]. [1]

المطلب السادس: ما يسأل عنه العبد ويحاسب

قال ﷻ ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٣] وقال ﷻ ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧] وقال ﷻ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨) ﴾. [الزلزلة]. وقال ﷻ ﴿ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٦] وقال ﷻ ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]

يُسأل العبد عن كل شيء، ومن أهم الأمور التي يُسأل عنها:

أولاً: الكفر والشرك. كما قال ﷻ ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(٩٢) مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ(٩٣) ﴾. [الشعراء].

ثانياً: ما عمله في الدنيا. كما قال ﷻ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩٣) ﴾. [الحجر]. عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"[2].

---

[1] انظر التذكرة: القرطبي (ص٦٧٦).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص(ح٢٣٤١) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ قال الألباني: صحيح.

ثالثاً: النعيم الذي يتمتع به: قال ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

رابعاً: العهود والمواثيق: قال ﷻ ﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]

خامساً: السمع والبصر والفؤاد: قال ﷻ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة

عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا قَالَ فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ فَقُلْتُ إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا فَحَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ ﷻ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ"[1]

قال أبو عمر بن عبد البر: "أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها و سجودها و لم يدر قدر ذلك، وأما من تعمد تركها أو شيئاً منها ثم ذكرها فلم يأت بها، عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه، وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم". [2]

أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الناس الدماء

عن عَبْدَ اللَّهِ ابن مسعود ﷺ قَالَ ﷺ "أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ". [3] وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا يَقُولُ يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنْ الْعَرْشِ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة(ح٣٧٨) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غريب قال الألباني: صحيح.

(٢) التذكرة: القرطبي (ص٦٦٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة،ح(٣١٧٨) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (ح٦٠٥٢).

قَالَ فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قَالَ مَا نُسِخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا بُدِّلَتْ وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ"[1].

المطلب السابع: قواعد عامة في الحساب

أولاً: العدل التام في الحساب

قال ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]وقال ﷻ ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] ، وقال ﷻ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]فتيلاً: هو الخيط الذي يكون في شق النواة.

ثانياً: لا يؤاخذ أحد بجريرة أحد

قال ﷻ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]قال ابْنِ عَبَّاسٍ: "مَأْخُوذَةٌ بِعَمَلِهَا"[2] أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها.

المطلب الثامن: الشهود

يقيم الله تعالى على الكافرين والعصاة الشهود قال ﷻ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]فأعظم الشهداء عليهم هو ربهم وخالقهم، وكذلك الأرض والأيام والليالي والمال والملائكة وأعضاء الإنسان، والحفظة الكرام، والمال، كل ذلك من الشهود.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله،باب ومن سورة النساء(ح٢٩٥٥) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، قال الألباني: صحيح.

[2] جامع البيان: الطبري (٤٤٧/٢٣).

١. شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما:

قال ﷻ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، وقال ﷻ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال ﷻ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصّلت: ٢١]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺقَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:"مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ"[1]، وعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"تَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَفْوَاهِكُمْ الْفِدَامُ[2] وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ الْآدَمِيِّ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ"[3]

قوله ﷺ"**أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ الْآدَمِيِّ فَخِذُهُ**"يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزي على ما نطق به الكتب في قوله ﷻ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ {الجاثية: ٢٩} لأنه كان في الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى، فلا يفعل ما يفعل خائفاً مشفقاً، فيجزيه الله بمجاهرته بفحشه على رؤوس الأشهاد.

الثاني: أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به، بل يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك، وتنطق منه الجوارح التي لم تكن ناطقة في الدنيا، فتشهد عليه سيئاته،

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب باب(ح٥٢٧١).

[2] الْفِدَام مَا يغطى بِهِ الشَّيْء كَانَ يغطى بِهِ الإبريق وَالْمَقْصُود أنهم منعُوا الْكَلَام، غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (١٨١/٢) ، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

[3] أخرجه أحمد في مسنده، أول مسند البصريين، حديث بهز بن حكيم (ح١٩١٧٣) قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم يقولون لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ فتمردوا في الجحود، فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء[1].

٢- شهادة الأرض: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قَالَ"أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا"[2].

٤- شهادة الحجر والشجر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ:"مَنْ سَجَدَ فِي مَوْضِعٍ عِنْدَ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرَةٍ شَهِدَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".[3]

٥- شهادة المال عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ:"... وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهُوَ كَالْآكِلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4].

٦- لا يشهد العبد على شهادة في الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة: قال: ﷻ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزُّخرف: ١٩]، وقال ﷻ : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. قال ابن المبارك: أخبرنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد ابن أبي هلال، عن سليمان بن راشد أنه بلغه أن امرأً لا يشهد على شهادة في الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ولا يمتدح عبداً في الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد. يدل على صحته من الكتاب قول الحق ﷻ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزُّخرف: ١٩] و قَالَ ﷻ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] [5].

---

[1] انظر: التذكرة: القرطبي (ص٦٤٧).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب منه(ح٢٣٥٣) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[3] أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق: (١١٤/٢) التذكرة: القرطبي (ص ٦٨٠).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله (ح٢٦٣٠).

[5] التذكرة: القرطبي (ص ٦٨١).

٧- شهادة الأنبياء و شهادة هذه الأمة للأنبياء على أممهم قال ﷻ : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ(٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ(٧) ﴾. [الأعراف].
وقال ﷻ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢].

ذكر البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ"[1]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (ح ٤١٢٧).

المبحث العاشر

الحوض

الناس في أرض المحشر يوم القيامة، في غاية من الألم والشدة والخوف والضنك والعذاب، مغبرّة رؤوسهم، حافية أقدامهم، عارية أجسادهم، الشمس قريبة من رؤوسهم بمقدار ميل، فأصابهم من العطش ما أصابهم، فهم أحوج ما يكونون إلى شربة ماء يروون بها ظمأهم، فيجدون بغيتهم في حوض المصطفى ﷺ، فالحوض يُروى عنده الظمأى. ويَأمن عنده الخائفون، ويَسعد عنده المحزونون، يقف عليه النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، وبقية الصحب الكرام، وسادات الأمة وعلماؤها. فالحوض بداية فرح المؤمن في الآخرة، لأنه لا يرده إلاّ من نجى من هولٍ عظيم وكربٍ جسيم.

المطلب الأول: تعريف الحوض ومكانه

أولاً: تعريف الحوض:

١- **تعريف الحوض لغةً**: مجمع الماء، ويجمع على أحواض، وحياض [١].ويطلق على مجتمع الماء، قال ابن حجر:"قَوْله (بَاب فِي الْحَوْض) أَيْ حَوْض النبي ﷺ، وَجَمْع الْحَوْض حِيَاض وَأَحْوَاض وَهُوَ مَجْمَعُ الْمَاء"[٢]

٢- **تعريف الحوض شرعاً**:"حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات[٣] يوم القيامة للنبي ﷺ"[٤] فالحوض موردٌ عظيمٌ ترده أمةُ محمدٍ ﷺ ممن اتبع هدي النبيّ ﷺ، ولم يُبدل أو يُتغير [٥].

---

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور (١٤١/٧).

(٢) فتح الباري: ابن حجر (٤٦٦/١١).

(٣) العَرَصاتُ: جمعُ عَرْصَةٍ هي كلُّ موضِعٍ واسع لا بِناء فيه. النهاية: ابن الأثير (٢٠٨/٣).

(٤) تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص١٢٣) تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٥) انظر: شرح اللامية: يوسف بن عبد الله السالم (ص١٠٦) ، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

ثانياً: مكان الحوض

في عرصات القيامة وكذلك بعد العبور على الصراط، يقول الحنفي"الْحَوْضُ فِي الْعَرَصَاتِ قَبْلَ الصِّرَاطِ، لِأَنَّهُ يُخْتَلَجُ عَنْهُ، وَيُمْنَعُ مِنْهُ أَقْوَامٌ قَدِ ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يُجَاوِزُونَ الصِّرَاطَ"[1].

المطلب الثاني: الإيمان بالحوض

الإيمان بالحوض هو معتقد جميع علماء السلف، وقد أجمع على ثبوته واعتقاده جميع من يعتد بقوله من أهل الإسلام من الخلف، لم يختلفوا في ذلك ولم يتأولوه. إذن فثبوت الحوض قطعي، بل هو متواتر، قال الطحاوي:"الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًّا"[2].

وأنكر الحوض طوائف من المبتدعة كالخوارج وبعض المعتزلة لعدم أخذهم بحجية أخبار الآحاد وردهم لها، أو لأنهم يقدمون العقول والآراء على ما جاءت به النصوص، فلم يؤمنوا بالحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة؛ وكل من خالف في إثباته؛ فهو مبتدع، وأحرى أن يطرد عنه يوم القيامة .

يقول الجيلاني:"وقد أنكرت المعتزلة، فلا يسقون منه ويدخلون النار عطشاً؛ إن لم يتوبوا عن مقالتهم وجحودهم الحق ورد الآيات والأخبار والآثار"[3].

وقال ابن حجر:" وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ- الخوارج والمعتزلة -وَأَحَالُوهُ[4] عَلَى ظَاهِرِهِ وَغَلَوْا فِي تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحَالَةٍ عَقْلِيَّةٍ وَلَا عَادِيَّةٍ تَلْزَمُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ وَلَا حَاجَةَ تَدْعُو إِلَى تَأْوِيلِهِ فَخَرَقَ مَنْ حَرَّفَهُ إِجْمَاعَ السَّلَفِ وَفَارَقَ مَذْهَبَ أَئِمَّةِ الْخَلَفِ"[5].

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٢٠٠).

[2] شرح الطحاوية: الحنفي (ص١٩٩).

[3] الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية. عبد القادر الجيلاني (٨٥/١) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

[4] أي: جعلوه مستحيلاً.

[5] فتح الباري: ابن حجر (٤٦٧/١١).

قال السفاريني:"خَالَفَتِ الْمُعْتَزِلَةُ فَلَمْ تَقُلْ بِإِثْبَاتِ الْحَوْضِ مَعَ ثُبُوتِهِ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ، فَكُلُّ مَنْ خَالَفَ فِي إثْبَاتِهِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ"[1].

أولاً: الأدلة على وجود الحوض

١. الأدلة على وجود الحوض من القرآن

قال ﷻ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(٣) ﴾. [الكوثر].

هذه الآيات تثبت أمرين هما:

الأول: الكوثر وهو نهر من أنهار الجنة وُعِدَ به رسول الله ﷺ وخصَّ به دون غيره.

الثاني: إثبات الحوض وهو مجمع مصب ماء نهر الكوثر في عرصات يوم القيامة، يرد عليه من تمسك بسنته صلوات الله وسلامه عليه ليشرب شربة لا يظمأ بعدهاأبداً.

والكوثر هو الحوض الذي أعطاه الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ كما جاء عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ"أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(٣) ﴾ ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ"[2].

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أنس ﷺ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ لَمَّا أُنْزِلَتْ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ يَجْرِي عَلَى جَنَادِلِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ شَرَابُهُ أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ"[3].

---

[1] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٢٠٢).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية (ح٦٠٧).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، باقي مسند المكثرين (ح٥٦٤٣) قال الأرنؤوط: حديث قوي.

٢.الأدلة على وجود الحوض من السنة

الأحاديث الواردة في الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وخمسون صحابياً منها:

أ- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"[١]والفرط: الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم حياض المياه ونحو ذلك.

ب-عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ:"إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ"[٢].

ت-حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ"أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ"[٣].

وغير ذلك من الأحاديث التي سأذكرها في موضعها، ووجه الاستدلال من هذه الأحاديث واضح في إثبات أن للنبي ﷺ حوضاً يوم القيامة، نسأل الله أن نكون ممن يرد عليه ويشرب منه.

٣.الأدلة على وجود الحوض من الإجماع

أجمع علماء السلف على إثبات الحوض، وصفاته التي وردت على لسان نبينا محمد ﷺ، وقد نقل أبو العباس القرطبي، إجماع السلف، وأهل السنة من الخلف على إثبات الحوض [٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٠٩٠).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا (ح٤٢٤٨).

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٢١٢) واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا (ح٢٢٩٠).

[٤] انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس القرطبي (٦/٩٠) ، تحقيق: محي الدين ديب مستو ومجموعة، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

وهذه أهم أقوالهم:

١- قال القاضي عياض:"وحديث الحوض صحيح، والإيمان به واجب، والتصديق به من الإيمان، وهو على وجهه عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يحال عن ظاهره، خلافاً لمن لم يقل به من المبتدعة النافين له، والمحرفين له بالتأويل عن ظاهره"[١].

٢- قال الإمام أبو الحسن الأشعري:"وأجمعوا...على أن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه"[٢].

٣- وقال الإمام أحمد:"والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله مسيرة شهر آنيته عدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه"[٣].

٤- قال ابن عبد البر:"وَالْآثَارُ فِي الْحَوْضِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى وَأَصَحُّ مَا يُنْقَلُ وَيُرْوَى"[٤]

ثانياً: الحوض موجود الآن

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي"[٥].

٢. عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ:"إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى

---

[١] إكمال العلم بفوائد مسلم: القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (٢٦٠/٧) ، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

[٢] رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري(ص١٦٥) تحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،١٤١٣هـ.

[٣] طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى محمد بن محمد (٢٤٢/١) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

[٤] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (٢٩١/٢) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل ما بين القبر والمنبر (ح١١٢١).

حَوْضِي الْآنَ"[1]، ويعلق ابن حجر على الحديث بقوله"يَحْتَمِلُ أَنَّهُ كُشِفَ لَهُ عَنْهُ لَمَّا خَطَبَ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدُ رُؤْيَةَ الْقَلْبِ"[2].

قال النووي:"هَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْحَوْضَ حَوْضٌ حَقِيقِيٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا سَبَقَ وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ الْيَوْمَ"[3].

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان أبداً، وبما أن الجنة مخلوقة نستطيع أن نثبت أن الحوض من الجنة كما أخبر الله ﷻ، وكما أخبر النبي ﷺ بأن نهر الكوثر نهر في الجنة، فنثبت أن الحوض مخلوق الآن، لأنه ما دام الكل مخلوقاً، فالجزء من باب أولى، والله تعالى أعلى وأعلم.

المطلب الثالث: صفة الحوض

جاء في السنة في صفة الحوض أنه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك، فهو طيبٌ في لونه، طيبٌ في مذاقه، طيبٌ في رائحته، فالعين تعشقه وتتلذذ برؤيته، فهو أبيض مثل بياض اللبن، والأنف يتلذذ برائحته، فهو أطيب من ريح المسك، والفم يتلذذ بمذاقه فهو أحلى من العسل، فما أحسن الطعم وما ألذ الشم أو الرائحة وما أحسن المنظرا، في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء وإن كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وكلما شرب منه فهو في زيادة واتساع، وأباريقه عدد نجوم السماء في العدد واللمعان.

يقول الحنفي:"وَالَّذِي يَتَلَخَّصُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ: أَنَّهُ حَوْضٌ عَظِيمٌ، وَمَوْرِدٌ كَرِيمٌ، يُمَدُّ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الِاتِّسَاعِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاءٌ، كُلُّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ. وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّهُ كُلَّمَا شُرِبَ مِنْهُ وَهُوَ فِي زِيَادَةٍ وَاتِّسَاعٍ، وَأَنَّهُ يَنْبُتُ فِي حَالٍ مِنَ الْمِسْكِ وَالرَّضْرَاضِ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا (ح٤٢٤٨).

[2] فتح الباري: بن حجر (٤٧٥/١١)

[3] شرح النووي على صحيح مسلم (٥٩/١٥).

مِنَ اللُّؤْلُؤِ قُضْبَانَ الذَّهَبِ، وَيُثْمِرُ أَلْوَانَ الْجَوَاهِرِ، فَسُبْحَانَ الْخَالِقِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ"[١].

جاء في صفة الحوض أحاديث كثيرة منها:

١. قَالَ ﷺ "حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا"[٢].

٢. قَالَ ﷺ"حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ[٣] وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا"[٤].

من خلال ما سبق يتبين أن صفة الحوض التي دلت عليها السنة الصحيحة:

أولاً: من حيث شكله

هو مربع، زواياه سواء وأضلاعه متساوية، وقد ثبت في الحديث السابق:"حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ" فهذا يدل على أنَّ شكل الحوض مربع، وأنَّ زواياه قائمة، وأنَّ طوله وعرضه واحد وهو شهر. وقد ذكر القرطبي أنه يكون معتدل التربيع[٥].

ثانياً: من حيث مسافته

اختلفت الروايات في مسافة الحوض وكثر فيها الكلام، وهذه خلاصة أقوالهم:

إنه كما ما بين أيلة [٦] و صنعاء أوْ الجحفة[٧]، أو عدن أو عمان أو كما ما بين عدن وعمان أو كما ما بين المدينة وعمان، أو كما ما بين المدينة وصنعاء، أو كـ ا ما

---

[١] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٢٠١).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب في الحوض(ح٦٠٩٣).

[٣] الْوَرِق الْفضة بِكَسْر الرَّاء. انظر: غريب الحديث: ابن قتيبة(١/ ٢٨١).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا(ح٤٢٤٤).

[٥] انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي (١٩/٢٩).

[٦] أيلة: بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام انظر: معجم البلدان: الحموي (١/٢٩٢).

[٧] **الجحفة**: بالضم ثم السكون والفاء كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام، وإنما سميت الجحفة، لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. انظر: معجم البلدان، الحموي (٢/١١١).

بين صنعاء وبصرى، أوكما بين الكعبة وبيت المقدس، أو كما ما بين الكوفة والحجر الأسود، أو كما بين جرباء [1] وأذرح [2].

الجمع بين الروايات التي وردت في تحديد مسافة الحوض

من خلال ما سبق نجد أن هناك روايات متعددة في تحديد مسافة الحوض، وهي مختلفة في البعد، وأن الرسول ﷺ قد حددها، أحياناً بالمكان وأحياناً بالزمان ؛ فهل تلك الفوارق بين تلك المسافات تعارضاً، خصوصاً إذا أريد من ذلك ضبط تلك التحديدات على وجه الدقة ؟

ويمكن تلخيص ما جمع به العلماء بين تلك الروايات من الأقوال فيما يلي: يُحْمَل تعدد الروايات على أن الرسول ﷺ تحدث بذكر الحوض في مناسبات متعددة، وكان يخاطب في كل مرة السائل، مقدراً له مسافة الحوض بما يعرف من الجهات على وجه التقريب.

قال القرطبي:"ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام:"**ما بين جرباء وأذرح**"، ويقول لأهل اليمن:"**من صنعاء إلى عدن**"، وهكذا تارة أخرى يقدر بالزمان والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها"[3].

١- أن العدد القليل لا ينافي العدد الكثير ؛ بل يكون قد أخبر ﷺ بالقليل، ثم زاده الله بعد ذلك خبراً ينص على مسافة أكثر من التي قبلها، وحينئذ تكون المسافة الكثيرة هي

---

[1] **الجرباء**: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز،وهي قرية من أذرح، والجرباء أيضا ماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم بين البصرة واليمامة.انظر: معجم البلدان، للحموي (١١٨/٢).

[2] **أذرح**: هو اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز،قال ابن الوضاح هي من فلسطين،وهو غلط منه وإنما هي في قبلي فلسطين من ناحية الشراة،وفي كتاب مسلم بن الحجاج بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام. انظر: معجم البلدان: (١٢٩/١).

[3] التذكرة: القرطبي (ص٧٠٦).

المعتمدة والقليلة تندرج تحتها.

٢- وذهب بعضهم إلى القول بأن ذلك يختلف باختلاف السير قوة وبطأ، كالسير البطيء، والسير السريع، قال ابن حجر :"وَجَمَعَ غَيْرُهُ بَيْنَ الِاخْتِلَافَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ الْبَطِيءِ وَهُوَ سَيْرُ الْأَثْقَالِ وَالسَّيْرِ السَّرِيعِ وَهُوَ سَيْرُ الرَّاكِبِ الْمُخِفِّ"[١]

٣- أن ذلك الاختلاف إنما هو بحسب الطول والعرض، واعترض ابن حجر على هذا الوجه وقال أنه مردود برواية عبد الله بن عمر ﷺ " زواياه سواء"، وحديث أبي ذر وعبد الله بن عمر ﷺ" بحسب الطول والعرض"[٢].

الترجيح: الراجح من الأقوال هو القول بأن الرسولﷺ لم يرد أن تلك المسافات – بين تلك الأماكن التي قالها – متحدة، وإنما كان يريد الإخبار عن مسافة ما بين أجزاء الحوض، وما قيل من أنه ينبغي أن تكون المسافة واحدة مع كل سائل، فليس بلازم؛ لأن النبي ﷺ كان يخاطب السائل مقرباً له المسافة، ومشيراً إلى ما يعرف من الأماكن ؛ فالسائل الذي يعرف المدينة وعمان يمثل له بها، والسائل الذي يعرف جهة جرباء وأذرح يمثل له بها، ولم يرد الرسول ﷺ أن تلك المسافات بين تلك الأماكن متحدة.

ثالثاً: من حيث آنيته

وصفَ ﷺ آنيته كما في الحديث"وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ"[٣] في اللمعان والإشراق، ثم ذكر عددها بقولهﷺ:"آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ"[٤] وقد ذكر النووي اختلاف الروايات في عدد آنية الحوض، فقال:"قَوْلُهُ ﷺ (كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ) وَفِي رِوَايَةٍ فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَفِي رِوَايَةٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أكثر من عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا وَفِي رِوَايَةٍ وإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَفِي رِوَايَةٍ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ وَفِي رِوَايَةٍ تَرَى فِيهِ أَبَارِيقَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَفِي رِوَايَةٍ كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ الْمُخْتَارُ الصَّوَابُ أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ لِلْآنِيَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَنَّهَا أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ وَلَا مانع

---

[١] فتح الباري: ابن حجر (٤٧٢/١١).

[٢] انظر: المصدر السابق (٤٧٢/١١).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض(ح٦٠٩٣).

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب باب(ح٤٥٨٣).

عقلي ولا شرعي يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ بَلْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ مُؤَكَّدًا كَمَا قَالَ ﷺ:"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ"[1] [2].

نفهم من مجمل الأحاديث السابقة أن للآنية صفتين:

١- **صفة الكثرة:** كثرتها ككثرة نجوم السماء، وهذا يدل على الراحة والطمأنينة في الشرب منه، وألا يكون هناك تزاحم على كيزانه.

٢- **صفة الإشراق والبهاء والنور:** كيزانه أو أباريقه كنجوم السماء في الإشراق والبهاء والنور، فنجوم السماء فيها صفة الكثرة وفيها صفة الإشراق والنور والبهاء.

قال العيني:"قَوْله: (كنجوم السَّمَاء) الظَّاهِر أَن التَّشْبِيه فِي الْعدَد، وَيحْتَمل أَن يكون فِي الضياء"[3].

ومن خلال ما سبق تبين بأن المقصود بآنيته أنه كناية عن كثرة العدد، وأنها كنجوم السماء، وفي الوصف بالنور واللمعان ؛ فآنيته كنجوم السماء كثرة وإضاءة.

رابعاً: من حيث مائه

١- مصدر مائه:

ماء الحوض من ماء الجنة من نهر الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله في الجنة. قال ﷻ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١ أما من حيث وجه الاتصال بين الحوض والكوثر فهو كما أخبر رسول الله ﷺ من أنه يشخب فيه ميزابان من الكوثر يمدانه كما جاء من حديث ثوبان ﷺأن النبي ﷺ قال في صفة الحوض:"يَغُتُّ فيه مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ من الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا من ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ من وَرِقٍ"[4].

وبين الطحاوي وجه الاتصال بينهما فقال:"وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ ذَلِكَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ"[5].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته(ح٤٢٥٥).

[2] شرح النووي على صحيح مسلم (٥٦/١٥).

[3] عمدة القارئ: العيني (١٣٩/٢٣).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته(ح٤٢٥٥).

[5] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٢٠٠).

قال الْهَرَوِيُّ:"وَمَعْنَاهُ يَدْفُقَانِ فِيهِ الْمَاءَ دَفْقًا مُتَتَابِعًا شَدِيدًا قَالُوا وَأَصْلُهُ مِنْ إِتْبَاعِ الشَّيْءِ الشَّيْءَ وَقِيلَ يَصُبَّانِ فِيهِ دَائِمًا صَبًّا شَدِيدًا وَوَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ يَعُبُّ...قَالَ وَالْعَبُّ الشُّرْبُ بِسُرْعَةٍ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ... وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ يَمُدَّانِهِ فَبِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْمِيمِ أَيْ يَزِيدَانِهِ وَيُكْثِرَانِهِ"[1]وقال الأصبهاني:"يغت فيه ميزابان أي يسيل الماء فيه بكثرة، وقيل: الغت الدفق"[2].

٢- **صفة مائه:**

أ- **لون مائه:** أشد بياضاً من اللبن أو من الْوَرِقِ (الفضة).

ب- **طعم مائه:** أحلى من العسل.

ت- **رائحة مائه:** أطيب من ريح المسك.

ث- **برودة مائه:** أبرد من الثلج.

ج- **آثار مائه:** من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

والدليل على ذلك حديث أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ ﷺ".... مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ" [3].وجاء في رواية أخرى عَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلاَ يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا"[4]

المطلب الرابع: من يشرب ومن يحرم من الشرب

١- أول من يرد الحوض

أول من يرد الحوض هم فقراء المهاجرين، وأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم (٦٣/١٥).

[2] انظر: الحجة في بيان المحجة: أبو القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني(٤٩٠/١) تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته (ح٤٢٥٥).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته (ح٤٢٤٤).

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ"[1] وفي بعض الروايات بأربعين عاماً قَالَ ﷺ"إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا"[2] وفي بعضها بمائة عام وكلها صحيحة، و التقدير يختلف باختلاف الأغنياء، ويختلف باختلاف الفقراء، فأشد الناس فقراً يدخل قبل أغنى الناس بخمسمائة عام، ومن دونه في الفقر، يدخل قبل من دون ذلك الغني بمائة عام، ومن دونه في الفقر قبل ذلك الثاني من الأغنياء في المرتبة الثانية بأربعين عاماً، وبمثل هذا يوفق بين النصوص التي يرد فيها مثل هذه التقادير.

حَدَّثَنِي ثَوْبَانَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"..أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الشُّعْثُ[3] رُءُوسًا الدُّنُسُ[4] ثِيَابًا الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ السُّدَدُ[5]"[6]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُودًا صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ قَالَ قَائِلٌ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الشَّعِثَةُ رُءُوسُهُمْ الشَّحِبَةُ[7] وُجُوهُهُمْ الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ السُّدَدُ وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ"[8].

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين (ح٢٢٧٤) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (ح٤٢٢٨) (٧٧٩/٢).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقاق، باب باب (ح٥٢٩١).

[3] الشعث: تلبد الشعر وتوسخه لبعد الدهن، كشف المشكل: ابن الجوزي(٢٣/٣).

[4] الدُّنُسُ: الوسخ وقد تدنس الثوب أي اتسخ، انظر: النهاية: ابن الأثير(١٣٧/٢).

[5] السُّدَدُ: بضم السين وفتح الدال الأولى المهملتين جمع سدة وهي باب الدار سمى بذلك لأن المدخل يسد به. انظر: النهاية، لابن الأثير (٣٥٣/٢) تحفة الأحوذي: المباركفوري (١١٥/٧).

[6] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض(ح٢٤٤٤) قال الألباني: صحيح.

[7] الشحبة: من شَحَبَ يَشْحَبُ شُحوباً: أي تَغَيَّر من سَفَرٍ أو هُزال أو عَمَل، كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(٩٨/٣) تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون.

[8] أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، باقي المسند السابق (ح٥٨٨٧) ، قال الألباني صحيح لغيره، الترغيب والترهيب(ح ٣٦١٦) (٢٣٣/٣).

قال المباركفوري:"فَالْفُقَرَاءُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ لَهُمْ حُسْنُ الْعَيْشِ فِي الْعُقْبَى مُجَازَاةً لِمَا فَاتَهُمْ مِنَ التَّنَعُّمِ فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]أَيِ الْمَاضِيَةِ أَوِ الْخَالِيَةِ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ صِيَامًا أَوْ وَقْتَ الْمَجَاعَةِ"[1].

٢-من يرد ويشرب ومن يطرد ويحرم من الشرب:

الحوض يرده المؤمنون الصادقون؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا"[2]

ويطرد عنه المبدلون كما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"[3] فيرد هذا الحوض المؤمنون بالله ورسوله ﷺ، المتبعون لشريعته، المتمسكون بسنته، وأما من استنكف واستكبر وأحدث وبدل في الشريعة ؛ فإنه يطرد ويذاد عن الحوض الذي من شرب منه لم يظمأ أبداً.

قال القرطبي: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله و لم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، و أشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستحفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء

---

[1] تحفة الأحوذي: المباركفوري (١٥/٧).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا (ح٤٢٤٧).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب في الحوض (ح٦٠٩٠).

والبدع، ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم سحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقاً سحقاً، و لا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان"[1].

فالسبب في الذود وعدم الشرب من هذا الحوض هو الإحداث في الدين، والإحداث في الدين، كما يكون في الاعتقاد يكون في الأعمال، فمن ابتدع في الدين واخترع شيئاً، أدخله وأدرجه في دين الله ﷻ مما ليس منه لا شك أنه داخل فيمن يحدث، فيذاد عن الحوض على ما تقدم. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[2]

فعلى الإنسان أن يقتفي الأثر، ويكتفي بما جاء عن الله وعن رسوله، ويعتصم بالكتاب والسنة ولا يزيغ عنهما، ليثبته الله ﷻ في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

يتضح مما سبق من الأحاديث أن الذود عن حوض النبي ﷺ على نوعين:

النوع الأول: ذود عام يشمل جميع الناس من غير أمة محمد ﷺ، ويدل له حديث أبي هريرة ﷺ المتقدم ذكره، وقد ذكر ابن حجر الحكمة من هذا الذود، فقال:"وَالْحِكْمَةُ فِي الذَّوْدِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يُرْشِدَ كُلَّ أَحَدٍ إِلَى حَوْضِ نَبِيِّهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَأَنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ بِكَثْرَةِ مَنْ يَتْبَعُهُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ إِنْصَافِهِ وَرِعَايَةِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ لَا أَنَّهُ يَطْرُدُهُمْ بُخْلًا عَلَيْهِمْ بِالْمَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ يَطْرُدُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الشُّرْبَ مِنَ الْحَوْضِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى"[3].

النوع الثاني: ذود خاص، ويكون على أناس من أمة نبينا محمد ﷺ، لأمور قامت بهم من الارتداد عن الدين، والإحداث فيه، وغيرها وقد جاءت الأدلة الكثيرة من السنة منها:

---

[1] التذكرة: القرطبي (ص٧١٠).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح (ح٢٤٩٩).

[3] فتح الباري: ابن حجر (٤٧٤/١١).

١. عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النبي ﷺ"إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي"وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: سُحْقًا بُعْدًا"[1].

٢. عَنْ أَنَسٍ ﷺعَنْ النبي ﷺ قَالَ:"لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقُولُ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"[2].

الملاحظ مما سبق من حديث أنس ﷺ وغيره أن الشرب من الحوض لا يكون إلا لأهل السنة والجماعة، الذين اتبعوا سنته وساروا على نهجه، أما أهل الأهواء والبدع الذين أحدثوا وغيروا، فهم مطرودون مبعدون عنه.

يقول السفاريني"وَالْحَاصِلُ أَنَّ مِنَ الَّذِينَ يُذَادُونَ عَنِ الْحَوْضِ جِنْسُ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْمُحْدِثِينَ فِي الدِّينِ مِنَ الرَّوَافِضِ وَالْخَوَارِجِ وَسَائِرِ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ، وَكَذَلِكَ الْمُسْرِفُونَ مِنَ الظَّلَمَةِ الْمُفْرِطُونَ فِي الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَطَمْسِ الْحَقِّ، كَذَلِكَ الْمُتَهَتِّكُونَ فِي ارْتِكَابِ الْمَنَاهِي، وَالْمُعْلِنُونَ فِي اقْتِرَافِ الْمَعَاصِي"[3]

اختلف أهل العلم في الإجابة على ظاهر الأحاديث، التي أخبر فيها النبي ﷺ أن أناساً من أمته يذادون عن حوضه، والذين يقول لهم فيها سحقاً سحقاً على أقوال:

القول الأول: مرتدون عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، وكانوا أسلموا في حياته ورأوه وهم على الإسلام وصحبوه ولم يؤمنوا به إيماناً حقيقياً، مثل قبائل العرب كبني حنيفة وبني الأسد وتميم وغيرهم، مثل مسيلمة الكذاب أو سجاح، ممن أعلنوا الإسلام ولم تكن بشاشة الإيمان قد خالطت قلوبهم، وهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق ﷺ.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٠٩٧).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٠٩٦).

[3] لوامع الأنوار: السفاريني (١٩٧/٢).

قَالَ النَّوَوِيُّ"أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَهُ فَيُنَادِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ سِيمَا الْوُضُوءِ لَمَا كَانَ يَعْرِفُهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ مِنْ إِسْلَامِهِمْ فَيُقَالُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ"[1].

القول الثاني: أهل النفاق ممن أظهر الإسلام، وأبطن الكفر، قَالَ النَّوَوِيُّ"الْمُرَادِ بِهِ عَلَى أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُرْتَدُّونَ فَيَجُوزُ أَنْ يُحْشَرُوا بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فَيُنَادِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ لِلسِّيمَا الَّتِي عَلَيْهِمْ فَيُقَالُ لَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّا وُعِدْتَ بِهِمْ إِنَّ هَؤُلَاءِ بَدَّلُوا بَعْدَكَ أَيْ لَمْ يَمُوتُوا عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ إِسْلَامِهِمْ"[2].

القول الثالث: أهل الأهواء الذين غيروا سنة النبي ﷺ وهديه، وأصحاب الفرق الضالة كالروافض، والخوارج، والمعتزلة وأشباه هؤلاء من الفرق الذين ضلوا، وأحدثوا في الدين، وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

قَالَ النَّوَوِيُّ"كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ كَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَسَائِرِ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ قَالَ وَكَذَلِكَ الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَطَمْسِ الْحَقِّ وَالْمُعْلِنُونَ بِالْكَبَائِرِ قَالَ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ يُخَافُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ عُنُوا بِهَذَا الْخَبَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[3].

القول الرابع: أهل الكبائر من الكذابين والظالمين، عن ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا يَفْعَلُونَ فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكِذْبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضَ"[4].

قَالَ النَّوَوِيُّ"أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَصْحَابُ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَصْحَابِ الْبِدَعِ الَّذِينَ لَمْ يَخْرُجُوا بِبِدْعَتِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ...قَالَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ وَلَا

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٦/٣).

[2] المصدر السابق (١٣٦/٣).

[3] المصدر السابق (١٣٧/٣).

[4] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، بقي المسند السابق (ح٥٤٤٤) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف، وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب والترهيب(ح٢٢٤٢) (٢٨٦/٢).

يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ غُرَّةٌ وَتَحْجِيلٌ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ لَكِنْ عَرَفَهُمْ بِالسِّيمَا"[1].

ولفظ "**أمتي**" في الأحاديث يصدق على أهل القول الثالث ، والرابع، ولفظ "**أصحابي**" و"**أصيحابي**" على القولين الأول والثاني. ومما يدل على أنهم من أمته ﷺ: أنه عرفهم بالغرة والتحجيل، وهي سيمة خاصة بهذه الأمة، ويكون تعرف النبي ﷺ هناك بصفاتهم، لا بأعيانهم ؛ لأنهم جاءوا بعده.

ومما يدل على دخول المنافقين في اسم"أصحابي"قوله ﷺ: لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَه"[2] وقوله ﷺ"يَا عُمَرُ دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"[3] وهذا معنى لغوي بحت للصحبة، ليس أنهم استحقوا شرفها ؛ لأن تعريف الصحابي الاصطلاحي لا يصدق على هؤلاء.

والقول الثالث هو الأظهر والأرجح لشموله للأقوال الأخرى والله أعلم.

المطلب الخامس: هل الحوض خاص برسولنا محمد ﷺ؟

هل الحوض خاص بالنبي محمد ﷺ أم لا ؟ وهل يوجد يوم القيامة أحواض أخرى لغيره من الأنبياء ؟ اختلف أهل العلم في ذلك، إلى فريقين:

الفريق الأول: إنه لا حوض إلا لرسول الله ﷺ، لأنه هو الحوض الذي تواترت فيه الأدلة، ولأن رسالة الرسول ﷺ عامة لكل الخلق فيكون التابعون له أكثر فيحتاجون إلى ماء يُروي ظمأهم.

الفريق الثاني: لكل نبيٍّ حوض، ولكن الأكبر والأعظم والأفضل والأكمل هو حوض الرسول ﷺ، وقد جاء في هذا حديثٌ عَنْ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٧/٣).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما ينهى عن دعوة الجاهلية (ح٣٢٥٧).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق (ح١٤٦٨٨) ، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً [1] وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً"[2]، أي: أن محمداً ﷺ يكون أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وارداً للحوض، ولا شك أن أمة محمد ﷺ أكثر الأمم إسلاماً وصلاحاً واستقامة، وبهذا يكون نبينا ﷺ هو أكثر الأنبياء وروداً لحوضه ﷺ.

الراجح: قول أصحاب الفريق الثاني أن لكل نبيٍّ حوضاً، وأن حوض نبينا ﷺ هو الحوض الكبير الأعظم الأمثل الأكمل لـ:

أ- لحديث سمرة بن جندب السابق.

ب- أن هذا من كمال عدل الله ﷻ فإن من نهل من شرعه في الدنيا جزاؤه أن ينهل من أحواض الأنبياء يوم القيامة، قال ابن كثير:"لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَأَنَّ حَوْضَ نبينا ﷺ عظمها وأجلها وأكثرها وراداً"[3] وقال القرطبي والسفاريني:"لكل نبي حوض إلا صالحاً ﷺ فإن حوضه ضرع ناقته"[4].

وقال المناوي:"(والحوض المورود) الذي يرده الخلائق في المحشر وإشعاره بأن الحوض من خصوصياته غير مراد لما سيجيء في خبر، إن لكل نبي حوضاً، فتعين أن الخصوصية في الكوثر لا في مطلق الحوض"[5].

ويمتاز حوض نبينا ﷺ بأمرين:

الأمر الأول: أن حوض نبينا ﷺ أطيب المياه، فهو من نهر الكوثر، وهذا لا يثبت لغيره من الأحواض.

الأمر الثاني: أن حوض نبينا ﷺ هو أكبر الأحواض وأعظمها وأجلها، وهو أكثرها وارداً.

ولكن من أين تُستمد هذه الأحواض لغير الرسول ﷺ ؟

---

[1] الواردة: أيْ نَاظِرِينَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أُمَّةً وَارِدَةً، انظر: تحفة الأحوذي: للمباركفوري (١١٣/٧).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة الحوض نبينا (ح٢٣٦٧) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، قال الألباني: صحيح.

[3] النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير (٤١١/١).

[4] التذكرة: القرطبي: (ص٧١٣) لوامع الأنوار: السفاريني (٢٠٣/٢).

[5] فيض القدير: المناوي (٢١٣/٢).

الله أعلم أمّا حوض الرسول ﷺ فإنه يكون من الكوثر كما ذكرنا آنفاً.

المطلب السادس: مكان الحوض ووقته

مكان الحوض في أرض أخرى غير هذه الأرض، وهي أرض المحشر الأرض المبدلة في عرصات القيامة، قال: ﷻ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨]قال عبد الله بن مسعود ﷺ"تبدل الأرض أرضاً كأنها الفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة". [١]

قال القرطبي:"ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسافات هذه الأقطار، أو في المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط تظهر لنزول الجبار ﷻ لفصل القضاء"[٢].

وقد أخبرنا النبي ﷺ عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحوض، وهي أرض المحشر وصفاً دقيقاً بليغاً.

مكان الحوض قبل الميزان والصراط أو بعده؟

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مكان الحوض بالنسبة للميزان:

اختلف العلماء في مكان الحوض بالنسبة للميزان وأيهما يكون قبل الآخر ؟ للعلماء في ذلك أقوال:

القول الأول: الحوض بعد الميزان:

احتج أصحاب هذا القول بظاهر حديث النَّضْرِ بن أَنَسِ بن مَالِكٍ عن أبيه قال:"سَأَلْتُ النبي ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لي يوم الْقِيَامَةِ فقال أنا فَاعِلٌ قال قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ قال اطلبنى أَوَّلَ ما تَطْلُبُنِي على الصِّرَاطِ قال قلت: فَإِنْ لم أَلْقَكَ على الصِّرَاطِ قال فاطلبنى

---

(١) معاني القرآن الكريم: النحاس (٣/٥٥٤).

(٢) التذكرة: القرطبي (ص٦٠٧).

عِنْدَ الْمِيزَانِ قلت: فَإِنْ لم أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قال فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أخطئ هذه الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ"[1].

فسياق الترتيب في الحديث أنه قدم الميزان على الحوض.

القول الثاني: أن الحوض قبل الميزان

وقد رجح هذا القول مجموعة من العلماء، قال القرطبي:"قال أبو الحسن القابسي:"والصحيح أن الحوض قبل"والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم فيقدم قبل الميزان والصراط. والله أعلم"[2].

والذين قدموا الحوض قبل الميزان لاعتبارين:

الاعتبار الأول: أن يخرجوا من قبورهم عطاشاً، فمن المناسب أن يكون الورود على الحوض، فيشربوا أولاً قبل الميزان للحاجة الشديدة إلى الشرب، فيقدم قبل الميزان ثُمَّ توزن أعمالهم، وهذا ما أقر به كثير من العلماء حيث.

الاعتبار الثاني: أنه ثبت في الحديث الصحيح أنه يطرد قوم ويذادون عن الحوض، ولو كان الورود على الحوض بعد الوزن، لعرف الذين خفت موازينهم أنهم لا يردون على الحوض فلا يردون، فلما وردوا على الحوض وطردوا دل على أنه قبل الميزان .

وهو الراجح: فهو قول أكثر أهل العلم، ولأن المناسب أن يكون الحوض قبل الميزان، فإن الله يكرم نبيه ﷺ بهذا الحوض حتى يشرب منه المؤمنون فلا يظمأون ولا يقلقون في شدة هول الموقف.

المسألة الثانية: مكان الحوض بالنسبة للصراط

اختلف العلماء في مكان الحوض بالنسبة للصراط وأيهما يكون قبل الآخر ؟:

القول الأول: الحوض بعد الصراط

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط (ح٢٣٥٧) قال الألباني: صحيح وصححه كذلك في صحيح الترغيب والترهيب: (ح٣٦٢٥) (٢٣٥/٣).

[2] انظر: التذكرة: القرطبي (ص٧٠٣).

ذهب إلى هذا القول جمهرة من العلماء أمثال الإمام البخاري والقاضي عياض، وهؤلاء قالوا إن المرور على الصراط أولاً، ثم بعد المرور على الصراط يورد الحوض، واختار هذا ابن حجر والسيوطي واحتج هؤلاء بحديث النضر بن أنس السابق، فإن ظاهره يقتضي الترتيب.

والعلماء الذين يرون أن الحوض بعد الصراط يقولون، مقتضي الأمر أن تكون أرض الحوض قريبة من الجنة، فيصب الميزابان من الكوثر الذي في الجنة إلى أرض الحوض، وهذا يقتضي أن الحوض بعد الصراط.

ومن العلماء الذين اختاروا أن الحوض يكون بعد الصراط الإمام البخاري، كما أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله: "إِيرَادُ الْبُخَارِيِّ لِأَحَادِيثِ الْحَوْضِ بَعْدَ أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ وَبَعْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّ الْوُرُودَ عَلَى الْحَوْضِ يَكُونُ بَعْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ وَالْمُرُورِ عَلَيْهِ"[1].

قال السفاريني: "وَرَجَّحَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَنَّ الْحَوْضَ بَعْدَ الصِّرَاطِ، وَأَنَّ الشُّرْبَ مِنْهُ يَقَعُ بَعْدَ الْحِسَابِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ"[2].

القول الثاني: الحوض قبل الصراط

ذهب إلى هذا القول جمهرة من العلماء كابن كثير[3] وابن القيم[4] وفي أحد القولين للقرطبي[5]، وقد استدل أصحاب هذا القول على صحة ما يذهبون إليه بحديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ من أَصْحَابِي الْحَوْضَ حتى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أصيحابي فيقول لَا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"[6] وحديث سهل بن سعد الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إني فَرَطُكُمْ على الْحَوْضِ من مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لم يَظْمَأْ أَبَدًا

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (٤٦٦/١١)

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (١٩٥/٢).

[3] انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير(١ /٤١٣).

[4] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٥٩٦/٣) مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

[5] انظر: التذكرة: القرطبي (ص٧٠٣).

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٠٩٦).

لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ ويعرفونني ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وزاد أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي"[1].

الشاهد: الشاهد في هذين الحديثين منع المرتدين على أعقابهم وأنهم يذادون ويطردون عن الحوض، فإن كَانَ هَؤُلاءِ الذين يذادون عن الحوض من أهل النار، فكيف نجوا من الصراط ولم تختطفهم الكلاليب، ثُمَّ بعد ذلك يذادون ويطردون عن الحوض ويُقال لهم سحقاً سحقاً، أو بعداً بعداً؟ فهذا يقتضي أن يُقَالَ: إن الحوض قبل الصراط.

قال ابن كثير:"إِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ يَكُونُ الْحَوْضُ قَبْلَ الجواز على الصراط أو بعده قلت: أَنَّ ظَاهِرَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَحَادِيثِ يَقْتَضِي كَوْنَهُ قَبْلَ الصِّرَاطِ، لِأَنَّهُ يُذَادُ عَنْهُ أَقْوَامٌ يُقَالُ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ لَمْ يزالوا يرتدون على أعقابهم مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ كُفَّارًا فَالْكَافِرُ لَا يُجَاوِزُ الصِّرَاطَ، بَلْ يُكَبُّ عَلَى وَجْهِهِ في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَبْعُدُ حَجْبُهُمْ عَنِ الْحَوْضِ لَاسِيَّمَا وعليهم سيما الوضوء، وقد قال ﷺ:"...غُرًّا مُحَجَّلِينَ من آثَارِ الْوُضُوءِ"[2]ثم من جاوز لَا يَكُونُ إِلَّا نَاجِيًا مُسْلِمًا فَمِثْلُ هَذَا لَا يُحْجَبُ عَنِ الْحَوْضِ فَالْأَشْبَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَوْضَ قَبْلَ الصِّرَاطِ".[3].

وقال ابن القيم معلقاً على حديث أبي هُرَيْرَةَ السابق قَالَ: فَهَذَا الْحَدِيثُ مَعَ صِحَّتِهِ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ فِي الْمَوْقِفِ قَبْلَ الصِّرَاطِ؛ لِأَنَّ الصِّرَاطَ إِنَّمَا هُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى جَهَنَّمَ، فَمَنْ جَازَهُ سَلِمَ مِنَ النَّارِ.[4]

الجمع بين القولين: وقد جمع بين القولين مجموعة من العلماء جمعوا بين الروايات التي تفيد أن الحوض بعد الصراط، والروايات التي تفيد أنه قبله، قال السفاريني"وَيُحْتَمَلُ الْجَمْعُ بِأَنْ يَقَعَ الشُّرْبُ مِنَ الْحَوْضِ قَبْلَ الصِّرَاطِ لِقَوْمٍ وَتَأْخِيرُهُ بَعْدَهُ لِآخَرِينَ بِحَسَبِ مَا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٠٩٧).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة (ح٣٦٤).

(3) النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير(٤١٢/١-٤١٣).

(4) انظر: زاد المعاد: ابن القيم (٥٩٦/٣).

عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَوْزَارِ حَتَّى يُهَذَّبُوا مِنْهَا عَلَى الصِّرَاطِ، وَلَعَلَّ هَذَا أَقْوَى"(١)، وقد امتدح الشيخ مرعي – كما نقل عنه السفاريني – هذا الجمع بقوله:"وَهَذَا فِي غَايَةِ التَّحْقِيقِ جَامِعٌ لِلْقَوْلَيْنِ وَهُوَ دَقِيقٌ"[٢].

القول الثالث: أن للنبي محمد ﷺ حوضين حوضاً قبل الصراط وحوضاً بعده

هناك فريق ثالث من أهل العلم يرى أن للنبي ﷺ حوضين، حوضاً قبل الصراط وحوضاً بعده، و يسمى كل من الحوضين كوثراً، وهذا ما ذهب إليه القرطبي وغيره وصححه وقدمه على الأقوال الأخرى فقال:"والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، و الثاني في الجنة و كلاهما يسمى كوثراً"[٣].

فيحتمل أن الحوض ممتد؟ غاية في الاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وأن الصراط أقصر منه بحيث يكون طرف الحوض قبل بداية الصراط، طرفه الأول، وطرفه الثاني بعد نهاية الصراط، فيتحمل أن يشرب منه أناس قبل الصراط وأناس بعده.

القول الرابع: التوقف عن التعيين وعدم الخوض فيها

قال بعض العلماء إن هذه المسألة يجب الإمساك فيها، لأن هذه أمور غيبية لا يثبت منها شيء إلا بدليل، وهذه المسألة ليس فيها نص قاطع، وهي تحتمل هذا وذاك، ولهذا لو قيل في هذه المسألة: إن الأرجح فيها هو التوقف، وأن يُرَّد علم ذلك إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيُقال في ذلك: الله أعلم، فنسبة العلم إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أسلم. وهذا ما أكده ابن العربي فقال:"فَهَذَا قَفْوُ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى عِلْمِهِ ؛ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يُدْرَكُ بِنَظَرِ الْعَقْلِ، وَلَا بِنَظَرِ السَّمْعِ، وَلَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ صَحِيحٌ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ"[٤].

---

[١] لوامع الأنوار : السفاريني (٢/١٩٥).

[٢] المصدر السابق (٢/١٩٥).

[٣] التذكرة: القرطبي (ص٧٠٢).

[٤] أحكام القرآن: ابن العربي (٣/٢٠١).

وقال صاحب كتاب تبسيط العقائد الإسلامية:"هذا ولم يقم دليل صريح على شيء مما يذكر. فالواجب اعتقاده هو أن للنبي ﷺ حوضاً تعدد أو اتحد، تقدم على الصراط أو تأخر. ولا يضرنا جهل ذلك، والله الموفق."[1].

الأرجح: بعد النظر في أقوال العلماء وما استندوا إليه من الأدلة، يرجح قول جمهور أهل العلم على أنَّه قبل الصراط وليس بعد الصراط ؛ لأنّ الأحاديث التي فيها صفة الحوض فيها ذُكِرَ أَنَّ أناسا يُذَادُون عنه ويُدْفَعُون ويُؤْخَذ بهم إلى النار.

[1] انظر تبسيط العقائد الإسلامية: حسن أيوب (ص٢٣٠) دار البحوث العلمية، الطبعة الرابعة.

المبحث الحادي عشر

الميزان

نؤمن بما أخبر الله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأن أعمال الناس توزن يوم القيامة بميزان الحق والعدل، وهو ميزانٌ حقيقي له لسان و كفتان حسيتان مشاهدتان وأن الله تعالى يُحَوّل أعمال العباد إلى أجسام لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، نؤمن به وبصفاته كما جاء به الشرع وبما عليه السلف من أهل السنة والجماعة من غير تعطيل أو تأويل ، وخالف في هذا أهل البدع من المعتزلة، وغيرهم ممن نفى الميزان بالكلية، أو أول الميزان بالتأويلات الفاسدة البعيدة عن الصواب.

المطلب الأول: تعريف الميزان وأدلة ثبوته والحكمة من وزن الأعمال

أولاً: تعريف الميزان

١.**الميزان لغةً**: اسم للآلة التي توزن بها الأشياء والوزن هو معرفة قدر الشيء.

يقول الجوهري:"قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: أَصله مِوْزانٌ، انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا، وَجَمْعُهُ مَوَازِين، وَجَائِزٌ أَن تَقُولَ للمِيزانِ الْوَاحِدِ بأَوْزانِه مَوازِينُ"[١]، فالميزان اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء، أو هو ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

٢.**الميزان شرعاً** :"الْمِيزَانُ"هُوَ مَا يُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ وَهُوَ غَيْرُ الْعَدْلِ"[٢].

فهو ميزان حقيقي لا يقدر قدره إلا الله، له كفتان يضعه الله ﷻ يوم القيامة لوزن أعمال العباد، خلافاً للفرق الأخرى، التي خالفت عقيدة أهل السنة والجماعة، وتأويلها للميزان بالعدل، عدولاً عن المعنى الحقيقي المستند إلى الكتاب والسنة.

ثانياً: أدلة ثبوت الميزان من القرآن السنة

الميزان، ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، قال السفاريني:"وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْمِيزَانِ كَأَخْذِ الصُّحُفِ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ"[٣]

---

[١] لسان العرب: ابن منظور (١٣/٤٤٦) ، تاج العروس: الزبيدي (٣٦/٢٥٢).

[٢] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٤/٣٠٢).

[٣] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/١٨٤).

١. أدلة ثبوت الميزان من القرآن

الأدلة من القرآن على ثبوت الميزان كثيرة منها.

أ- قال ﷻ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]فهو ميزان دقيق قال ابن كثير:"وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْعَدْلَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، الْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ"[1].

ب- قال ﷻ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ(٩)﴾. [الأعراف]. قال القرطبي:"وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ عَلَى الْأَخْذِ بِهَذِهِ الظَّوَاهِرِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ. وَإِذَا أَجْمَعُوا عَلَى مَنْعِ التَّأْوِيلِ وَجَبَ الْأَخْذُ بِالظَّاهِرِ، وَصَارَتْ هَذِهِ الظَّوَاهِرُ نُصُوصًا"[2] فالمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان.

ت- قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(٩)﴾. [القارعة]. فالآية فيها دلالة على وقع الوزن لكل إنسان.

قال ﷻ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(١٠٣)﴾. [المؤمنون]. قال ابن كثير:"أَيْ: مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ وَلَوْ بِوَاحِدَةٍ"[3].

ث- قَالَ ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]قال الطبري:"قوله تعالى ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ فَلَا نَجْعَلُ لَهُمْ ثِقَلًا. وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَا تَثْقُلُ بِهِمْ مَوَازِينُهُمْ، لِأَنَّ الْمَوَازِينَ إِنَّمَا تَثْقُلُ بِالْأَعْمَالِ

---

[1] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(٣٤٥/٥).

[2] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(١٦٥/٧).

[3] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(٤٩٦/٥).

الصَّالِحَةِ، وَلَيْسَ لِهَؤُلَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَثْقُلُ بِهِ مَوَازِينُهُمْ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ"[1].

من خلال ما سبق من الأدلة الواردة في القرآن الكريم على ثبوت الميزان يؤمن أهل السنة أن الميزان، ميزان حقيقي له لسان و كفتان حسيتان مشاهدتان ينصب للخلائق لوزن الأعمال والصحائف، وإظهار مقاديرها، ليرى العباد أعمالهم ممثلة لهم ليكونوا على أنفسهم شاهدين لإظهار، فتقر عيونهم بعدل الله تعالى، وأن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

٢. أدلة ثبوت الميزان من السنة

الأدلة من السنة على ثبوت الميزان كثيرة منها:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ"[2]

يقول ابن بطال معلقاً على الحديث:"وأجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان وتمثل الأعمال بما يوزن"[3]

ب-عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ.. الحديث"[4] قال النووي:"فَمَعْنَاهُ عِظَمُ أَجْرِهَا وَأَنَّهُ يَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَقَدْ تَظَاهَرَتْ نُصُوصُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى وَزْنِ الْأَعْمَالِ وَثِقَلِ الْمَوَازِينِ وَخِفَّتِهَا"[5].

---

[1] جامع البيان: الطبري (١٥/٤٢٩).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة(ح٧٠٠٨) واللفظ له، ومسلم في كتاب الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ح٤٨٦٠).

[3] شرح صحيح البخاري: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك(١٠/٥٥٩) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء رقم (ح٣٢٨).

[5] شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٠١).

ت- حديث البطاقة عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أمتي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِى الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لاَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ.قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ [1] السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَىْءٌ"[2]

الشاهد من الحديث:"احْضُرْ وَزْنَكَ"قال المباركفوري:"أَيِ الْوَزْنَ الَّذِي لَكَ أَوْ وَزْنَ عَمَلِكَ أَوْ وَقْتَ وَزْنِكَ أَوْ آلَةَ وَزْنِكَ وَهُوَ الْمِيزَانُ لِيَظْهَرَ لَكَ انْتِفَاءُ الظُّلْمِ وَظُهُورُ الْعَدْلِ وَتَحَقُّقُ الْفَضْلِ"[3].

ث- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَءُوا قَالَ ﷻ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] [4]ومعنى العظيم: الضخم في جسمه ولا إيمان في قلبه.

ج-عن عَلِيٍّ ﷺ يَقُولُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍﷺ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ فَضَحِكُوا مِنْ

---

[1] الطَّيْشُ: الخِفَّة، النهاية: ابن الأثير (١٥٣/٣).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله. (ح٢٥٦٣) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(ح١٣٥) (٢٦١/١).

[3] تحفة الأحوذي: المباركفوري (٣٣١/٧).

[4] متفق علية: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب أولائك الذين كفروا بآيات ربهم (ح٤٣٥٠) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب باب (ح٤٩٩١).

حُمُوشَةِ [1]سَاقَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"مَا تَضْحَكُونَ لَرِجْلُ عَبْدِ اللَّهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ"[2]

الخلاصة: أن الميزان بلغت أحاديثه حد التواتر مما يدل على وجوب الإيمان به وإثباته ولا يجوز إنكاره بحال من الأحوال.

٣. أدلة ثبوت الميزان من الإجماع

من أهم الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالميزان الإجماع، يقول ابن حجر:"قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ وَيَمِيلُ بِالْأَعْمَالِ"[3].

قال اللالكائي:"وَالْمِيزَانُ حَقٌّ، لَهُ كِفَّتَانِ، تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ"[4].

وقال الإمام أحمد:"والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء أن توزن"[5].

ولم يخالف في هذا إلا أهل البدع، كالمعتزلة وأشباههم قَالَ ابن حجر:"وَأَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْمِيزَانَ وَقَالُوا هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدْلِ فَخَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَضَعُ الْمَوَازِينَ لِوَزْنِ الْأَعْمَالِ لِيَرَى الْعِبَادُ أَعْمَالَهُمْ مُمَثَّلَةً لِيَكُونُوا على أنفسهم شَاهِدِين وَقَالَ بن فَوْرَكٍ أَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْمِيزَانَ بِنَاءً مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ الْأَعْرَاضَ يَسْتَحِيلُ وَزْنُهَا إِذْ لَا تَقُومُ بِأَنْفُسِهَا"[6]

---

[1] حُمُوشَةُ: بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ أَيْ دِقَّةٌ وَلَطَافَةٌ مُتَنَاسِبَةٌ لِسَائِرِ أَعْضَائِهِ، تحفة الأحوذي: المباركفوري (٨٩/١٠)

[2] أخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، من مسند علي بن أبي طالب(ح٨٧٦) صححه الألباني في الأدب المفرد، وقال: صحيح لغيره (ح٢٣٧) (ص١٠٦) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

[3] فتح الباري: ابن حجر (٥٣٨/١٣).

[4] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (١٧٧/١) تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

[5] طبقات الحنابلة: أبو يعلى (٢٧/١).

[6] فتح الباري: ابن حجر (٥٣٨/١٣).

خلاصة القول: أجمعت الأمة على ثبوت الميزان يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وأن الإيمان به واجب لازم، مع تفويض علم حقيقته لله تعالى ومنكره كافر.

ثالثاً: الحكمة من وزن الأعمال

قال العلماء إن نصب الميزان، يوم القيامة فيه حكم عظيمة جليلة تخفى على كثير من الناس أهمها ما يلي:

١. العدل المطلق لله فإذا عرف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة اطمأنوا إلى عدل الله وأنه لا يظلم عنده أحد من خلقه. وأنه يزن مثاقيل الذر من الخير، أو الشر فتقام الحجة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] يقول الحنفي:"وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ إِلَّا ظُهُورُ عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ. فَكَيْفَ وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ مَا لَا اطِّلَاعَ لَنَا عَلَيْهِ"[1].

١. امتحان الخلق إيمانهم بالغيب في الدنيا، وإقامة الحجة لهم أوعليهم في الآخرة.

٢. إظهار علامة السعادة والشقاوة قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(٩)﴾. [القارعة].

ووراء ذلك أيضا من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه.

المطلب الثاني: صاحب الميزان ومتى يكون الوزن

أولاً: الملك الموكل بالميزان

صاحب الميزان هو جبريل ؈، آخذ بعمود الميزان ناظر إلى لسانه، فقد روي عن حذيفة بن اليمان ﷺأنه قال:"صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِبْرِيلُ ؈"[2]. وَقَالَ الْحَسَنُ:"هُوَ مِيزَانٌ لَهُ كِفَّتَانِ، وَلِسَانٌ وَهُوَ بِيَدِ جِبْرِيلَ"؈ [3]، وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤١٩).

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٥/٢).

[3] لوائح الأفكار السَّنية ولواقح الأفكار السنية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبليّ(١٨٤/٢-١٨٥) دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٤م، لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٥/٢).

ﷺ:"إِنَّ مِيزَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُنْصَبُ لِلْجِنِّ وَالإِنْسِ، يُسْتَقْبَلُ بِهِ الْعَرْشُ... وَجِبْرِيلُ آخِذٌ بِعَمُودِهِ يَنْظُرُ إِلَى لِسَانِهِ"[1].

ثانياً: متى يكون الوزن

في ختام يوم الحساب ينصب الميزان لوزن أعمال العباد، لأن الوزن للجزاء يكون بعد المحاسبة، فيكون الوزن لإظهار مقادير تلك الأعمال، ويكون الجزاء بحسبها، قال القرطبي:"قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ وذلك لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها". [2]

المطلب الثالث: الميزان واحد، أم متعدد؟

هذه المسألة من المسائل الخلافية بين العلماء لم يثبت بها نص قاطع فقد ورد الوزن والميزان في القرآن الكريم والسنة بألفاظ متعددة فكيف نجمع ونوفق بين الجمع الإفراد:

أولاً: تارة بالجمع: ذكر الله تعالى الميزان في القرآن الكريم بلفظ الجمع، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وكما في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ(٩) ﴾. [الأعراف]. وقال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(٩) ﴾. [القارعة]. وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ قَالَ فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ قَالَ فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ لَا تَعْجَلُوا لَا تَعْجَلُوا فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ"[3].

---

[1] لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٤/٢)، لوائح الأفكار السَّنِيَّة: السفاريني (١٨٤/٢-١٨٥).

[2] التذكرة: القرطبي (ص٧١٥).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص(ح٦٧٦٩) قال الأرنؤوط إسناده حسن.

ثانياً: تارة بالمفرد، في قوله ﷻ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]و في الحديث:"كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ"[١]

ثالثاً: تارة بالمصدر لا بالجمع ولا بالمفرد: كما في قوله ﷻ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]وهذا الدليل: لا يدل على تعدد ولا على إفراد لأنه قال: ﴿وَالْوَزْنُ﴾.

اختلف أهل العلم في وحدة الميزان وتعدده ؟

القول الأول: الميزان واحد

ذهب بعضهم إلى أن الميزان واحد، عبر عنه بلفظ الجمع، كما قال ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]قال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]وإنما هو رسول واحد، قال القرطبي"المراد بالموازين: جمع موزون، أي الأعمال الموزونة، لا جمع ميزان"[٢].

فالميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، كِفتاه كأطباق السماوات والأرض وأجابوا عن آيات الجمع بأن المراد به الموزونات، وتنوع الأعمال الموزونة وليس الميزان، قال السفاريني: فَالْأَشْهَرُ أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، وَلِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ كِفَّتَاهُ كَأَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"[٣].

القول الثاني: الميزان متعدد:

قَالَ بَعْضُهُمْ:"الْأَظْهَرُ إِثْبَاتُ مَوَازِينَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا مِيزَانٍ وَاحِدٍ ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]"[٤].

وقد اختلف القائلون بالتعدد:

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان والنذور، باب إذا قال الله لو أتكلم اليوم(ح٦١٨٨) واللفظ له ، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التليل والتسبيح والدعاء(ح٤٨٦٠).

[٢] التذكرة: القرطبي (ص٧٣٥).

[٣] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٦/٢).

[٤] المصدر السابق (١٨٦/٢).

أ- فمنهم من قال: لكل شخصٍ ميزان أو موازين يوزن بها كل صنف من عمله، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ لِأَفْعَالِ الْقُلُوبِ مِيزَانٌ، وَلِأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ مِيزَانٌ، وَلِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَوْلِ مِيزَانٌ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ مِيزَانٌ. [1]

ب-ومنهم من قال:"لِكُلِّ أُمَّةٍ مِيزَانٌ"[2].

الراجح و الأظهر كما قال ابن حجر:"وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ وَلَا يُشْكِلُ بِكَثْرَةِ مَنْ يُوزَنُ عَمَلُهُ لِأَنَّ أَحْوَالَ الْقِيَامَةِ لَا تُكَيَّفُ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا"[3] **ولعل الأرجح** في ذلك أن يقال: أنه ميزان واحد باعتبار آلة الوزن جمع باعتبار الأعمال الموزونة، والله اعلم.

المطلب الرابع: المُوزون ؟

اختلف العلماء في الموزون، فبعضهم يثبت الميزان للعامل وبعضهم للعمل وبعضهم لصحائف الأعمال، وبعضهم يثبت وزن الكل.

وقد وردت آثار كثيرة في ثبوت وزن كل واحد من تلك الأمور الثلاثة، العمل، والعامل، و صحائف الأعمال يقول ابن كثير:"وَقَدْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ صَحِيحًا، فَتَارَةً تُوزَنُ الْأَعْمَالُ، وَتَارَةً تُوزَنُ مَحَالُّهَا، وَتَارَةً يُوزَنُ فَاعِلُهَا"[4]، ويقول الحنفي:"فَثَبَتَ وَزْنُ الْأَعْمَالِ وَالْعَامِلِ وَصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ"[5]، وفيما يلي نورد ما جاء في إثبات كل واحد من تلك الأمور الثلاثة بالتفصيل.

أولاً: العمل هو الذي يُوزن: واستدل هؤلاء بما يلي:

١. من القرآن

أ- قال ﷻ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨)﴾. [الزَّلزلة].

---

[1] انظر: المصدر السابق (١٨٦/٢).

[2] المصدر السابق (١٨٦/٢).

[3] فتح الباري: ابن حجر (٥٣٨/١٣).

[4] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(٣٩٠/٣).

[5] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤١٩).

ب- قال ﷻ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

٢. من السنة

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ"[١].

ب-عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"إِنَّ أَثْقَلَ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ من خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ"[٢].

ت- عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ"[٣] قال ابن كثير في قوله ﷺ"وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ":"فِيهِ دَلَالَةٌ على أَنَّ الْعَمَلَ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ عَرَضًا قَدْ قام بالفاعل، يحيله الله يوم القيامة فيجعله ذاتاً يوضع فِي الْمِيزَانِ"[٤].

كيفية وزن العمل، للعلماء فيه أربعة أقوال:

القول الأول: العمل نفسه هو الذي يوزن.

القول الثاني: العمل يحول إلى جسم ثم يوزن.

القول الثالث: أن الله يجعل علامة من نور أو ظلمة في كفتي الميزان، تكون علامة على الحسنات أو السيئات، هذا القول منسوب للقاضي عبد الجبار المعتزلي وغيره فيقول:"ليس يمتنع أن يجعل الله تعالى النور علماً للطاعة، والظلمة أمارة للمعصية، ثم يجعل النور في إحدى الكفتين والظلمة في الكفة الأخرى، فإن ترجحت كفة النور حكم

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (ح٧٠٠٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ح٤٨٦٠).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق(ح١٩٢٥) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (ح٣٢٨).

[٤] النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير (٢/٢٦).

لصاحبه بالثواب، وإن ترجحت الأخرى حكم له بالأخرى"[1].وهو تأويل يحتاج إلى إثبات، فيتوقف القول بها على صحة الدليل.

القول الرابع: وبعضهم لم يقل لا بوزن العمل ولا غيره وأن الميزان هو العدل، هذا القول منسوب للمعتزلة ومن على شاكلتهم كالخوارج، والإمامية والزيدية وقالوا أن الأعمال أعراض أوصاف ومعانٍ لا جُرم لها فكيف توزن ؟

والجواب: إن الله قادرٌ على أن يجعلها أجساماً وأثقالاً محسوسة فتُوزن، ولو رجع هؤلاء إلى عقولهم واتهموها ؛ لرأوا أنها قد افترضت– حينما نفت ذلك – نقصاً في جانب الله، وهو عدم قدرته سبحانه على ذلك، إذ لا معنى للقول باستحالة ذلك إلا هذا التوهم، فالموت عرضٌ و الله تعالى يحيله إلى جسم في صورة كبش أملح، ويذبح بين الجنة والنار.

وقد وردت نصوص كثيرة تدل على أن الأعمال تأتي يوم القيامة على هيئة أشكال تحاجان عن صاحبهما فعن أبي أمامة الباهليﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ"اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ"قَالَ مُعَاوِيَةُ [2] – يعني ابن سلام – بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ.[3].

وجاء أيضاً: أن القرآن يأتي صاحبه في صورة رجل شاحب اللون، فيقول: من أنت؟ أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك ففي الحديث عن بن بُرَيْدَةَ عن أبيه ﷺ

---

[1] شرح الأصول الخمسة: القاضي: عبد الجبار بن أحمد (ص٧٣٥) تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

[2] مُعَاوِيَةُ بنُ سَلاَّمِ الحَبَشِيُّ العَرَبِيُّ الشَّامِيُّ، ابنِ الإِمَامِ أَبِي سَلاَّمٍ مَمْطُورٍ الحَبَشِيُّ، العَرَبِيُّ، الشَّامِيُّ، وَثَّقَهُ: النَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّيْنِ، قَالَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ: أَعُدُّه مُحَدِّثَ أَهْلِ الشَّامِ فِي زَمَانِهِ، وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: ثِقَةٌ، مات سنة ١٧٠هـ انظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(٣٩٧/٧) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (ح١٣٣٧).

قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ" يَجِيءُ الْقُرْآنُ يوم الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فيقول أنا الذي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَأَظْمَأْتُ نَهَارَكَ"[1].

قال الحنفي:"فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مُلْحِدٍ مُعَانِدٍ يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وَإِنَّمَا يَقْبَلُ الْوَزْنَ الأَجْسَامُ!! فَإِنَّ اللَّهَ يَقْلِبُ الأَعْرَاضَ أَجْسَامًا"[2].

ومما تقدم يتبين أن الله قادر على أن يجعل الأوصاف والمعاني أجساماً ولا يجوز أن نرد الأدلة بمجرد ما تتحير العقول فاعلم أن الشرع فوق العقل ولا يمكن أن تأتي النصوص بما يحيله العقل أبداً، إذاً فالصحيح أن الميزان حسيٌّ لا معنوي.

وقد جاءت العلوم الحديثة بوزن الأعراض بآلاتها الخاصة، وكمثال على ذلك: المقاييس التي يستعملها الأطباء لقياس درجة حرارة المريض وقياس الضغط وغيرها من المقاييس، فإذا أمكن هذا في حق المخلوق فكيف بالخالق القادر على كل شيء؟ الله تعالى أعلم.

ثانياً: صحائف الأعمال هي التي توزن:

يأتي الحفظة ومعهم السجلات التي كتبوها من الأقوال والأفعال والاعتقادات تنوء من حملها فتتحول تلك الحسنات والسيئات إلى أوزان حسية، فتظهر الحسنات في أبهى صورة وأجملها وتبدو السيئات في أسوأ صورة وأقبحها وأن هذه الصحائف تثقل وتخف بحسب ما فيها من الأعمال.

واستدلوا لهذا بحديث صاحب البطاقة، الذي يُمدُّ له سجل من المعاصي ثم يُؤتى ببطاقة صغيرة فيها كلمة الإخلاص، فيقول هذا الرجل: وما تصنع هذه البطاقة بهذه السجلات فيُقال: إنك لا تُظلم ثم توضع البطاقة في كِفَّة والسجلات في كِفَّة فترجح البطاقة، وهذا يدل على أن الذي يُوزن الصحيفة صحيفة العمل.

وقد رجح القرطبي هذا القول فقال"والصحيح ان الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة و بها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز قال الله ﷻ﴿وَإِنَّ

---

[1] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن (ح٣٧٨١) ؛ قال محمد فؤاد عبد الباقي: إسناده صحيح رجاله ثقات.

[2] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤١٨).

عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١) ﴾[الانفطار]. وهذا نص قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال و إذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلا على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار"[1] ، ونقل السفاريني عن أكثر العلماء قولهم بهذا [2].

ثالثاً: الذي يُوزن هو العامل نفسه

يُوزن الإنسان، ولكنه وزن من نوع آخر مخالف لما عهدناه في الدنيا من وزن اللحم والدم والشحم ؟ ولكن يكون الوزن بصلاح العبد، فكلما امتلأ العبد صلاحاً وإيماناً وتقوي وخشية وإخلاص زاد وزنه وثقل في ميزان الله.

فوزن العامل يوم القيامة ليس مستحيلاً عقلاً، بل هو من الممكنات الجائزة ؛ فينبغي أن يفهم الكلام على ظاهره من أن العامل نفسه يوزن يوم القيامة إذا شاء الله ذلك.

واستدلوا بما يلي

١. من القرآن:

قال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]وجه الدلالة: ﴿ لَهُمْ﴾ولم يقل (لأعمالهم) ولا (لصحائف أعمالهم).

الرد: الآية لا تدل على ذلك لأن معنى قوله ﷻ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: يعني لا نقيم لهم قيمة كما تقول فلان لا وزن له، أي لا قيمة له ولا اعتبار.

٢. من السنة:

أ- عَنِ ابن مَسْعُودٍ ﷺ أنه كان يجتني سِوَاكاً مِنَ الأَرَاكِ، وكان دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ منه، فقال رسول اللَّهِ ﷺ:"مِمَّ تَضْحَكُونَ قالوا يا نبي اللَّهِ من دِقَّةِ سَاقَيْهِ فقال والذي نفسي بيده لَهُمَا أَثْقَلُ في الْمِيزَانِ من أُحُدٍ"[3].

---

[1] التذكرة: القرطبي (ص٧٢٢).

[2] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٧/٢).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، ومن باقي مسند على بن أبي طالب (ح٨٧٦) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٢٧٥٠) (٥٧٠/٦).

ب-عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ:"إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]"[1].

الرد: أما حديث ابن مسعود ﷺ وحديث أبي هريرة ﷺ فأراد النبي ﷺ أن خفة الوزن لا تدل على قلة العمل أو على خفته وليس بذاك الصريح.

الترجيح: ولعل الحق أن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحائف أعماله، لأن النصوص وردت فيهم جميعاً فلا مانع من القول بها كلها، قال الحنفي: فَثَبَتَ وَزْنُ الأَعْمَالِ وَالْعَامِلِ وَصَحَائِفِ الأَعْمَالِ"[2]

المطلب الخامس: هل يتشابه ميزان الآخرة والدنيا في الثقل والخفة ؟

اختلف العلماء في ميزان الآخرة هل هو كميزان الدنيا في الثقل والخفة، أهو على ما عهد من موازين الدنيا، أم أن الأمر يختلف ؟

والجواب: أن هذه المسألة مما وقع فيها الخلاف بين العلماء إلى قولين؟

القول الأول: أن الوزن في الآخرة كالوزن في الدنيا من حيث الثقل والخفة.

قيل إن المراد بالثقل والخفة في الميزان هو على صورته في الدنيا وكيفيته فالثقيل ينزل والخفيف يصعد واستشهدوا بحديث البطاقة: (طاشت السجلات) ارتفعت.

وهو الراجح: قال السفاريني:"ظَوَاهِرُ الْآثَارِ وَأَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ كَيْفِيَّةَ الْوَزْنِ فِي الْآخِرَةِ خِفَّةً وَثِقَلًا مِثْلُ كَيْفِيَّتِهِ فِي الدُّنْيَا، مَا ثَقُلَ نَزَلَ إِلَى أَسْفَلَ ثُمَّ يُرْفَعُ إِلَى عِلِّيِّينَ، وَمَا خَفَّ طَاشَ إِلَى أَعْلَى ثُمَّ نَزَلَ إِلَى سِجِّينٍ، وَبِهِ صَرَّحَ جُمُوعٌ مِنْهُمُ الْقُرْطُبِيُّ"[3].

وقال القرطبي:"أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره و سيئاته في إحدى كفتيه ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى ؟ فلا يجدها فيشال الميزان فترتفع

[1] متفق علية: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب أولائك الذين كفروا بآيات ربهم (ح٤٣٥٠) و مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب باب (ح٤٩٩١).

[2] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤١٩).

[3] انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٨/٢).

الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون وإذا كان فارغاً فهو خفيف"[1].

القول الثاني: أن الوزن في الآخرة مخالف للوزن في الدنيا من حيث الثقل والخفة.

الوزن في الآخرة مخالف للوزن في الدنيا من حيث الثقل والخفة، فالثقيل يصعد والخفيف ينزل إلى أسفل،"وَإِنَّ عَمَلَ الْمُؤْمِنِ إِذَا رَجَحَ صَعِدَ وَسَفُلَتْ سَيِّئَتُهُ، وَالْكَافِرُ تَسْفُلُ كِفَّتُهُ لِخُلُوِّ الْأُخْرَى عَنِ الْحَسَنَاتِ واستشهدوا بقوله ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]"[2].

وأجاب أصحاب الفريق الأول عن الآية الكريمة بعدم صحة الاستدلال؛لأن الرفع يكون لطاعة العبد التي أخلص فيها وأن المقصود من الآية الكريمة ليس كما يفهمه هؤلاء القوم ولكن المقصود منها هو ما ذكره الطبري:"وَيَرْفَعُ ذِكْرُ الْعَبْدِ رَبَّهُ إِلَيْهِ عَمَلَهُ الصَّالِحَ، وَهُوَ الْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ"[3].

المطلب السادس: من ينصب لهم الميزان؟ومن يستثنى من الوزن؟

ظواهر نصوص الكتاب والسنة تشير إلى أن كل عبد لا بد من إقامة الميزان له، غير أن في بعض الروايات ما يفيد اختصاص طوائف من البشر بعدم إقامة الميزان لهم، إما إكراماً وإظهاراً لشرفهم وفضلهم كالأنبياء وغيرهم ، وإما إظهاراً لخزيهم وذلهم كالكفار ، لأن الله تعالى عادل ولا يظلم مثقال ذرة كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]وفي هذا المطلب سنبين من هم أهل الموازنة يوم القيامة ومن منهم سيستثني من الوزن.

---

(1) التذكرة: القرطبي (ص٧٢٠).

(2) انظر: لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٨/٢).

(3) جامع البيان: الطبري (٣٨٨/١٩).

أولاً: المؤمنون

ينقسم المؤمنون إلى قسمين:

١. المستثنون من الميزان

الوزن لا يكون في حق كل أحد فيستثنى من الوزن الذين لا يحاسبون كالأنبياء والرسل ومن يدخلون الجنة بغير حساب، و إنما يكون الوزن لمن خلط عملاً صالحاً و آخر سيئاً من المؤمنين.

قال القرطبي:"الميزان حق و لا يكون في حق كل أحد بدليل قوله ﷺ:"فيقالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ..."[1]، قال ﷻ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً من المؤمنين، وقد يكون للكافرين"[2]، فلا يكون الوزن في حق جميع المخلوقات، لأنه لا يكون الوزن للأنبياء والملائكة ومن يدخل الجنة بغير حساب.

قال أبو حامد:"و السبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان و لا يأخذون صحفاً، و إنما هي براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله. هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له و سعد سعادة لا يشقى بعدها فما مر عليه شيء أسر من ذلك لمقام"[3].

وخلاصة ما سبق أن الأنبياء لعصمتهم وفضلهم لا ينصب لهم ميزان فهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، والله أعلم وأحكم.

٢. من ينصب لهم الميزان:

الحساب لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقدارها، ليكون الجزاء بحسابه، ولتشهد البشرية عدل الله في ساحة الحساب فتوزن أعمال المؤمن حتى يعرف العبد مصيره ومنزلته بحسب الميزان فيطمئن إلى أن الله ليس بظلام للعبيد.

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً (ح٤٣٤٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة: (ح٢٨٧).

(2) التذكرة: القرطبي (ص٧١٩).

(3) المصدر السابق (ص٧١٩).

قال القرطبي في تذكرته:"فأما المتقون: فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، و صغائرهم إن كانت لهم الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، و تثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح و ترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي، وأما المخلطون فحسناتهم توضع في الكفة النيرة و سيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل فإن كانت الحسنات أثقل و لو بصؤابة[1] دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل و لو بذؤابة دخل النار، إلا أن يغفر الله وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف"[2].

ثانياً: الكفار:

ينقسم الكفار إلى قسمين:

١. من الكفار من لا حسنة لهم، وهؤلاء يقعون في النار بغير حساب ولا ميزان وهؤلاء عذابهم دائم خالدين مخلدين في النار.

٢. ومن الكفار من عمل بعض الحسنات في الدنيا كصلة الرحم ومواساة الناس ونحوها من الأعمال، وهؤلاء اختلف العلماء في وزنهم إلى قولين:

القول الأول: جزم بعض العلماء أن الكفار لا وزن لهم لأنه لا حسنات لهم في الآخرة حتى تقابل بالسيئات لأن الله يجازيهم على حسناتهم في الدنيا في عيش رغيد أو مال وفير أو كثرة في الأولاد أو ما شابه ذلك، فإذا جاء يوم القيامة، ليس له من حسنات حتى توزن قال ﷻ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] و قال ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] و قال ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨] وجاء في الحديث عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال: قال رسول

---

[1] **الصُؤَابَةُ**: بِالْهَمْزَةِ بَيْضَةُ الْقَمْلَةِ وَجَمْعُهَا (صُؤَابٌ) وَ (صِئْبَانٌ) : مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(١/٣٧٥) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[2] التذكرة: القرطبي (ص٧٢٦).

اللَّهِ ﷺ "إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ"[1]

يقول السفاريني:"وَالْحَقُّ أَنَّ الْكُفَّارَ لا يُقِيمُ اللَّهُ لَهُمْ وَزْنًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، [الكهف: ١٠٥]، وَمَنْ قَالَ: تُوزَنُ أَعْمَالُهُمْ لِوُرُودِهِ فِي ظَوَاهِرِ عُمُومِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ يُجِيبُ عَنِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ تَعَالَى لا يُقِيمُ لَهُمْ وَزْنًا نَافِعًا كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، أَيْ كَالْهَبَاءِ فِي عَدْلِ نَفْعِهِ، وَحُصُولِ فَائِدَتِهِ"[2].

وقال النووي:"أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ لا ثَوَابَ لَهُ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنْ يُطْعَمَ فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَيْ بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا لَا يَفْتَقِرُ صِحَّتُهُ إِلَى النِّيَّةِ كَصِلَةِ الرَّحِمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ وَالضِّيَافَةِ وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ وَنَحْوِهَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُدَّخَرُ لَهُ حَسَنَاتُهُ وَثَوَابُ أَعْمَالِهِ إِلَى الآخِرَةِ وَيُجْزَى بها مع ذلك أيضا فى الدنيا ولامانع مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ فَيَجِبُ اعْتِقَادُهُ"[3].

القول الثاني: قال بعضهم لا مانع من وزن سيئاتهم ليجازوا عليها بالعقاب وقوله ﷻ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]معناه لا نقيم لهم يوم القيامة وزناً نافعاً، حيث تجمع له حسناته وتوضع في ميزانه فيرجح الكفر بها.

قال ابن حزم:"وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن لكن أعمالهم شائلة، وموازينهم خفاف قد نص الله تعالى على ذلك فقال ﷻ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ(١٠٤)

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا (ح٢٨٠٨).

[2] لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٥/٢).

[3] شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٠/١٧).

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ(١٠٥)﴾. [المؤمنون]. فأخبر ﷺ أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم، والمكذبون بآيات الله ﷻ كفار بلا شك ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز و جل بها لعباده مقادير أعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التي لا تحس وزنها في موازيننا أصلاً"[1].

قال البيهقي:"وَذَهَبَ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ خَيْرَاتِ الْكَافِرِ، لَا تُوزَنُ لِيُجْزَى بِهَا بِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُ، وَإِنَّمَا تُوزَنُ قَطْعًا لِحُجَّتِهِ حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا الْكُفْرُ رَجَحَ بِهَا وَأَحْبَطَهَا، أَوْ لَا تُوزَنُ أَصْلًا، وَلَكِنْ يُوضَعُ كُفْرُهُ أَوْ كُفْرُهُ وَسَائِرُ سَيِّئَاتِهِ فِي إِحْدَى كِفَّتَيْهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: هَلْ لَكَ مِنْ طَاعَةٍ نَضَعُهَا فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، فَلَا يَجِدُهَا فَيَتَثَاقَلُ الْمِيزَانُ فَتَرْتَفِعُ الْكِفَّةُ الْفَارِغَةُ، وَتَبْقَى الْكِفَّةُ الْمَشْغُولَةُ فَذَلِكَ خِفَّةُ مِيزَانِهِ، فَأَمَّا خَيْرَاتُهُ فَإِنَّهَا لَا تُحْسَبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا مَعَ الْكُفْرِ"[2].

والخلاصة أن القول الأول بعدم وزن أعمال الكفار هو الراجح لرجحان أدلتهم التي استدلوا بها من القرآن والسنة، وأنه ليس هناك قرينه تصرف اللفظ عن ظاهره كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، فالوزن خاص بالمؤمنين فقط، والكفار لا حسنات لهم حتى تقابل بالسيئات و أن حسناتهم في الدنيا يجازيهم عليها الله فيعطيهم مالاً وصحة وعافية وعيشاً رغيداً أو ما شابه ذلك.

ثالثاً: الجن

أرسل الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين ، الإنس والجن ، وأوجب عليهم الإيمان به، وأن كل من قامت عليه الحجة منهم فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين، ولذلك نعتقد أن الجن كائن مكلف كالإنسان، وهذا الاعتقاد نابع من نصوص القرآن :

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد(٤/٥٤) ،مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون.

[2] شعب الإيمان: للبيهقي (١/٤٤٠).

١.قَالَ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]دخل في الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية.

٢.و قَالَ ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨]

٣. ثم قَالَ ﷻ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]و إنما أراد لكل من الجن و الإنس فقد ذكروا في الوعد و الوعيد مع الإنس و الجن.

٤. و أخبر تعالى أن الجن يُسألون قَالَ ﷻ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]و هذا سؤال، و إذا ثبت بعض السؤال ثبت كله.

٥. و قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]و هذا يدل صريحاً على أن حكمهم في الآخرة كالمؤمنين.

٦.و قَالَ ﷻ حكاية عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤]و إذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في الآخرة سواء و الله أعلم.[١]

قال ابن حزم:"وأما الجن فإن رسول الله ﷺ بعث إليهم بدين الإسلام هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من الأمة"[٢]

إذن توزن أعمال الجن كالبشر تماماً للأدلة السابقة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار، فالجن مكلفون كالبشر ويحاسبون كالبشر ويثابون كالبشر، وكما أن في الجن كفار وهم شياطين الجن، فإن في البشر كفار وهم شياطين الإنس كما قَالَ ﷻ: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]

---

[١] انظر: التذكرة: القرطبي (ص٧٢٨).

[٢] الفصل: ابن حزم (١٤٧/٣).

رابعاً: المجنون والصبي

الصبيان والمجانين لا حساب لهم وبالتالي لا وزن لهم ؛ لأنهم غير مكلفين وليسوا أهلاً للتكليف وغير مؤاخذين في الدنيا، وهم من أهل الجنة، كما قال الإمام أحمد:"وأما أطفال المسلمين لا يختلف فيهم أحد أنهم في الجنة"[1] وعلق ابن كثير على قول الإمام أحمد بقوله:"وَلْيُعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخِلَافَ مَخْصُوصٌ بِأَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَّا وِلْدَانُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كَمَا حَكَاهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى بْنُ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيُّ، عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُخْتَلَفُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي نَقْطَعُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّه"[2].

فالمجنون معذور في أصول الدين وفروعه، والقلم مرفوع عنه لأن خطاب الشارع إنما هو موجه إلى العقلاء، والصبي أيضاً غير مكلف، ولا حساب بدون تكليف والمكلف هو البالغ العاقل، فرفع القلم عن الصبيان والمجانين ورفع الميزان عنهم لعدم التكليف لفقدانهم العقل والإدراك.

خامساً: أهل الفترة و من لم تبلغه الدعوة

تعريف أهل الفترة:"الناس الذي أوجدهم الله تعالى من بعد عيسى ﷺ إلى مبعث رسول الله ﷺ، وماتوا قبل البعثة"[3]، فأهل الفترة هم الذين جاءوا على فترة من الرسل أي على انقطاع من الرسل، وهي الْمدَّة الَّتِي لَا رَسُول فِيهَا.

قال ابن منظور:"الفَتْرَةُ: مَا بَيْنَ كُلِّ نَبِيَّيْنِ، وَفِي الصِّحَاحِ: مَا بَيْنَ كُلِّ رَسُولَيْنِ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، ﷻ، مَنْ الزَّمَانِ الَّذِي انْقَطَعَتْ فِيهِ الرِّسَالَةُ"[4].

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ص٣٨٧) دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

[2] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٥/٦٠).

[3] معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي (ص٣٣٩) دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

[4] لسان العرب: ابن منظور (٥/٤٤).

وأهل الفترة قسمان:

من كان أهل الفترة، فإما أن يكون قد بلغته دعوة نبي سابق، وإما أن لا يكون كذلك.

القسم الأول: قسم بلغته نذارة الرسل فلا يعذر بالجهل، وهم محجوجون بنذارة الرسل الذين أرسلوا إلى من قبلهم، فمن كان من أهل الفترة وبلغته دعوة نبي سابق، وآمن بها كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل كان من أهل التوحيد بلا نزاع[1]، وقد جاء في الحديث عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت:"رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي"[2]

فإن كان ممن بلغته الدعوة فلم يؤمن بها، كعمرو بن لحي الخزاعي فهو من أهل النار، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال النبي"رأيت عمرو ابن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب [3]"[4].

القسم الثاني: وقسم آخر لم تبلغه نذارة الرسل فيعذر بالجهل، فالعبرة في اعتبار أهل الفترة المعذورين عدم بلوغ نذارة الرسل، وليس طول الفترة بين الرسل، أو بينهم وبين إرسال الرسول ، ومن تمام حكمته وعدله أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه.

ولكن هل ثبت أن الله يعقد له امتحاناً، فقد ذكر ابن حجر والبيهقي، أن من مات من أهل الفترة والمجنون وغيره فإن الامتحان والمسائلة قد صحت في حقه في عرصات يوم القيامة روى الإمام البيهقي بسنده عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – يدلون على الله بحجة – رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ

---

[1] انظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف: عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان (٢/٥٩٣– ٥٩٦) مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل(ح٣٥٤١).

[3] السائبةُ: الناقةُ الَّتِي كَانَتْ تُسَيَّبُ، فِي الجاهِلِيَّةِ لِنَذْرٍ وَنَحْوِهِلسان العرب: ابن منظور (٤٧٨/١).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة (ح٣٢٦٠).

يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا"[١].

وبذلك يظهر أن الدليل مع من حكم بنجاة أهل الفترة مع امتحانهم في الآخرة؛ لأن الحديث السابق صح عند العلماء. والله أعلم.

المطلب السابع: أصناف الناس في الميزان

أهل الميزان لهم عند الميزان ثلاثة أحوال.

١. من رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة فيدخل الجنة.

٢. من رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة فيدخل النار.

٣. من تستوي حسناته وسيئاته فأولئك أصحاب الأعراف وفيها نظر وأقوال وخلاف.

قال ابن عباس ﷺ:"من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف، ثم يدخلون الجنة بعد"[٢].

قال القرطبي:"فإن كانت الحسنات أثقل و لو بصؤابة دخل الجنة و إن كانت السيئات أثقل و لو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر الله و إن تساويا كان من أصحاب الأعراف"[٣]. قال حذيفة وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الصحابة ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف، وهذه الموازنة تكون بعد قصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسناته، فإذا بقي شيء منها وزن هو وسيئاته"[٤].

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، أول مسند المدنيين أجمعين، حديث الأسود بن سريع(ح١٥٧١٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٤٣٥) (٤١٩/٣).

[٢] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي(١٥٧/٥).

[٣] التذكرة: القرطبي (ص٧٢٦).

[٤] طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن القيم (ص٣٨٠).

أهل الأعراف:

الراجح من أقوال العلماء أن أهل الأعراف الذين تجاوزت بهم حسناتهم عن النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة يحبسون على قنطره بين الجنة والنار، إذا التفت أهل الأعراف إلى أهل الجنة سلموا عليهم قال ﷻ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦] أي لم يدخل أهل الأعراف الجنة وهم يطمعون أن يدخلوها ويرجون رحمة الله، وإذا التفتوا إلى الناحية الأخرى ورأوا أهل الجحيم تضرعوا إلى الملك العليم ألا يجعلهم مع القوم الظالمين. قال ﷻ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]: فحسنة تثقل ميزان العبد وتدخله الجنة وسيئة تخف ميزان العبد وتدخله النار، لذا ثبت في صحيح مسلم من حديث عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال لِيَ النبي: ﷺ"لَا تَحْقِرَنَّ من الْمَعْرُوفِ شيئا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"[1] فإن ثَقُلَ الميزان بحسنة سَعِدَ العبد بعدها سعادةَ لا شقاوة بعدها أبداً، وإن خفَّ الميزان ولو بسيئة شقي العبد شقاوة لا سعادة بعدها أبداً، وإن تساوت الموازين فهو من أهل الأعراف. قال الطبري:"هُمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي آدَمَ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَجُعِلُوا هُنَالِكَ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ مَا يَشَاءُ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ"[2].

والراجحُ من أقوال أكثر أهل العلم أن الله ﷻ يتغمدهم برحمته فيدخلهم الجنة.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (ح٤٧٦٠).

[2] جامع البيان: الطبري (٢١٢/١٠).

المبحث الثاني عشر

الشفاعة

من رحمة الله بنا أن جعل الشفاعة لنبيناﷺ وبعض خلقه، وبالشفاعة يعرف المسلم قدر رحمة الله، ويعرف تفضله على أنبيائه عموماً وعلى نبينا خصوصاً؛ لأن له المقام الأول والحظ الأوفر من الشفاعة، فالشفاعة جعلها الله كرامة للشافع ورفعاً لدرجته، ونفعاً للمشفوع له خصوصاً أهل المعاصي، ممن توقفت سعادتهم للحصول عليها.

الشفاعة من العقائد المسّلم بها عند أهل السنة، وقد خالف وأنكرها بعض أهل البدع ممن ينتمي إلى أهل القبلة، وخلاصة القول في الشفاعة، أنها طلب الرسول ﷺ أو غيره- من الأنبياء والصالحين- من الله تعالى في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد من الخلق.

المطلب الأول: تعريف الشفاعة

أولاً: تعريف الشفاعة لغةً: (ضم شيء إلى آخر) جعل الشيء شفعاً ليشفعه بعد أن كان مفرداً، الشفاعة من الشّفْع وهو ضد الفرد، وإن شئتَ فقل: ضد الوتر، قَالَ ﷻ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣] فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له[(١)].

ثانياً: تعريف الشفاعة اصطلاحاً:"التوسط للغير بجلب منفعةٍ أو دفع مضرة"[(٢)]

مثال الأول: شفاعة النبي ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة أو يرتقوا في درجَاتها هذا توسطٌ في جلب خيرٍ و منفعةٍ.

ومثال الثاني: شفاعة النبي ﷺ فيمن دخل النار أن يُخرج منها هذا دفع ضررٍ.

---

(١) انظر: المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (٣/٤١٦) تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون (١/٤٨٧)

(٢) مجموع فتاوى ورسائل: ابن العثيمين (٢/٤٥).

والشفاعة حق يجب الإيمان بها، وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم تثبت الشفاعة وتتحدث عنها، وهي ثابتة لرسولنا ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين.

لماذا اختار النبي ﷺ الشفاعة؟

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ لَا وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ"[1]، وهذا يدل على رحمة النبي ﷺ بإمته فالشفاعة أَعَمُّ وَأَكْفَى وتشمل جميع الْمُذْنِبِينَ والْخَطَّائِينَ والْمُتَلَوِّثِينَ من أمة محمد ﷺ.

المطلب الثاني: أقسام وشروط الشفاعة

أولاً: أقسام الناس في الشفاعة[2]

١- **القسم الأول:** قسم غلوا في إثباتها إثباتًا مطلقًا، كالمبتدعة من الغلاة في المشايخ من الصوفية والشيعة فالأولياء يشفعون، فيجّوز طلبها منهم، وهؤلاء يطلق عليهم القبورية، فأثبتوها مطلقة، وكذلك المشركون أثبتوا شفاعة الأصنام والأوثان فجعلوا لها شفاعة عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، قَالَ ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤] وقَالَ ﷻ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً .... (٤٤)﴾ [الزمر]

٢- **القسم الثاني:** وقسم غلوا في نفيها فنفوا شفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره في أهل الكبائر من أمته، كالخوارج والمعتزلة، وهؤلاء مبتدعة ضُلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ.

---

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (ح٤٣٠١) قال محمد فؤاد عبد الباقي: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب (ح٥١٩٥) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[2] انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: لبعض علماء نجد الأعلام(ص٦٠٧) دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، المحقق: الأولى، بمصر ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.

٣- **القسم الثالث:** وقسم توسطوا وهم أهل السنة والجماعة وهم سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم بإحسان، فهم يثبتون الشفاعة المثبتة وينفون المنفية فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره وهي التي جاءت بها الأحاديث الصحيحة، ويشترطون لها شرطين أخذوهما من النصوص.

ثانياً: أقسام الشفاعة من حيث القبول والرد

فالشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين:

١. **الشفاعة الشركية:**

الشفاعة الشركية هي ما يعتقده المشركون وما يدَّعونه في آلهتهم حيث يتقربون لهذه الآلهة بالقربى ويدَّعون أنهم يريدون بذلك أن تشفع لهم وليست بنافعةٍ لهم قَالَ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمر: ٣]. هذه الشفاعة ليست مقبولة لأن من شرط الشفاعة أن يرضى الله عن الشافع وعن المشفوع له، قَالَ ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: ١٨]، فتبين بهذا بطلان ما عليه القبوريون وهم الذين يطلبون الشفاعة من الأموات ويتقربون إليهم بأنواع القربات.

٢. **الشفاعة الشرعية**[١]

الشفاعة الشرعية، هي ما اجتمع فيها ثلاثة شروط[٢]

أ- رضا الله عن الشافع[٣].

---

[١] انظر: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء(ص٢٣٤) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، عرض ونقد، د. عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن (ص٤٧٠) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، مختصر معارج القبول: آل عقدة(ص٢٦٦).

[٢] مجموع فتاوى ورسائل: ابن العثيمين (٢ /٤٥).

[٣] تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: بن العثيمين (ص١٣٠) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء(ص٢٣٥).

ولا تكون الشفاعة إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفع من نبي، أو ولي، أو رجل صالح، فالأمر كله إليه فلا شريك له، والله تعالى يُكرم الشفيع بقبول شفاعته و دليل ذلك قالَ ﷻ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]وقَالَ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[طه: ١٠٩]

ب- رضا الله عن المشفوع له[1].

دليل ذلك: قولهﷻ : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، أي لمن رضيه الله ﷻ.

ت- إذن الله بالشفاعة[2].

دليل ذلك: قوله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فمن تقدم للشفاعة بغير إذن الله فإنه لا تنفعه الشفاعة لأنها ليست شفاعةً شرعية.

والخلاصة: لَيْسَ لأحد أَنْ يَشْفَعَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بالشَّفَاعَةِ، وليس لأحد أن يُشَفَعَ إلا من أذن لَهُ الله فِي الشَّفَاعَةِ، وَلَيْسَ لأحد أَنْ يَشْفَعَ إِلَّا فِيمَنْ أَذِنَ اللَّهُ له أن يُشَفَعَ فيه.

---

[1] تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: بن العثيمين (ص١٣٠) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء(ص٢٣٥) رسالة في أسس العقيدة: محمد بن عودة السعوي (ص٧٥) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

[2] المصدر السابق (ص١٣٠) رسالة في أسس العقيدة: السعوي (ص٧٥).

المطلب الثالث: أقسام الشفاعة الشرعية

أولاً: الشفاعة الخاصة وهي التي اختص بها النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء والصالحين وهي أنواع:

١- الشفاعة العظمى

وهي المقام المحمود حيث يشفع النبيﷺ إلى ربه كي يخلص العباد من أهوال المحشر وذلك عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول مكثهم يبحثون عمن يُشفع لهم عند ربهم ويخلصهم من كربات الموقف وأهواله، فالشمس تدنو من الخلائق وتكون منهم بمقدار ميل، فيغرقون في عرقهم كل بحسب عمله، حتى يتمنى بعض الناس الانصراف ولو إلى النار من شدة ما هم فيه، ولو علموا حقيقة النار لما تمنوا ذلك.

الشفاعة العظمى هي من أعظم الشفاعات يوم القيامة شفاعة نبيناﷺ لفصل القضاء بين الناس، عندما يكون العباد في قلق شديد وكرب عظيم لا يدرون كيف يهتدون إلى الخلاص مما هم فيه، فيلهم الله تعالى بعض عباده طلب الشفاعة من الرسل إلى الله تعالى لفصل القضاء وإراحتهم مما هم فيه، فيأتون آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى فيعتذر أولو العزم من الرسل -عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم-، حتى تنتهي إلى خاتم الرسل نبينا محمد ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيقوم مقاماً يحمده عليه الأولون والآخرون فيذهب إلى الله ﷻ ويستأذن أن يشفع فيُؤذن له فيسجد تحت العرش في مكان يقال له (الفَحْصُ) [1]ويفتح الله عليه من المحامد يحمده ويمجده بها ما لم يكن يعرفه فيشفع إلى الله في أن يقضي بين الناس بعد ما أصابهم من الهم والكرب ما لا يطيقون، من أجل أن يريحهم من هذا الموقف فيستجيب الله له ويأتي الحق جل وعلا لفصل القضاء بين الناس في الموقف، فتظهر منزلته العظيمة ودرجته العالية.

---

[1] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص ٢٠٤).

روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال:"يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام ثم يأتون نُوحًا عليه السلام ثم يأتون إِبْرَاهِيمَ عليه السلامثم يأتون مُوسَى عليه السلامثم يأتون عِيسَى عليه السلاموكل نبي يحيلهم إلى غيره قائلاً إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله اذهبوا إلى غيري حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى". [1] وهذه الشفاعة خاصة بالرسول ﷺ وهي المقام المحمود المراد بقول ﷻ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] لأن هذا المقام يحمده فيه كل الناس حيث إن الأنبياء قبله اعتذروا فصار الحمد له ﷺ في هذا المقام العظيم، وهذه الشفاعة العظمى عامة لكل الخلق اختص بها الرسول ﷺ.

٢- شفاعته ﷺ في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

شفاعته ﷺ لطائفة من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وعددهم سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً كما جاء في حديث عكاشة بن محصن ﷺ، حيث دعا له النبي ﷺ له أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، فذكرته لسعيد

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح (ح٤٣٤٣).

بن جبير ﷺ فقال حدثنا ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمْ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ قِيلَ بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ قِيلَ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ "هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ"[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ"[2] ﷺ لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء ولا من الأولياء.

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب [3]

وهي شفاعة خاصة لأبي طالب عم رسول الله ﷺ في تخفيف العذاب عنه والكفار كما نعلم لا شفاعة لهم والأصل في حقهم قول الله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] لكن لما كان لأبي طالب مواقف عظيمة مع الرسول ﷺ ومساندته له في دعوته ومناصرته والذب عنه وهي أعمال فاضلة، أُذن للرسول ﷺ الشفاعة في عمه فقط وهي شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج من النار، كما في الصحيحين.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره (ح٥٢٧٠) ،كتاب الطب،باب من لم يرق (ح٥٣١١).

[2] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٤٧/٣) العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ص١٠١) تحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

[3] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي (ص ٢٠٦).

١- عَنْ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ"هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[1] مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ"[2]

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺأَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ"لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ". [3]

٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ"[4]

هذه الأحاديث تدل على أن أبا طالب مات كافراً، إذ لو كان مسلماً لخرج من النار مع الموحدين، كما تواترت الأحاديث بخروج الموحدين من النار.

لماذا كانت شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب خاصةً بالرسول ﷺ ؟ لماذا لا نقول أنه لو وُجد الآن رجل يذود عن الإسلام وهو كافر فإنه يُشفع ؟

الجواب: أن الشفاعة للمشرك لا تمكن لأن من شروط الشفاعة أن يرضى الله عن المشفوع له إلا في هذه المسألة فقط، فهذه مستثناة، وهذه المسألة ليست شفاعةً كاملة بأن يخرج أبو طالب من النار بل شفاعة أن يُخفف عنه، لأن أبا طالب خفَّ كفره، حيث إنه كان يذود عن النبي ﷺ ويحميه، فلما خف كفره جعل الله له هذه الشفاعة، وهي التخفيف، تخفيف العذاب.

٤- شفاعته ﷺ بدخول أهل الجنة الجنة

شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة وهم على القنطرة بعد اجتياز الصراط وتهذيبهم، وهذه خاصة بالرسول ﷺ، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط، أوقفوا

---

[1] **الضَّحْضاح**: وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ الَّذِي يَبْلُغ الْكَعْبَيْنِ والمعنى أنه خفف عنه شيء من العذاب، انظر: لسان العرب: ابن منظور(١٢/٣٧١).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب المناقب،باب قصة أبي طالب (ح٣٥٩٤) واللفظ له: ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب (ح٣٠٨).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب (ح٣٥٩٦) واللفظ له: ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب (ح٣٠٩).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً (ح٣١٢).

على قنطرة بين الجنة والنار، فتمحص قلوب بعضهم من بعض حتى يهذبوا وينقوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة، فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ.

إن أهل الجنة إذا عبروا الصراط وجدوا أبواب الجنة مغلقة لحكمةٍ يريدها الله ﷻ منها، الحكمة أنهم يقفون هناك فيُقتصُّ لبعضهم من بعض قِصاصٌ يُرادُ به زوال أثر ما كان في قلوبهم فيما بينهم فإذا هُذبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة بعد أن يشفع الرسول ﷺ لهم بدخول الجنة، قال ﷻ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر: ٤٧]

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ"[1]

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ وَأَبُو مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنْ حُذَيْفَةَ ؓ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ قَالَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ.."[2].

٥- شفاعة الرسول ﷺ لمن سكن المدينة

شفاعة الرسول ﷺ لمن سكن المدينة ومات بها، فالله تعالى شرّف المدينة بخيرات عديدة فهي مُهاجر الرسول ﷺ وعاصمة الإسلام الأولى، ومن هذه الميزات شفاعة النبي ﷺ لأهلها لمن مات بها صابراً محتسباً ففي صحيح مسلم: عَنْ عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ؓ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْ [3] الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا [4] أَوْ يُقْتَلَ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قول النبي أنا أول الناس يشفع في الجنة (ح٢٩٢).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ح٢٨٨).

[3] اللابة: الحرة، وهو الموضع ذو الحجارة السود. شرح صحيح البخاري: ابن بطال (٥٣٧/٤).

[4] الْعِضَاهُ: كُلُّ شَجَرٍ فِيهِ شَوْكٌ وَاحِدَتُهَا عِضَاهَةٌ وَعَضِيهَةٌ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٦/٩).

صَيْدُهَا وَقَالَ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا[1] وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2].

ثانياً: الشفاعة العامة

وهي للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين وهي أنواع.

١-شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم[3].

شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة، وذهب إلى هذا بعض أهل العلم وليس فيها حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن غيره.

٢-الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

الشفاعة في أَقْوَامٍ آخَرِينَ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلُونَهَا [4]وكأنهم من أهل التوحيد، ولكن معهم سيئات ومعهم ذنوب من الكبائر التي تُوُعِّد عليها بالعذاب أو التي تُوُعِّد عليها بنفي الإيمان، أو بعدم دخول الجنة، ولكن فضل الله تعالى ورحمته تعم عباده الذين يشملهم اسم الإيمان واسم التوحيد واسم الاستجابة، فيشفع لهم لكونهم من أمته، فيدخلون الجنة، ويمكن أن يستدل لهذا النوع من الشفاعة بما يلي:

أ-بقول النبي ﷺ:"مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ" [5]فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.

ب- وبعموم قوله ﷺ"شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"[6]

---

[1] اللَّأْوَاءُ: الْجُوعُ وتَعَذُّرُ الْكَسْبِ وَسُوءُ الْحَالِ، انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري(٣٤٧/٤) تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة (ح٢٤٢٦).

[3] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي: (ص٢٠٥).

[4] انظر: المصدر السابق (ص٢٠٥).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه (ح١٥٧٧).

[6] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الشفاعة(ح٤١١٤) قال الألباني: صحيح.

٣-شفاعته ﷺ في أقوامٍ من المؤمنين في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم في الجنة.

شفاعته ﷺ في أقوامٍ من المؤمنين في زيادة ثوابهم، ورفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم، فهؤلاء قد دخلوا الجنة ومع ذلك تنالهم شفاعة فترفع درجاتهم كرماً من الله، إن من عباد الله من يقدمون أعمالاً يدخلهم المولى الجنة برحمته، وفوق هذا ينالهم كرم الله فوق ذلك فتنالهم شفاعة ترفع منزلتهم في الجنة، وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، كما قال النبي ﷺ لأبي سلمة رضي الله عنه:"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ"[١]

أخرج البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ"لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ قَالَ أَبُو مُوسَى وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ أَلَا تَسْتَحْيِي أَلَا تَثْبُتُ فَكَفَّ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ قَالَ فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئْ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ وَقَالَ قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ"وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ"اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنْ النَّاسِ"فَقُلْتُ وَلِي فَاسْتَغْفِرْ فَقَالَ"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا"قَالَ أَبُو بُرْدَةَ إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى"[٢]

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر (ح١٥٢٨).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس (ح٣٩٧٩).

٤- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته.

شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته متواترة، وقد اتفق عليها أهل السنة والجماعة "وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ تُشَارِكُهُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا. وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ تَتَكَرَّرُ مِنْهُ ﷺ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ"[1].

دليلها:

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"[2]

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ[3] فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ"[4] وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفْعٌ مِنْ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً ثُمَّ يُدْخِلُهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ يُقَالُ لَهُمْ الْجَهَنَّمِيُّونَ"[5] و(الْجَهَنَّمِيُّونَ) جمع جهنمي نسبة إلى جهنم والمراد أنهم عتقاء الله تعالى.

٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ(٦) ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ[7]"[8]

٤- عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي: (ص٢٠٦).

[2] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الشفاعة (ح٤١١٤) قال الألباني: صحيح.

[3] سفْعٌ: السُّفْعةُ والسَّفَعُ السَّوادُ والشُّحُوبُ وقيل نَوْع من السَّواد ليس بالكثير وقيل السواد مع لون آخر وقيل السواد المُشْرَبُ حُمْرة، لسان العرب: ابن منظور (١٥٦/٨).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح٦٠٧٤).

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ماجاء في قول الله تعالى أن الله قريب (ح٦٨٩٦).

[6] ضَبائرَ: أي جماعات في تَفْرقة، لسان العرب: ابن منظور (٤٨٠/٤).

[7] ما يَحْمِلُ السَّيْلُ من طِينٍ أَو غُثَاءٍ، تاج العروس: الزَّبيدي(٢٢٢/٢).

[8] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة(ح٢٧).

وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً(قمحة) ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً [١].

٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً"[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية"فَيُشَفَّعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ فَيُشَفَّعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا وَيُشَفَّعَ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ"[٣]

"وهذه الشفاعة ينكرها من أهل البدع طائفتان؛ المعتزلة والخوارج؛ لأن المعتزلة والخوارج مذهبهما في فاعل الكبيرة أنه مخلد في نار جهنم، فيرون من زنى كمن أشرك بالله؛ لا تنفعه الشفاعة، ولن يأذن الله لأحد بالشفاعة له"[٤]

قال الحنفي:"شَفَاعَتُهُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ، مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِهَذَا النَّوْعِ الْأَحَادِيثُ. وَقَدْ خَفِيَ عِلْمُ ذَلِكَ عَلَى الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَخَالَفُوا فِي ذَلِكَ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِصِحَّةِ الْأَحَادِيثِ، وَعِنَادًا مِمَّنْ عَلِمَ ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ عَلَى بِدْعَتِهِ"[٥].

وقولهم مردود بما تواترت به الأحاديث في ذلك كما سبق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "وَأَمَّا شَفَاعَتُهُ لِأَهْلِ الذُّنُوبِ مِنْ أُمَّتِهِ فَمُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْكَرَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنْ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالزَّيْدِيَّةِ وَقَالَ هَؤُلَاءِ: مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا لَا

---

[١] متفق عليه: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(ح٢٨٥) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه(ح٤٢).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال(ح٢١) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة (ح٢٧٠)

[٣] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٤٧/٣) العقيدة الواسطية: ابن تيمية (ص١٠١).

[٤] مجموع فتاوى ورسائل: ابن العثيمين (٨ /٥٣٢).

[٥] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٢٠٦).

بِشَفَاعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَعِنْدَ هَؤُلَاءِ مَا ثَمَّ إلَّا مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَلَا يَدْخُلُ النَّارَ وَمَنْ يَدْخُلُ النَّارَ فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا يَجْتَمِعُ عِنْدَهُمْ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ، وَأَمَّا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَالْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ فَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنْ النَّارِ قَوْمًا بَعْدَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ يُخْرِجُهُمْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُخْرِجُ آخَرِينَ بِشَفَاعَةِ غَيْرِهِ وَيُخْرِجُ قَوْمًا بِلَا شَفَاعَةٍ". [1]

إلى أن قال:" وَاحْتَجَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ لِلشَّفَاعَةِ بقوله تعالى﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨]وبقوله ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة: ١٢٣]وبقوله ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]وبقوله ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] وبقوله ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]

وجواب أهل السنة: أن هذا يراد به شيئان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي نَعْتِهِمْ ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(٤٨) ﴾. [المدثر]؛ فَهَؤُلَاءِ نُفِيَ عَنْهُمْ نَفْعُ شَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا .

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُرَادُ بِذَلِكَ نَفْيُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي يُثْبِتُهَا أَهْلُ الشِّرْكِ وَمَنْ شَابَهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ لِلْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْقَدْرِ أَنْ يَشْفَعُوا عِنْدَهُ بِغَيْرِ إذْنِهِ كَمَا يَشْفَعُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عِنْدَ بَعْضٍ ". [2]

---

[1] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٤٨/١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية(ص١١) تحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة: الأولى، مكتبة الفرقان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١هـ.

[2] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٤٨/١).

المطلب الرابع: شفاعات أخرى

أولاً: شفاعة الله ﷻ

حيث يُخرج الله ﷻ زيادة على ما أخرجه الشافعون، يشفع الله من نفسه عند نفسه، فيخرج آخر دفعة تدخل الجنة، كما جاء في حديث مسلم من حديث أبي سعيد ﷺ الطويل في الشفاعة أن النبي ﷺ قال"...فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ-المراد بالخواتم هنا علامة من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم - يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"[1].

وجاء في حديث هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"لَيَتَحَمَّدَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أُنَاسٍ مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ قَطُّ فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا فَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ بَعْدَ شَفَاعَةِ مَنْ يَشْفَعُ"[2].

ثانياً: شفاعة الأنبياء

عن أبي سعيد الخدريﷺ أن النبي ﷺ قال"... ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا قَالَ ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا"[1].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية(ح٢٦٩).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق (ح٨٨٣٤) قال الأرنؤوط: حسن لغيره.

ثالثاً: شفاعة المؤمنين

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال"..... حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]"[٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَهْطٍ بِإِيلِيَاءَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ"يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَاكَ قَالَ سِوَايَ فَلَمَّا قَامَ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا ابْنُ أَبِي الْجَذْعَاءِ"[٣] قيل: إن هذا الرجل هو أبو بكر الصديق ﷺ.

إذاً من فضل الله على هذه الأمة أن في واحد منها غير النبي ﷺ شفاعته تؤدي إلى خروج أكثر من عدد بني تميم، وهي من قبائل العرب المشهورة وهذه قبائل عظيمة، كثيرة العدد.

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري(ح١٠٦٥٩) قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية(ح٢٦٩).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه (ح٢٣٦٢) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وصححه الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب (ح٥٦٠١) (١٥٥٨/٣).

رابعاً: شفاعة القرآن

لهؤلاء الذين أقبلوا على موائد القرآن في الدنيا، هذا القرآن سيشفع لهم عند الله تعالى، والجزاء من جنس العمل، فقد ثبت أن سورتي البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، تحاجان عن صاحبهما.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ"يَقُولُ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ"[1]

خامساً: شفاعة الشهداء

الذين قد أراقوا دماءهم في سبيل الله هؤلاء يكرمون يوم القيامة بالشفاعة، عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"[2]

سادساً: شفاعة الولدان لوالديهم

جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ﷺعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَيَلِجَ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ"[3]، أي يرد عليها ورودا سريعا بقدر يبر الله تعالى به قسمه في قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]ومعنى الآية ما من إنسان إلا وسيأتي جهنم حين يمر على الصراط الموضوع على ظهرها.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القران وسورة البقرة(ح١٣٢٧).

[2] أخرجه الترمذي في سننه كتاب فضل الجهاد، باب في ثواب الشهيد(ح١٥٨٦) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح١٣٧٥) (٢/٦٧).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب(ح١١٧٣) واللفظ له ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه(ح٤٧٦٦).

المطلب الخامس: من تجب له الشفاعة بإذن الله؟

١- **طلب الوسيلة للرسول ﷺ والإكثار من الصلاة عليه:** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[(١)] و عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ "إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ"[(٢)]

٢- **قول لا إله إلا الله بإخلاص والموت عليها،** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ"[(٣)]

٣- **الإكثار من السجود،** عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ عَنْ خَادِمٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ أَلَكَ حَاجَةٌ قَالَ حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَاجَتِي قَالَ وَمَا حَاجَتُكَ قَالَ حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا قَالَ رَبِّي قَالَ إِمَّا لَا فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء(ح٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن (ح٥٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث،(ح٩٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث خادم النبي (ح١٥٤٩٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(ح٢١٠٢) (١٣٨/٥).

المبحث الثالث عشر

الصراط

الصراط من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها ؛ لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، واعتقاد ما أثبتته الشرع من غير تأويل، مخالفين ما صار عليه أهل البدع من المعتزلة، وغيرهم ممن نفاها بالكلية، أو أولها بالتأويلات الفاسدة، فنؤمن بالصراط، وهو جسر منصوب على متن جهنم، يمر الناس عليه إلى الجنة ، ويكون بعد الحساب والميزان وانصراف الناس من المحشر ، ، فيمر الجميع من فوق جهنم فوق الصراط حتى الأنبياء والصديقين فينجي الله تعالى المؤمنين، ويذر الظالمين فيها جثياً قال: ﷻ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

المطلب الأول: تعريف الصراط والأدلة على وجوب الإيمان به

أولاً: تعريف الصراط:

أ- **لغةً**: الطريق الواضح، قال ابن منظور :"إنما قِيلَ لِلطَّرِيقِ الْوَاضِحِ سِرَاطٌ لأنه كأنه يَسْتَرِطُ المارّة لكثرة سلوكهم"(١).

وقال الزبيدي:"الصراط تقرأ بالسين والصاد لغتان، السِّرَاطُ بالكَسْرِ : السَّبِيلُ الواضحُ، وبه فُسِّر قَوْلـه تَعَالَى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] أي ثَبِّتْنـا عَلَـى المِنْهـاجِ الواضِحِ"(٢).

وقد ذكر الله تعالى لفظة الصراط في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعاً، على معان مختلفة لكنها متقاربة في المعنى.

قَالَ الطبري:"قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ"(٣)، وذكر أن الشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى.

---

(١) لسان العرب: ابن منظور (٣١٣/٧).

(٢) تاج العروس: الزبيدي (٣٤٥/١٩).

(٣) جامع البيان: الطبري (١٧٠/١).

ب- **تعريف الصراط شرعاً**

قال السفاريني:"جِسْمٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ يَرِدُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَهُوَ قَنْطَرَةُ جَهَنَّمَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَخُلِقَ مِنْ حِينَ خُلِقَتْ جَهَنَّمُ"[1].

وقال الأشعري:"الصراط جسر ممدود على جهنم، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك"[2].

اذن هو جسر منصوب ممدود على شفير جهنم، أدق من الشعرة وأحد من السيف، يمر عليه جميع الخلائق الأولون والآخرون بقدر أعمالهم، تزل عليه أقدام الكافرين، وتهوى بهم إلى النار، وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله، فيساقون إلى دار القرار.

ثانياً : أدلة الإيمان بالصراط

الإيمان بالصراط واجب، وهو مذهب أهل السنة والجماعة وقد استدلوا على وجوب الإيمان به، من القرآن والسنة والإجماع:

١- **أدلة الإيمان بالصراط من القرآن**

أ- قال ﷻ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا(٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا(٧٢) ﴾. [مريم].وقد ذكر أكثر أهل العلم أن المراد بالورود في الآية:

القول الأول: الورود بمعنى المرور على الصراط

كذا فسرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط وهو قول الإمام النووي:"وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوُرُودِ فِي الْآيَةِ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى جَهَنَّمَ فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا وَيَنْجُو الْآخَرُونَ"[3].

ويقول الحنفي: "اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْوُرُودِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ مَا هُوَ؟ وَالْأَظْهَرُ وَالْأَقْوَى أَنَّهُ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ تَعَالَى: ما

---

[1] لوامع الأنوار: السفاريني (١٨٩/٢) لوائح الأنوار السنية: السفاريني (٢ /٢١١).

[2] رسالة إلى أهل الثغر: أبو الحسن الأشعري (ص١٦٣).

[3] شرح النووي على صحيح مسلم (٥٨/١٦).

هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط. قال تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾"[1].

القول الثاني: الورود بمعنى الدخول

إذا كان الورود بمعنى الدخول فيحمل على دخول الكافرين للخلود فيها كما قَالَ ﷻ في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨] أو دخول العصاة والمكث فيها ما شاء الله أن يمكثوا ثم يخرجهم كسائر الموحدين، فيكون قوله ﷻ: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ معناه: واردها الورود اللائق به، ففي حق المؤمنين الذين كتب الله لهم النجاة يكون الورود بمعنى المرور، وفي حق غيرهم وكذا عصاة المسلمين يكون الورود بمعنى الدخول ؛ وهو للتأبيد في حق الكفار، ولحين في حق عصاة المسلمين، وبهذا يجمع بين الأقوال والله أعلم.

ب- قَالَ ﷻ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ [الصَّفات]

قال الطبري:"احْشُرُوا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَآلِهَتَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَوَجِّهُوهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَحِيمِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ"[2].

هذه الآية ليست فيها التصريح التام بذكر الصراط كما في اصطلاح الشرع، إلا أن يقال إن طريق الجحيم هو أخذهم إلى الصراط و هو الجسر الممدود على جهنم، ومنه إلى النار.

٢- أدلة الإيمان بالصراط من السنة

أ- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ قَالَ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ [3] فِيهِ

---

[1] شرح الطحاوية: الحنفي (ص٤١٥).

[2] جامع البيان: الطبري (٥٢١/١٩).

[3] مدحضة مزلة: المزلة من زل يزل إذا زلق،أراد أنه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت، انظر: شرح صحيح البخارى: ابن بطال (٤٧٠/١٠).

خَطَاطِيفُ[1] وَكَلَالِيبُ[2] وَحَسَكٌ [3] تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ[4] فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ[5] وَالرِّكَابِ[6] فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"[7]

هذا الحديث وصف لمرور الأمم على الصراط، وتفاوتهم في سرعة السير وبطئه، وما يقع لهم في أثناء سيرهم من أهوال، فالجسر مدحضة مزلة منزلق شديد لا تثبت عليه قدم، والخطاطيف والكلاليب قد نصبت لخطف من أمرت بخطفه، فمنهم من يسلمه الله تعالى، فلا يحس بألم تلك الخطاطيف والكلاليب، ومنهم من ينجو لكن يصيبه خدوش تؤثر في جلده، ومنهم من تخطفه فتنتهي به إلى مقر جهنم مكدوساً فيها مسوقاً بشدة وعنف من ورائه ؛ ليكون فوق من سبق يكدسون كما تكدس الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً.

قال النووي:"مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شئ أَصْلًا وَقِسْمٌ يُخْدَشُ ثُمَّ يُرْسَلُ فَيُخَلَّصُ وَقِسْمٌ يُكَرْدَسُ وَيُلْقَى فَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ"[8].

---

[1] **خطاطيف**: واحدها خطاف و هي حديدة حجناء كالمحجن منعقفة و كل منعقف معوج الطرف خطاف و منه الخطاف الذي يخرج به الدلو من البئر ويخطفه من قعره ويسرع بإخراجه. تفسير غريب ما في الصحيحين: الحميدي(ص٢٣١).

[2] **الْكَلَالِيبُ**:"جَمْعُ كَلُّوبٍ بِفَتْحِ الْكَافِ وَضَمِّ اللَّامِ الْمُشَدَّدَةِ وَهُوَ حَدِيدَةٌ مَعْطُوفَةُ الرَّأْسِ يُعَلَّقُ فِيهَا اللَّحْمُ وَتُرْسَلُ فِي التَّنُّورِ قَالَ صَاحِبُ الْمَطَالِعِ هِيَ خَشَبَةٌ فِي رَأْسِهَا عُقَّافَةُ حَدِيدٍ وَقَدْ تَكُونُ حَدِيدًا كُلُّهَا"، شرح النووي على صحيح مسلم (٢١/٣).

[3] **الْحَسَكُ**: نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرٌ خَشِنٌ يَتَعَلَّقُ بِأَصْوَافِ الْغَنَمِ وَرُبَّمَا اتُّخِذَ مِثْلُهُ مِنْ حَدِيدٍ وَهُوَ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ، فتح الباري: ابن حجر (٤٢٩/١٣).

[4] **السعدان**: قال ابن حجر: شَوْكِ السَّعْدَانِ بِالسِّينِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَتَيْنِ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ وَالسَّعْدَانُ جَمْعُ سَعْدَانَةٍ وَهُوَ نَبَاتٌ ذُو شَوْكٍ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي طِيبِ مَرْعَاهُ"فتح الباري: ابن حجر (٤٥٣/١١).

[5] **كأجاويد الخيل**: أجاويد جمع جيد وهو الأصيل، فتح الباري: ابن حجر (١٠١/١).

[6] **والركاب**: اسم للإبل التي تركب والركاب التي تحمل الأثقال في السفر.انظر: إسفار الفصيح: أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي(٣٨٦/١) دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

[7] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح٢٦٩).

[8] شرح النووي على صحيح مسلم (٢٩/٣).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ السَّعْدَانَ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ أَوْ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ أَوْ الْمُجَازَى"[1] وفي هذا الحديث تصوير دقيق للجسر، وحالة مرور الناس عليه، ووصف ما عليه من الكلاليب التي تشبه شوك السعدان في الشكل لا في الحقيقة، حتى ليكاد القارئ يشاهده، ويشاهد مرور الناس عليه، واختلاج الناس فيه، وبطش جهنم بهم بسبب أعمالهم، قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ "تَشْبِيهُ الْكَلَالِيبِ بِشَوْكِ السَّعْدَانِ خَاصٌّ بِسُرْعَةِ اخْتِطَافِهَا وَكَثْرَةِ الِانْتِشَابِ فِيهَا مَعَ التَّحَرُّزِ وَالتَّصَوُّنِ تَمْثِيلًا لَهُمْ بِمَا عَرَفُوهُ فِي الدُّنْيَا وَأَلِفُوهُ بِالْمُبَاشَرَةِ"[2]

ت- عن حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ:"فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ له وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ قال: قلت: بِأَبِي أنت وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ ؟ قال: أَلَمْ تَرَوْا إلى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ على الصِّرَاطِ يقول: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حتى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حتى يَجِيءَ الرَّجُلُ فلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إلا زَحْفًا، قال: وفي حَافَتَيْ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ من أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ[3] نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ[4] في النَّارِ"[5].

ويتضح من خلال تلك الأحاديث أنه ممر رهيب، عليه من أنواع العذاب، كالكلاليب التي مثل شوك السعدان، تخطف من أمرت بخطفه، ولا يتكلم عليه أحد غير الرسل،

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (ح٦٨٨٥).

[2] فتح الباري: ابن حجر (١١/٤٥٣).

[3] مخدوش من الخدش: ناج أي على ما به من الأثر،انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين: الحميدي (ص٧٨).

[4] مَكْدُوسٌ في النار: أي مدفوعٌ وقيل إنما هو مَكْرُوسٌ وهو الذي جُمِعَتْ يَدَاهُ ورِجْلاهُ في وقُوعِه، غريب الحديث: ابن الجوزي (٢/٢٨٢).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ح٢٨٨).

ودعاؤهم عليه. اللهم سلِّم سلِّم، وأول من يجيزه الرسول محمد ﷺ وأمته إكراماً وتشريفاً لهم، وثبت أن الناس يختلفون في سرعة المرور عليه، ويختلفون في أخذهم لأنوارهم، كل ذلك حسب عمله، وهم يدعون، اللهم سلِّم سلِّم.

٢-أدلة الإيمان بالصراط من الإجماع

أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالصراط وهو جسر منصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم وقد نُقل عن أهل العلم في هذه المسألة

قال الإمام أبو الحسن الأشعري:"وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، أنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك"[١]

وقال الإمام ابن بطة العكبري:"ونحن الآن ذاكرون شرح السنة.. ما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة –"فذكر جملةً من معتقد أهل السنة"ثم قال: ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ سلِّم سلِّم"[٢].

وقال السفاريني:"اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّرَاطِ فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يُثْبِتُونَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ كَوْنِهِ جِسْرًا مَمْدُودًا عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ " [٣].

بعد ذكر الأدلة من القرآن والسنة والإجماع على ثبوت الصراط، فإن الصراط من الغيبيات التي يتعين الإيمان بها، فهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، واتفاق أكثر خلقها، وخلاصة الأمر أنه يجب الإيمان بالصراط شرعاً وعقلاً.

المطلب الثاني: صفة الصراط

وردت الأحاديث بأوصاف الصراط ووصفته وصفاً جلياً، وأنه بين ظهراني جهنم، وأنه حسك كحسك السعدان، وأنه مدحضة مزلة، وأن عليه خطاطيف وكلاليب، وأنه

---

[١] رسالة إلى أهل الثغر: الأشعري (ص١٦٣).

[٢] الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة: ابن بطة العكبري (ص٢٢١) تحقيق مكتبة العلوم والحكم، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى.

[٣] لوامع الأنوار: السفاريني (١٩٢/٢).

كحد الموس أو حد السيف، وأنه أدق من الشعرة يجتازه المسلمون وأتباع الرسل، فإما أن يعبروه بسلام، أو آلام، أو يقعوا منه إلى النار.

واختلف العلماء في صفة الصراط:

هل هو صراطٌ واسع يَسَعُ أُمَماً عظيمة أو صراطٌ دقيق جداً ضيِّق ؟

الرأي الأول: إنه طريق دقيق أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحرُّ من الجمر.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ:"بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ"[1]

وعن أنس أن النبي ﷺ قال:"إِنَّ عَلَى جَهَنَّمَ جِسْرًا أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وأحد مِنَ السَّيْفِ"[2]

وجاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"..... وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِي، فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ"[3]، وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه الطويل الذي فيه يقول النبي ﷺ:"فَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ"[4].

فلما قيل: إن هذا لا يمكن العبور عليه.

أجابوا: أن أمور الآخرة لا تُقاس بأمور الدنيا وأن الله على كل شيءٍ قدير وان الله جعله بهذه الصفة لمشقة العبور منه كمشقة الصراط في الدنيا على النفوس لأن الجنة حُفَّت بالمكاره.

الرأي الثاني: إنه طريق واسع.

أ- اعتماداً على مدلولها اللغوي: فالصراط في الأصل: هو الطريق الواسع المستقيم، فلا يُسمى الطريق صراطاً إلا إذا كان واسعاً مستقيماً.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح٢٦٩).

[2] رواه البيهقي في شعب الإيمان (ح٣٦١) (٥٦٤/١).

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك (ح٨٧٣٩) (٦٢٩/٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (ح٩٤١) (٦١٩/٢).

[4] أخرجه الحاكم في المستدرك (ح٣٤٢٤) (٤٨٠/٢) و (ح٨٧٥١) (٦٣٢/٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

وسُمي صراطاً: لأن الناس يسلكونه بسرعة لكونه واسعاً ومستقيماً، ولهذا كان الصراط الذي يسأل الإنسان ربه هدايته كان مستقيماً قال:ﷻ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦].

ب- استئناساً بما جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ قَالَ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ"[1].

والشاهد في الحديث:

١- (**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ**): وهما بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر ومنه دحضت رجله إذا زلقت ومالت وحجة داحضة أي لا ثبات لها و(**مَزِلَّةٌ**) أي زلق لا تثبت الأقدام فيه[2]، والدحض والمزلة لا يكون إلا بطريق واسع.

٢- **له جنبتان أو حافتان**: كما في حديث أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَةُ الصِّرَاطِ، تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ"[3].

قال ابن الأثير: "أيْ تُسْقِطهم فِيهَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، وتَقَادَع الْقَوْمُ : إِذَا مَاتَ بعضُهم إثْرَ بَعْضٍ"[4]

٣- (**فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ**)

والخطاطيف والكلاليب والحسكة المفلطحة لا يكون إلا بطريق واسع.

الراجح: والراجح هوالقول الأول لـ:

أ- لحديث أبي سعيد الخدري و أنس بن مالك ﷺ السابقين فهذا أمر لا يسع الصحابة فيه الاجتهاد.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح٢٦٩).

[2] انظر: كشف المشكل، ابن الجوزي (١٣٥/٣) فتح الباري: ابن حجر(١١٦/١).

[3] أخرجه الطبراني في الروض الداني،المسمى المعجم الصغير (ح٩٢٩) (١٤٢/٢) تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، وحسنه الشيخ الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة: ابن أبي عاصم (ح٨٣٧) (٤٠٣/٢) وقال الألباني: إسناده حسن أو محتمل للتحسين رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير محمد بن أبان الواسطي وهو صدوق تكلم فيه.

[4] النهاية: ابن الأثير (٢٤/٤).

ب- لا يمتنع وجود الخطاطيف والكلاليب والحسكة على جسر أحد من السيف وأدق من الشعرة فقدرة الله لا تحدها حدود.

ولذا نقول: إن السلف يؤمنون به على أوصافه التي ذكرها النبي ﷺ من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون وأنه زلق وله جنبتان أو حافتان، وللحافتين كلاليب وأنه أدق من الشعرة وأحد من الموسي أو حد السيف، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح.

المطلب الثالث: المرور والعبور على الصراط

أولاً: المرور على الصراط

إذا كان الصراط قد نصب لأجل مرور الأمم عليه، فهل يمر فيه جميعهم؟ أم أن هناك من يستثنى من الخلق فلا يمر عليه ؟

الرأي الأول: المرور على الصراط لجميع الناس لا يستثنى أحد، فيمر الجميع من فوق جهنم فوق الصراط حتى الأنبياء والصديقين فينجي الله تعالى المؤمنين، ويذر الظالمين فيها جثياً قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢]

الرأي الثاني: المرور على الصراط للمؤمنين والعصاة والمنافقين:

فالمؤمنون الصادقون يعبرون بأحوال مختلفة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ"[1]

والعصاة والمنافقون يمرون على الصراط، ويعطون نوراً يمشون به، ثم يُطفئ نورهم ليتساقطوا إلى الدرك الأسفل من النار فتتخطفهم الكلاليب وتلقي بهم في النار كلٌّ حسب عمله ومنزلته التي أعدت له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ [2] هَلْ رَأَيْتُمْ السَّعْدَانَ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح٢٦٩).

[2] السَّعْدَانُ بَقْلٌ لَهُ ثَمَرٌ مُسْتَدِيرٌ مُشَوَّكُ الوَجْهِ إذا وَطِئَهُ الإنْسَانُ عَقَّر رِجْلَهُ.غريب الحديث: ابن الجوزي(١/ ٤٨٠)

شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ أَوْ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ أَوْ الْمُجَازَى"[1]

وعن جابر بن عبد الله ﷺ:"وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ منهم مُنَافِقٍ، أو مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ من شَاءَ الله، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ"[2]، قال ﷻ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]

وأما الكفار و المشركين: فقد أجمع أهل العلم أنهم لا يمرون على الصراط بل يساقون إلى النار مباشرة قبل وضع الصراط فقد سيقوا إلى جهنم وأُلقوا فيه قبل المرور على الصراط والورود الحاصل في الآية قَالَ ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] ورود دخول كما قال تعالى يقدم فرعون قومه يوم القيامة فيقودهم ويمضي بهم إلى النار حتى يوردهم فيها ويصليهم سعيرها قال ﷻ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

قال ابن رجب الحنبلي في كتابه التخويف من النار:"واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط"[3].

واستدلوا بأدلة على ذلك منها حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ أُنَاسًا في زَمَنِ النبي ﷺقالوا يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ ؟ قال النبي ﷺ:"نَعَمْ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (ح٦٨٨٥).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ح٢٧٨).

[3] التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي(ص٢٣٥) تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م

لَيْلَةَ الْبَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ فَقَالُوا عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا فَيُشَارُ أَلَا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَيُقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الْأَوَّلِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنْ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا فَيُقَالُ مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قَالُوا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»[1].

وهذا حديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط؛ فعباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا فترد النار مع معبودها.

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الصراط لا علاقة للكفار في المرور عليه؛ لأنه كما دلت الأحاديث الصحيحة أنهم يدخلون النار قبل نصب الجسر، وأما غيرهم من الناس فيمرون على الصراط فالمؤمنون يمرون وغيرهم لا يكملون عبوره ؛ بل يتساقطون فيه، وتخطفهم كلاليب النار، كل واحد في المكان الذي شاءه الله له، فكل تلك الروايات تفيد أن الكل يمر على الصراط، إلا من غلا في الطغيان كالكفار والمشركين والملحدين

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (ح٤٢١٥).

ثانياً: العبور على الصراط وكيفيته

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون الصادقون والذين يعبرون الصزاط يمرون عليه بأحوال مختلفة بحسب أعمالهم في الدنيا، ولذلك فإن الخلق يتفاوتون في مرورهم عليه اختلافاً عظيماً، قوة وبطئاً، صعوداً وانحداراً، فوزاً وخسارة، ذلك أن السير عليه يكون بطريقة لا مثيل لها في الدنيا، وبمركب لا عهد للناس به، ذلك المركب هو العمل، وعلى كثرته أو قلته يكون السير على الصراط.

تفاوت الناس في العبور على الصراط

من خلال الأحاديث السابقة وغيرها نجد أن عبور الناس على الصراط بأحوال مختلفة بحسب أعمالهم في الدنيا وهي:

- **قسم يمرون كَطَرْفِ الْعَيْنِ:** وهؤلاء أعلى الناس مرتبة وأشرفهم منزلة.
- **وقسم يمرون كَالْبَرْقِ:** وهؤلاء مثل أهل المنزلة السابقة، أهل الأعمال الكثيرة والدرجات العظيمة العالية.
- **وقسم يمرون كَالرِّيحِ:** وهم أقل من السابقين وأكثر ممن بعدهم وهم على خير كثير وفوز عظيم.
- **وقسم يمرون كَالطَّيْرِ.**
- **وقسم يمرون كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ:** وهؤلاء أقل عملاً وفوزاً ممن سبقهم، وهم أول درجات الضعف في المرور على الصراط.
- **وقسم يمرون كَأَجَاوِيدِ الرِّكَابِ.**
- **وقسم يمرون كشد الرجل و يرمل رملا.**
- **ومنهم من يجر يداً و تعلق أخرى و يجر رجلاً و تعلق أخرى و تضرب جوانبه،"فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ"**وهؤلاء يعبرون بعد الجهد والمشقة، ينجون ويتمون العبور على الصراط ؛ لكن بعد أن أصابتهم الخدوش ؛ ورأوا من الأهوال ما توقعوا به السقوط لولا لطف الله بهم.

● **منهم من لا يستطيع السير إلا زحفاً** كما في حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ"..حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا.."[1].

● **وقسم آخر وهم من يسحبون سحباً** وهم آخر الناجين وأضعفهم سيراً، أو يزحفون على الصراط، وربما فيهم من كان في الدنيا يقطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة ؛ بل في لحظات، لكنه هنا، بطل حوله وقوته ؛ فليس له مركب إلا عمله، الذي لم يسعفه في هذا الموقف الخطير كما أسعفته قوته في الدنيا. كما في حديث أبي سعيد الخدري:"حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا"[2]... و حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ"حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا.."[3] نسأل الله السلامة والعافية.

● **وقسم يمرون ولا يتمون المرور؛"وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"**فيكدسون ويسقطون في جهنم، تخطفهم الكلاليب من كل جانب ؛ لأنهم ليس لهم ما يمنعهم منها كما حصل لمن سبقهم.

وهناك أحوال كثيرة في صفة مرورهم عليه، وكلها تدل على أن المرور على الصراط إنما يتم وفق مقدار العمل الصالح الذي قدمه الشخص لنفسه في حياته الدنيا ؛ فهو المركب الوحيد هنا.

المطلب الرابع: أول من يجتاز الصراط وشعار المؤمنين عليه

أولاً: أول من يجتاز الصراط

من علو مكانة النبي ﷺ عند الله تعالى أن يكون هو أول من يجتاز الصراط ومن الأمم، أمة محمد ﷺ لكرامتها عند الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ"[4]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (ح٢٨٨).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (ح٦٨٨٦).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (ح٢٨٨).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (ح٦٨٨٥).

فأول من يجوز من هذه الأمة هو النبي محمدٍ ﷺوأول من يجوز من هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هم فقراء المهاجرين، كما روى ثَوْبَانَ مولى رسول اللَّـهِ ﷺ قال:"..... فقال: الْيَهُودِيُّ أَيْنَ يَكُونُ الناس يوم تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول اللَّـهِ ﷺ:"هُمْ في الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ"قال: فَمَنْ أَوَّلُ الناس إِجَازَةً؟ قال:(فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ..." [1].

"عَنْ عبد الله بن سلام ﷺ: مُحَمَّدٌ ﷺ أَوَّلُ الرُّسُلِ إجازة، ثُمَّ عِيسَى، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ، حَتَّى يكون آخرهم إجازة نوح ﷺ، فإذا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الصِّرَاطِ تَلَقَّتْهُمُ الْخَزَنَةُ، يهدونهم إلى الجنة"[2].

ثانياً: شعار المؤمنين على الصراط

ورد في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ السابق:"وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ"[3]، قال ابن حجر معلقاً على الحديث:"وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ هَذَا الْكَلَامِ شِعَارَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْطِقُوا بِهِ بَلْ تَنْطِقُ بِهِ الرُّسُلُ يَدْعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالسَّلَامَةِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ شِعَارًا لَهُمْ فَبِهَذَا تَجْتَمِعُ الْأَخْبَارُ"[4].

وقال النووي:"قوله ﷺ"وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ"هَذَا مِنْ كَمَالِ شَفَقَتِهِمْ وَرَحْمَتِهِمْ لِلْخَلْقِ وَفِيهِ أَنَّ الدَّعَوَاتِ تَكُونُ بِحَسَبِ الْمَوَاطِنِ فَيُدْعَى فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[5].

يتبين مما سبق أن أول من يجيز الصراط هو محمد ﷺ، ومن الأمم أمته، وأولهم فقراء المهاجرين، وأن شعار المؤمنين يوم القيامة على الصراط"اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ"، وهو كلام الأنبياء يوم القيامة وهو طلب السلامة لأممهم.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة (ح ٤٧٣).

[2] النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير (١١٩/٢).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (ح٦٨٨٥).

[4] فتح الباري: ابن حجر (٤٥٢/١١).

[5] شرح النووي على صحيح مسلم (٢١/٣).

المطلب الخامس: الوقوف على القنطرة

بعد أن يعبر الناس الصراط يقفون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، مظالم كانت بينهم في الدنيا، وهذا القصاص أخص من القصاص العام في عرصات القيامة، وفي هذا القصاص تحصل تنقية القلوب من الغل والحقد والحسد، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ"[1].

لأن أهل الجنة لا يدخلون الجنة حتى تطهر قلوبهم من الغل والحسد فإذا هُذِّبُوا أُذن لهم في دخول الجنة قَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

وقد روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ"إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ"[2]

والقنطرة: اختلف فيها العلماء إلى قولين: قال ابن حجر:"وَاخْتُلِفَ فِي الْقَنْطَرَةِ الْمَذْكُورَةِ فَقِيلَ هِيَ مِنْ تَتِمَّةِ الصِّرَاطِ وَهِيَ طَرَفُهُ الَّذِي يَلِي الْجَنَّةَ وَقِيلَ إِنَّهُمَا صِرَاطَانِ وَبِهَذَا الثَّانِي جَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ"[3].

والرأي الراجح أنها تتمة الصراط وهي طرفه كما رجحه ابن حجر في كتابه الفتح حيث قال:"وَقَوْلُهُ بِقَنْطَرَةٍ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهَا طَرَفُ الصِّرَاطِ مِمَّا يَلِي الْجَنَّةَ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ بَيْنَ الصِّرَاطِ وَالْجَنَّةِ"[4].

---

[1] مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٤٧/٣).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب قول قصاص المظالم (ح٢٢٦٠).

[3] فتح الباري: ابن حجر (٣٩٩/١١).

[4] المصدر السابق (٩٦/٥).

فالقنطرة جسر صغير تتمة الصراط يقف المؤمنون عليه ليقتص بعضهم من بعض قصاصاً غير القصاص الأول، الهدف منه إزالة ما في القلوب من الغل والحسد ثم ينتظروا حتى يستفتح لهم النبي محمدﷺ الجنة فيدخلون الجنة أخوة متحابين كما قال ﷻ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].

المبحث الرابع عشر

الجنة و النار

الإيمان بالجنة والنار من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة العظيمة التي أخبر بها النبي ﷺ ومعنى الإيمان بالجنة والنار؟ هو التصديق الجازم بوجودهما، وأنهما مخلوقتان الآن، وأنهما باقيتان بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تفنيان أبداً.

ويدخل في ذلك كل ما احتوت عليه الجنة من النعيم، وكل ما احتوت عليه النار من العذاب.

ورب سائل يسأل: ما الحكمة من خلق الجنة والنار؟

والجواب: أن لله في ذلك حكماً بالغةً، وعظيمةً، وعلى رأس ذلك تحقيق العدل الإلهي، فليس من عدل الله أن يموت الظالم والمظلوم في الدنيا ولم يأخذ المظلوم حقه، فأنت ترى الآن بعض الظالمين يسرقون، ينهبون يضربون يبطشون يقتلون، يسجنون، ويموت المقهور المظلوم قد أخذ حقه سجيناً مظلوماً، ويموت الظالم وهو في عزة من الدنيا ومنعة وقوة وملك ومال وطغيان، أفهكذا تنتهي المشاهد؟ لا يمكن.

لذلك لا بد من وجود محكمة، لا بد من وجود جزاء، وهذه حكمة عظيمة من وراء خلق الجنة والنار، لا يمكن أن يكون من حكمته تعالى أن يموت الناس وينتهي الوضع هكذا، ويبقى الظالم الآثم الفاجر الذي عاث في الأرض فساداً بلا عقوبة، والمحسن الذي بذل وضحى وتعب وعمل لله ﷻ بلا ثواب ولا إحسان.

المطلب الأول: الجنة والنار مخلوقتان موجودتان باقيتان لا تفنيان أبداً

أولاً: الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

اختلف الناس في وجود الجنة والنار الآن إلى فريقين.

الفريق الأول: أهل السنة والجماعة وقالوا الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، أعدهما الله تعالى للعقاب والثواب، وهما باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان [1].

واستدل أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان بما يلي:

أولاً: الأدلة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن من القرآن

١- قوله ﷻ عن الجنة وعن النار.

أ- عن الجنة: قال ﷻ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣] وقال ﷻ ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحديد: ٢١]

ب- عن النار: قال ﷻ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]وقال ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]وأعد فعل ماضي أي تم أعدادها.

٢- أخبرنا الله تعالى أنه أسكن آدم وزوجه الجنة، قال ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]

٣- وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى(١٥)﴾. [النجم].وقد رأى النبي ﷺ جنة المأوى عند سدرة المنتهى، كما في حديث أنس ﷺ ، وفي آخره:"ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ"[2].

---

[1] انظر: شرح الطحاوية: الحنفي: (ص٤٢٠) الجنة والنار: عمر سليمان الأشقر (ص١٣) دار النفائس، الطبعة السابعة،١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء حديث (ح٣٣٦).

ثانياً: الأدلة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن من السنة

١- جاء في فتنة وعذاب القبر أن المؤمن يري مقعده في الجنة والكافر تعرض عليه النار غدوا وعشيا وهم في قبورهم عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺفَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺفَيَرَاهُمَا جَمِيعًا....."[1].

٢- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ"[2]. فاطلعت ورأيت تدل على المشاهدة الحقيقية لشيء موجود.

٣- أرواح الشهداء تسرح وتمرح في الجنة: عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]قَالَ:"أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا قَالُوا أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا"[3] وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

٤- قال ﷺ:"إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ"[4]، وقال ﷺ:"قَالَ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ"[5].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب يسمع الميت قرع النعال (ح١٢٥٢).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح٣٠٠٢).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (ح٣٥٠٠)

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الصلاة، باب الإبراد بالظهر من شدة الحر (ح٥٠٢).

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح٣٠٢١).

٥- قال ﷺ:"اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ"[1].

الفريق الثاني: المعتزلة والقدرية

أنكرت المعتزلة والقدرية وجود الجنة والنار الآن، وقالت: إنهما غير مخلوقتين في وقتنا بل ينشئهما الله يوم القيامة وإن الله تعالى إذا طوى السموات والأرض ابتدأ خلق الجنة والنار حيث شاء لأنهما دار جزاء بالثواب والعقاب، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، وأنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله ﷻ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] [2].

الجواب: وقد رد أهل السنة والجماعة على المعتزلة والقدرية يقول الحنفي:"إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ"، فَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ، حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَقَاسُوهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِمْ، فَهُمْ مُشَبِّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ، وَدَخَلَ التَّجَهُّمُ فِيهِمْ، فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعَطِّلَةً، وَقَالُوا: خَلْقُ الْجَنَّةِ قَبْلَ الْجَزَاءِ عَبَثٌ، لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُعَطَّلَةً مُدَدًا مُتَطَاوِلَةً، فَرَدُّوا مِنَ النُّصُوصِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعُوهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَضَلَّلُوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ"[3].

وقد رد الحنفي علي أدلتهم التي استدلوا بها على مذهبهم بقوله:

أولا: وَأَمَّا احْتِجَاجُكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨]، فأثبتم سُوءِ فَهْمِكُمْ مَعْنَى الْآيَةِ، وَاحْتِجَاجُكُمْ بِهَا عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ، نَظِيرُ احْتِجَاجِ إخوانكم بها عَلَى فَنَائِهِمَا وَخَرَابِهِمَا وَمَوْتِ أَهْلِهِمَا!! فَلَمْ تُوَفَّقُوا أَنْتُمْ وَلَا إِخْوَانُكُمْ لِفَهْمِ مَعْنَى

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح٣٠٢٠).

[2] انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦ / ٢٠٧) الجنة والنار: الأشقر(ص١٣).

[3] شرح الطحاوية: الحنفي(ص٤٢٠).

الْآيَـةِ، وَإِنَّمَـا وُفِّقَ لِذَلِكَ أَئِمَّـةُ الإِسْلَامِ، فَمِنْ كَلَامِهِمْ: أَنَّ الْمُرَادَ"كُلُّ شَـيْءٍ"مِمَّا كَتَـبَ اللَّهُ عَلَيْـهِ الْفَنَـاءَ وَالْهَـلَاكَ"هَالِكٌ"، وَالْجَنَّـةُ وَالنَّـارُ خُلِقَتَـا لِلْبَقَـاءِ لَا لِلْفَنَـاءِ، وَكَذَلِكَ الْعَرْشُ، فَإِنَّـهُ سَقْفُ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ إِلَّا مُلْكَهُ، وَقِيلَ: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ"[1]

ثانياً: "أما احتجاجهم بقوله ﷻ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحمن: ٢٦]: فقال:"إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى أنزل﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحمن: ٢٦]: فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ، فَقَالَ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، لِأَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَأَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ. وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ تَوْفِيقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَـةِ، الدَّالَّـةِ عَلَى بَقَاءِ الْجَنَّـةِ، وَعَلَى بَقَاءِ النَّارِ أَيْضًا" [2].

ثانياً:"الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ" [3]

للناس في بقاء الجنة والنار أقوال:

القول الأول: الجنة والنار لا تفنيان أبدا ولا تبيدان وهذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، واستدلوا بما يلي:

أولاً: الأدلة على أن الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ من القرآن

❖ قوله ﷻ في الجنة وأهلها أنهم خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا والأبد يعني عدم الفناء:

قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]

وقال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]

---

(1) المصدر السابق (ص٤٢٤).

(2) المصدر السابق(ص٤٢٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١٦٥/١٧).

(3) شرح الطحاوية: الحنفي(ص٤٢٠).

وقال ﷻ: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]

وقال ﷻ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٢]

وقال ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وقال ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وغيرها من الآيات، فأخبر تعالى بأبديتها وأبدية حياة أهلها، وعدم انقطاعها عنهم وعدم خروجهم منها.

❖قوله ﷻ في النار وأهلها:

قال ﷻ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٦٨]

وقال ﷻ: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٩]

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا(٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(٦٥)﴾. [الأحزاب].

وغير ذلك من الآيات، التي أخبر فيها تعالى أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها، وأنهم خالدون فيها أبدا، فنفى تعالى خروجهم منها بقوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ونفى انقطاعها عنهم بقوله ﷻ: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، ونفى فناءهم فيها بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ [طه: ٧٤]

ثانياً: الأدلة على أنَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ من السنة

قال ﷺ في خلود أهل النار:"أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ"[1]. وقال ﷺ:"إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ"[2].

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله: وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما فذواتهما قابلة للفناء.

القول الثاني: قال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، فرأى جهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي، يمنعه في المستقبل، فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع، كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي، وهذا أصل فاسد اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث.

وافقه على هذا الأصل أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا في سكون دائم، لا يقدر أحد منهم على حركة.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار(ح٢٧١).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار (ح٦٠٦٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون (ح٥٠٨٩).

المطلب الثاني: النار

النَّار لغةً:"أُنثَى وتكسيرها نِيرانٌ ونُورٌ ونِيَرةٌ وأَنْوُرٌ منقلبة وَأنْشد الْفَارِسِي .
فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنهُم وأُطْفِئَتْ... مَصابيحُ مِنْهُم بالعِشَاءِ وأَنْوُرُ"[1].

النـار اصـطلاحاً:"هـي الـدار التـي أعـدها الله تعـالى لأعدائـه، وفيهـا مـن أنـواع العـذاب والعقاب ما لا يطاق"[2].

أولاً: صفات النار:

أ- : أسماء النار[3]

للنـار أسماء كثيرة كما سماها الله بحسب ما فيها من ألوان العذاب كلها تدل على أوصافها فالنار واحدة في الذات، متعددة في الصفات، وهذه أشهر أسمائها:

١. النار: كما قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]

٢. **الجحيم**: قالﷻ: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١]"الجحيم: النَّار الشَّدِيدَة التأجج وَقَالَ: الزّجاج: الْجَحِيم كل نَار بَعْضهَا فَوق بعض"[4].

٣. الْهَاوِيَةُ: قالﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ..﴾ [القارعة: ٨-٩]. وهـي المكان المنخفض كثيراً الذي لا يرجع من يسقط فيه. قال الجوهري"هَاوِيَةُ: اسمٌ من أسماء النار، وهـي معرفـة بغير ألـفٍ ولامٍ، قال تعالى: (فَأُمُّـهُ هَاوِيَـةٌ) يقول: مُسْتَقَرُّهُ النـار، والهاوِيَـةُ: المَهْواةُ"[5]

---

[1] المخصص: ابن سيده (١٣٢/٥).

[2] مجموع فتاوى ورسائل: ابن العثيمين (٨ /٥٣٢).

[3] انظر: غريب الحديث: الحربي (٣٨٩/٢) اللطائف في اللغة: معجم أسماء الأشياء: أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي(ص٦٣) دار الفضيلة، القاهرة.

[4] المحكم والمحيط الأعظم: بن سيده المرسي (٩٦/٣).

[5] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(٦ /٢٥٣٩) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٤. **السعير**: قال ﷻ: ﴿وَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

٥. **لظى**: قال ﷻ: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى. نَزَّاعَةً لِلشَّوَى. تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى. وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١٥-١٨].

٦. **سقر**: قال ﷻ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ. لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ. عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر٢٦-٣٠]، فهي لا تبقى على ما يطرح فيها بل تحرقه، ولا تتركه يخرج منها، وأنها تسود الجسم وتشوهه.

٧. **الحطمة**: قال ﷻ: ﴿كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ. إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ. فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة/ ٤-٩]. أي كثيرة التحطيم والتكسير لما يلقى فيها، "قَالَ الزّجاج: الحُطَمَةُ اسْم من أسمَاء النَّار، وكل ذَلِك من الحَطْمِ الَّذِي هُوَ الْكسر والدق"[1].

٨. **دار البوار**: كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ(٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ(٢٩)﴾. [إبراهيم].

٩. **جهنم**: قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] وقال ﷻ: ﴿...إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا(١٤٠)﴾[النساء].

ب- مكان النار

اختلف العلماء في تحديد موقع النار إلى أقوال [2]

١- النار في الأرض السفلى: قال ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ(٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ(٨)﴾. [المطّففين]. يقول القرطبي في تفسير الآية "كَلَّا أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، أَنَّهُمْ غَيْرُ مَبْعُوثِينَ وَلَا مُعَذَّبِينَ، إِنَّ كِتَابَهُمُ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي

---

[1] المحكم والمحيط الأعظم: بن سيده المرسي (٢٤٩/٣) لسان العرب: ابن منظور(١٣٨/١٢).

[2] لمزيد من التفاصيل انظر: التخويف من النار: ابن رجب الحنبلي (ص٦٢).

كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] وَهِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَى"[1] وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ(٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٥)﴾.[التين]. عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "النَّارُ" [2]

وروي عن رسول الله ﷺ قوله: "فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: "اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا". ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]"[3]

وفي الحديث "وأَمَّا الكَافِرُ فَإِذَا قُبِضتْ نَفسُهُ، وذُهِبَ بهَا إلى بَابِ الأرْضِ، يَقولُ خَزنَةُ الأَرْضِ: مَا وَجَدْنا رِيحاً أنتنَ منْ هذهِ، فتبلغُ بهَا إلى الأَرْضِ السُّفلَى"[4]. فالنار تحت الأرض السابعة.. قد جمعت بين الضيق والسفول.

٢-**النار في السماء:** قيل أن النار في السماء كالجنة واستشهد هذا الفريق بحديث عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ فَلَمْ نُزَايِلْ ظَهْرَهُ أَنَا وَجِبْرِيلُ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَفُتِحَتْ لَنَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ"[5].

يقول السفاريني: "وَلَيْسَ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّ النَّارَ فِي السَّمَاءِ لِجَوَازِ أَنْ يَرَاهَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ، وَهَذَا الْمَيِّتُ يَرَى وَهُوَ فِي قَبْرِهِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَيْسَتِ الْجَنَّةُ فِي الْأَرْضِ، وَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ رَآهُمَا وَهُوَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ" ثم قال "وَالْحَاصِلُ

---

[1] جامع البيان: الطبري (٢٤/١٩٣).

[2] انظر: المصدر السابق (٢٤/٥١٥).

[3] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند الكوفيين، حديث البراء ابن عازب (ح١٨٥٥٧) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

[4] أخرجه ابن حبان في الإحسان (ح٣٠١٣) (٧/٢٨٣) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[5] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ حديث حذيفة بن اليمان (ح٢٢٢٣٤) قال الأرنؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٨٧٤) (٢/٥٣٠).

أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ، وَأَنَّ النَّارَ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ عَلَى الصَّحِيحِ الْمُعْتَمَدِ"[1].

٣- **النار هي البحر:** أخرج الطبري عن سعيد بن المسيب قال عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ: أَيْنَ جَهَنَّمُ؟ فَقَالَ: الْبَحْرُ، فَقَالَ: مَا أُرَاهُ إِلَّا صَادِقًا قال ﷺ ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطُّور: ٦]"[2].

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ:"قِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ﴿سُجِّرَتْ﴾ أُوقِدَتْ، يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ جَهَنَّمُ فِي قُعُورٍ مِنَ الْبِحَارِ، فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ مَسْجُورَةٍ لِقِوَامِ الدُّنْيَا، فَإِذَا انْقَضَتِ الدُّنْيَا سُجِّرَتْ، فَصَارَتْ كُلُّهَا نَارًا يُدْخِلُهَا اللَّهُ أَهْلَهَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارٌ، ثُمَّ يُوقِدُ اللَّهُ الْبَحْرَ كُلَّهُ فَيَصِيرُ نَارًا. وَفِي الْخَبَرِ:"الْبَحْرُ نَارٌ في نار"[3]"[4].

٤- **التوقف في تعيين مكانها:** وقد توقف على تعينها مجموعة من العلماء كالحافظ السيوطي وولي الله الدهلوي في عقيدته وصديق خان في كتابه حيث قال الدكتور عمر سليمان الأشقر بعد إيراده مذاهب العلماء"وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها أن شاء الله تعالى"[5].

ت- وقود النار

وقال ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ(٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ(٩٩) ﴾[الأنبياء]. يعني الآلهة ومن يعبدها ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾أي: وقود جهنم و شجرها، أي العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون.

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم: ٦]

---

[1] لوامع الأنوار: السفاريني (٢/٢٣٩).

[2] جامع البيان: الطبري(٢٤/١٣٨) (٢١/٥٦٧).

[3] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي (٣ / ٢٦٤) (٩/١٢٥).

[4] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(١٩/٢٣٠).

[5] الجنة والنار: الأشقر (ص٢١) نقلاً عن يقظة أولي الاعتبار لصديق خان(ص٤٧).

ث- قوة حرارة النار

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]

فنار الدنيا حرها شديد، فهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم كما قالﷻ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال النبي ﷺ:"نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"[1] وعن الحسن قال: كان عمر يقول:"أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد"[2]

ج- قعر النار

لو أن حجرا ألقي في جهنم لهوي بها سبعين سنة لا يصل إلى قعرها كما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ"تَدْرُونَ مَا هَذَا قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا"[3].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا"[4].

ح- ظل النار

أهل النار في سموم وحميم.. وظل شديد الحرارة.. ومن فوقهم ظلل من النار.. ومن تحتهم ظلل.. فظل نار جهنم لا ظليل ولا يغني من اللهب، قال ﷻ ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ(٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ(٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ(٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ(٤٤)

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ح٣٠٢٥).

[2] التفسير الحديث: محمد عزت دروزة (٤١٩/١) دار الغرب الإسلامي، دمشق، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٣٨٣هـ.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب شدة حر نار جهنم وبعد قعرها (ح٥٠٧٨).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (ح٢٨٨).

﴾. [الواقعة]. قال القرطبي"أَيْ يَفْزَعُونَ مِنَ السَّمُومِ إِلَى الظِّلِّ كَمَا يَفْزَعُ أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَجِدُونَهُ ظِلًّا مِنْ يَحْمُومٍ، أَيْ مِنْ دُخَانٍ جَهَنَّمَ أَسْوَدَ شَدِيدِ السَّوَادِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِمَا. وَكَذَلِكَ الْيَحْمُومُ فِي اللُّغَةِ: الشَّدِيدُ السَّوَادُ"[1]وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْيَحْمُومُ جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ يَسْتَغِيثُ إلى ظله أهل النار"[2].

وقال ﷻ: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزُّمر: ١٦]لهم من فوقهم ظلل أطباق من النار ومن تحتهم ظلل أطباق من النار أي النار محيطة بهم من كل جانب.

وقال ﷻ: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ(٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللهَبِ(٣١) ﴾. [المرسلات]."تَقُولُ لَهُمْ ذَلِكَ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، أَيْ: سِيرُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ أَيْ: إِلَى ظِلٍّ مِنْ دُخَانِ جَهَنَّمَ قَدْ سَطَعَ، ثُمَّ افْتَرَقَ ثَلَاثَ فِرَقٍ تَكُونُونَ فِيهِ حَتَّى يَفْرُغَ الْحِسَابُ، وَهَذَا شَأْنُ الدُّخَانِ الْعَظِيمِ إِذَا ارْتَفَعَ تَشَعَّبَ شُعَبًا... وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالظِّلِّ هُنَا هُوَ السُّرَادِقُ، وَهُوَ لِسَانٌ مِنَ النَّارِ يُحِيطُ بِهِمْ. ثُمَّ يَتَشَعَّبُ ثَلَاثَ شُعَبٍ فَيُظِلُّهُمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِهِمْ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ"[3].

خ- أبواب النار

قال ﷻ: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦]
وقال ﷻ: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمر: ٧٢]
وقال ﷻ: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩]، كل أهل عمل يدخلون من الباب اللائق بعملهم.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(٢١٣/١٧).

[2] المصدر السابق(٢١٣/١٧).

[3] فتح القدير: الشوكاني (٥ /٤٣٣).

١. عدد أبواب النار

أما عدد أبواب النار فهي سبعة وكل باب أسفل من الآخر، ولكل باب من أبواب النار السبعة نصيباً معيناً من الناس يدخلونه، كلٌ بحسب عمله كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ(٤٤)﴾. [الحجر].

ومعنى"جزء مقسوم"يعني معينٌ متميزٌ عن غيره، قال السعدي:"كل باب أسفل من الآخر، لكل بابٍ منهم أي من أتباع إبليس جزء مقسوم، أي بحسب أعمالهم"[١].

روي الطبري في تفسير الآية عن"عَنْ عِكْرِمَةَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر٤٤]قَالَ:"لَهَا سَبْعَةُ أَطْبَاقٍ"وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ:"أَوَّلُهَا جَهَنَّمُ، ثُمَّ لَظَى، ثُمَّ الْحُطَمَةُ، ثُمَّ السَّعِيرُ، ثُمَّ سَقَرُ، ثُمَّ الْجَحِيمُ، ثُمَّ الْهَاوِيَةُ وَالْجَحِيمُ فِيهَا أَبُو جَهْلٍ"وعَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ:"وَهِيَ وَاللَّهِ مَنَازِلُ بِأَعْمَالِهِمْ"[٢]

وعَنِ الضَّحَّاكِ قال": ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ قال: باب لليهود، وَبَابٌ لِلنَّصَارَى، وَبَابٌ لِلصَّابِئِينَ، وَبَابٌ لِلْمَجُوسِ، وَبَابٌ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا، وَهُمْ كُفَّارُ الْعَرَبِ، وَبَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ، وَبَابٌ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَأَهْلُ التَّوْحِيدِ يُرجى لَهُمْ وَلَا يُرجى لِأُولَئِكَ أَبَدًا"[٣]، وجاء في صحيح ابن حبان أن النبي ﷺ قال:"وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ"[٤]وليس المقصود بالأفضلية أنها فاضلة من الفضل، ولكن أن بعضها أقل عذاباً من بعض، فالكل فظيع.

وصح عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ:"أَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعَةٌ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَمْتَلِئُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ، ثُمَّ تَمْتَلِئُ كُلُّهَا"[٥].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص٤٣١).

[٢] جامع البيان: الطبري (٧٤/١٤-٧٥).

[٣] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٤ /٥٣٧).

[٤] أخرجه ابن حبان في الإحسان (ح٤٦٦٣) (٥١٩/١٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح.

[٥] رواه الطبري في جامع البيان (٧٤/١٤) والهندي في كنز العمال (ح٣٩٧٨٧) (١٤ /٦٥٧).

٢.أبواب النار مغلقة على أهلها

فمع الحرارة البليغة في النار.. أهلها محبوسون فيها.. قد يئسوا من الخروج منها، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ(٥) نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ(٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ(٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ(٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ(٩)﴾. [الهمزة]. عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ أَيْ:"مُطْبَقَةٌ"[1] و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ:"عَلَيْهِمْ مُغْلَقَةٌ"[2].

وقال ﷻ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

وقال ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(٢٠)﴾. [السجدة].

قال الشوكاني"أَيْ: إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْهَا رُدُّوا إِلَيْهَا راغمين مكرهين، وقيل: إذا دَفَعَهُمُ اللَّهَبُ إِلَى أَعْلَاهَا رُدُّوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠] وَالْقَائِلُ لَهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ: هُوَ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوِ الْقَائِلُ لَهُمْ: هُوَ اللَّهُ ﷻ، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ لَهُمْ حَالَ كَوْنِهِمْ قَدْ صَارُوا فِي النَّارِ مِنَ الْإِغَاظَةِ لَهُمْ مَا لَا يَخْفَى"[3].

د- دركات النار

الجنة درجات بعضها فوق بعض والنار دركات سبع بعضها أسفل من بعض والمنافق في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنهم من أذى المؤمنين. وأعلى الدركات جهنم والمنافقون في الطبق الأسفل من أطباق جهنم، وكل طبق من أطباق جهنم: درك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾. [النساء].

---

[1] جامع البيان: الطبري (٢٤/٤٤٣).

[2] المصدر السابق (٢٤/٦٣٢).

[3] فتح القدير: الشوكاني (٤/٢٩٣).

وعَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ "نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ"[1]

ثانياً: خزنة النار وزبانيتها:

الزبانية هم ملائكة كرام يستقبلون الكفار بالشدة والقسوة، فبعد أن تفتح الأبواب يسأل الخزنة أهل النار عن سبب ورودهم إليها، وهم على الأبواب ينتظرون أن يقذف بهم فيها، فيعترفون أنهم كانوا في الدنيا معرضين مجرمين كافرين.

وهؤلاء الزبانية الكرام لهم صفاتٌ تقشعر لها الأبدان فهم يمتازون بالغلظة والشدة، لا يعرفون الرحمة قط لمن عصى الله ﷻ، وقد خلقوا لعذاب هؤلاء. قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم: ٦]. قال المفسرون: غلاظٌ يعني طباعهم غليظة، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة بالكافرين، شدادٌ أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، وقيل: غلاظ الأقوال، شداد الأفعال، وقيل: غلاظٌ في أخذهم أهل النار شدادٌ عليهم، يقال: فلان شديد على فلان إذا قوي عليه يعذبه بأنواع العذاب، وقيل: الغلاظ في أجسادهم الشداد في قوتهم [2]

فالزبانية لا يرحمون إذا استرحموا، يسوقون الناس إلى النار، أفواجاً وجماعات وأمماً وبعد ما يعانوا من زمهريرها وحرها يصيحون ينادون خزنة النار بالتخفيف عنهم قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩] ولكن يأتي الجواب من الله ﷻ ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] أي امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء{ وَلَا تُكَلِّمُونِ } أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي، فلا يزيدهم الرد إلا نكالاً، ويقطع لهم بالمكوث الدائم في دار البوار.

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كنية المشرك (ح٥٧٤٠) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب (ح٣٠٨).

[2] انظر: فتح القدير: الشوكاني (٣٠٢/٥).

فهؤلاء الزبانية الشداد أعدهم الله خصيصاً لعذاب أهل النار، يضربونهم بالمطارق، يعذبونهم، على أيديهم التعذيب، فإن جهنم بدون زبانية كافية في العذاب، لو أطبق عليهم فيها من غير أحد يقوم بعمليات التعذيب، فإنها وحدها تنور عظيم جداً كافي في العذاب، فكيف إذا كانت هناك ملائكة مخصصة لتجريعهم العذاب.

١. كم عدد زبانية جهنم؟

عددهم كثيرٌ لا يحصيه إلا الله ﷻ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا"[1]

أما العدد الوارد في قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(٣٠)﴾. [المدّثر] قال الشوكاني:"يَقُولُ: عَلَى النَّارِ تِسْعَةَ عَشَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُمْ خَزَنَتُهَا، وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشَرَ صِنْفًا مِنْ أَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ، وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشَرَ صَفًّا مِنْ صُفُوفِهِمْ، وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشَرَ نَقِيبًا، مَعَ كُلِّ نَقِيبٍ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى"[2].

عندما سمع المشركون أنهم تسعة عشر فقط فتنوا، وقالوا: كل مجموعة يتكفلون بواحد استهزاءً وسخرية، فجعل الله العدد فتنة لهؤلاء الكفرة قال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدّثر: ٣١] لأن أبا جَهْلٍ قَالَ:"أَمَا لِمُحَمَّدٍ مِنَ الْأَعْوَانِ إِلَّا تِسْعَةَ عَشَرَ يُخَوِّفُكُمْ مُحَمَّدٌ بِتِسْعَةَ عَشَرَ وَأَنْتُمُ الدَّهْمُ – العدد الكثير– أَفَيَعْجِزُ كُلُّ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَنْ يَبْطِشُوا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ أَبُو الْأَشَدِّ[3]، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُمَحَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَأَنَا أَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَأَدْفَعُ عَشَرَةً

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْجَنَّةِ، بَاب فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ (ح٥٠٧٦).

[2] فتح القدير: الشوكاني (٣٩٤/٥).

[3] أَبُو الْأَشَدِّ: أَسَيْدُ بْنُ كَلَدَةَ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ، معالم التنزيل: البغوي (١٧٨/٥).

بِمَنْكِبِي الْأَيْمَنِ وَتِسْعَةٌ بِمَنْكِبِي الْأَيْسَرِ وَنَمْضِي نَدْخُلُ الْجَنَّةَ"[1] فالعدد فتنة للكفار بلا شك، ولكنه كافٍ جداً لتعذيبهم في النار.

٢. **كبير الخزنة:**

كبير الخزنة هو مالك عليه السلام كما قال ﷻ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزُّخرف: ٧٧]، وفي السنة عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَالَ فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا قُلْنَا لَا قَالَ لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وذكر الحديث وفيه: "وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنْ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا" في نهاية الحديث النبي ﷺ لما سأل من هذا ومن هذا ذكر له أن" الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ"[2].

ثالثاً: أهل النار

١- صفات أجسام أهل النار

يكون جسد الكافر يوم القيامة بحسب ما صدر منه من كفر وأعمال سيئة في الدنيا وبحسب ما أفسد وأضل من الناس فضرسه مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث ليال، وما بين منكبيه مسير ثلاثة أيام ومقعده من النار ما بين المدينة والربذة ووجهه أسود مظلم كالح ذليل.

أ- **صفة منكبيه:** ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ"[3]

---

[1] فتح القدير: الشوكاني (٥/٣٩٦).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْجَنَائِزِ، بَاب مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ (ح١٢٩٧).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الجنة والنار (ح٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (ح٥٠٩١).

ب- **صفة ضرسه أو نابه:** ضرسه مثل جبل أحد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ"ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ."[1] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ"[2].

ج- **صفة جلده:** هناك روايات متعددة في تحديد غلظ جلد الكافر منها:

١- **غلظ جلده مسيرة ثلاث:** قَالَ ﷺ"وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ"[3]

٢- **غلظ جلده سبعون ذراعا:** قَالَ ﷺ:"وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا"[4].

٣- **غلظ جلده اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا:** قَالَﷺ:"إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا"[5].

وتغير جلد الكافر نابع من تغير دركاته في النار وعلى قدر معاصيه فيكبر الكافر ويعظم جسده زيادة في العذاب.

د- **صفة فَخِذُهُ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَﷺ : ... وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانٍ [6]"[7] و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَﷺ "وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ [8]"[9].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (ح٥٠٩٠).

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار (ح٢٥٠١) قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: صحيح.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (ح٥٠٩٠).

[4] أخرجه الحاكم في المستدرك (ح٨٧٥٩) (٤/٦٣٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

[5] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار (ح٢٥٠٠) قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[6] وَرِقَان: جَبَلٌ أَسْوَدُ بَيْن العَرْج والرُّوَيْثَة على يَمين المَارّ من المدينة إلى مَكَّة. النهاية: ابن الأثير(٥/١٧٦).

[7] أخرجه الحاكم في المستدرك (ح٨٧٥٩) (٤/٦٣٧) و(ح٨٧٦١) (٤/٦٣٨). (ح٨٧٧١) (٤ /٦٤٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

[8] مِثل البَيْضَاء: قيل هو اسم جَبَل، النهاية: ابن الأثير (١/١٧٣)

[9] سبق تخريجه في نفس الصفحة.

هـ- صفة مَقْعَدُهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ ﷺ: وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبَذَةِ (١)"(٢)، و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ: ﷺ"وَمَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ مِثْلُ الرَّبَذَةِ: (٣) و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ ﷺ "وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ"(٤).

و- صفة وجوه أهل النار: وجوه أهل النار يوم القيامة سوداء مظلمة باسرة كالحة ذليلة مغبرة عليها قترة. قال ﷻ: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ(٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ(٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ(٤٢) ﴾. [عبس]. أي يغشاها ويعلوها سواد ركسوف وقيل ذلة وقيل شدة. (٥)وقال ﷻ: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ(٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ(٢٥) ﴾. [القيامة].

وقال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠]وقال ﷻ:﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٤]

٢- تغيظ واشتداد النار على أهلها يوم القيامة

إذا رأت النار أهلها يوم القيامة اشتد سعيرها واشتد زفيرها وتغيظت على أهلها وغضبت عليهم؛ لغضب خالقها وزاد لهيبها وحرارتها بحسب زيادة كفر أهلها وشرهم.قال ﷻ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا(١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا(١٢) ﴾. [الفرقان]. وإذا ألقي أهل النار فيها سمعوا لها صوتاً عالياً فظيعاً من شدة غيظها على الكفار، فما الظن بما تفعل بهم إذا دخلوا في جوفها؟ قال ﷻ ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ(٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ(٨) ﴾. [الملك].

---

(١) الرَّبَذَة بالتحريك أيضا: قَرْية معروفة قُرْب المدينة بها قَبْر أبي ذَرّ الغِفاري، النهاية: ابن الأثير (٢/١٨٣)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (ح٨٧٥٩) (ج٤ ص٦٣٧) قال: هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٥) انظر: فتح القدير: الشوكاني (٥ /٤٦٧).

إذن هنالك أصواتٌ تصدرها النار قبل الدخول، وأصواتٌ داخل النار بعد أن يلقوا فيها فالشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف، يخرج بشدة [وَهِيَ تَفُورُ] تغلي بهم كغلي القدور، [تَمَيَّزُ] يعني تتقطع وتتفرق من شدة الغيظ عليهم غضباً من الله وانتقاماً، فتتلقاهم بشهيق وهي تفور تكاد تنفجر من الحقد عليهم.

٣. النار لا تشبع مما يلقى فيها وتطلب المزيد

يؤتي بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حيث أراد الله، وحيث شاء الله، وحيث قدر، يؤتي بها تتغيظ، يؤتي بها تتلظي، يؤتي بها تتقطع من الغيظ علي العصاة والمشركين، تأتي وهي تنطق بمنطق الأكول الشره تقول لربنا ﷻ ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

فالنار لا تشبع مما يلقى فيها فهي دائماً تطلب المزيد من المجرمين العاصين غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين، كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ"[1].

٤. كيفية دخول أهل النار للنار:

قال ﷻ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ(٧٢) ﴾. [الزُّمر].

يساق أهل النار إلى النار سوقاً عنيفاً غليظاً ويضربون بالسياط من قِبَل الزبانية الغلاظ الشداد إلى شر مكان وأفظع موضع وهي جهنم التي جمعت كل عذاب وشقاء

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله وهو العزيز الحكيم (ح٦٨٣٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (ح٥٠٨٥).

وألم، ويُدفع أهل النار إليها دفعاً ويساقون إليها سوقاً عنيفاً لامتناعهم من دخولها قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا(١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ(١٤) ﴾. [الطور].

كما وتساق كل زمرة مع زمرتها التي تناسب عملها وتشاكل سعيها فيلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض كما قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وأهل النار يدخلونها من مكان ضيق مقرنين في السلاسل والأغلال قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾. [الفرقان:١٣].

ويسلسل كل أهل عمل من المجرمين بسلاسل من نار فيقادون إلى العذاب في أذل صورة وأشنعها وأبشعها كما قال ﷻ: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ(٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ(٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(٥١) ﴾. [إبراهيم].

تسحبهم ملائكة العذاب على وجوههم قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٨]وتحشرهم في النار على وجوههم قال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٤].

٥. كثرة أهلها

من يدخل النار أكثر ممن يدخل الجنة قال ﷻ: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠]

وقد جاءت نصوص كثيرة تدل أنه يدخل النار من بني آدم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف وواحد فقط في الجنة، كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ

النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ قَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ"[1].

ومما يدلل على كثرة أهل النار أن النبي يوم القيامة يأتي وليس معه أحد والنبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط وهم دون العشرة، عن ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ قال: خرج علينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يوما فقال"عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمْ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ" [2].

● **أكثر أهل النار**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ"أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ"[3]

فالحديث يبين أنَّ أكثَرَ أهل النار من النساء، و لكن ليس كلّ النساء، بل أولئك اللاتي يَكفُرن (أي يجحَدنَ حقَّ) العشير (أي الزوج)، أما المؤمنات القانتات الصالحات فهنّ ممّن لا خوفٌ عليهم و لا هُم يحزنون، و قد جاءت أحاديث كثيرة تُبشّرهُنَّ بحُسنِ الجزاء، منها قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ"[4]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب أحاديث الأنبياء، بَاب قصة يأجوج ومأجوج (ح٣٠٩٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الإيمان، بَاب قوله يقول الله لآدم اخرج بعث النار (ح٣٢٧).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الطب، بَاب مَن إكتوى أو كوى غيره (ح٥٢٧٠).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الإيمان، بَاب كفران العشير (ح٢٨).

[4] أخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث عبد الرحمن بن عوف (ح١٥٧٣) قال الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب(ح١٩٣٢) (٢/١٩٦).

٦- أول من تسعر بهم النار

أول من تسعر بهم النار من عصاة المؤمنين ثلاثة أنواع، وهم المراؤون بأعمالهم كالمقاتل في الجهاد، والعالم، والمنفق.. فهؤلاء لما كانت أعمالهم غير خالصة لله كانوا أول من تسعر بهم النار والأولية هنا نسبية، أما الأولية المطلقة أول من يدخل النار مطلقاً هم الكفار اليهود والنصارى والمشركون.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[(١)]

٧- استغاثة أهل النار

إذا دخل أهل النار النار وأصابهم العذاب الشديد والأغلال والسلاسل و المقامع استغاثوا ونادوا لعلهم يجدون من يغيثهم ويجيبهم فينادون تارة على أهل الجنة وتارة على خزنة النار وتارة على مالكٍ خازن النار وتارة على ربهم فلا يجابون إلا بما يزيد حسرتهم ثم يفقدون الأمل في الخروج منها ويأخذون في الزفير والشهيق.

أ- **المناداة على أهل الجنة:** قال ﷻ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]

ب- **المناداة على خزنة جهنم:** قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (ح٣٥٢٧).

يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ(٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ(٥٠) ﴾. [غافر].

ت- **المناداة على خازن النار(مالك)**: قال ﷻ: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(٧٨) ﴾. [الزُّخرف].

ث- **المناداة على ربهم ﷻ**: قال ﷻ: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ(١٠٧) ﴾. [المؤمنون]. يأتي الجواب من الله قال ﷻ: ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ويكون هذا آخر جواب لهم، فإذا فقدوا الأمل من الخروج من النار وأيسوا من أي خير أخذوا في الزفير والشهيق كما قال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ(١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(١٠٧) ﴾. [هود].

ويزداد الأمر سوءاً حينما يقطعون الأمل بالموت، لأن عندهم أمل أن يموتوا، وينتهي العذاب بالفناء، لكن لما يذبح الموت بين الجنة والنار ماذا سيحدث؟

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩]" (١)

٨- تخاصم أهل النار ودعاء بعضهم على بعض

يخاصم أهل النار بعضهم بعضاً، ويحاج بعضهم بعضاً على اختلاف طبقاتهم، وذلك حينما يَرَوْن ما أعد الله لهم من العذاب ويعاينون الأهوال فيمقتون أنفسهم ويمقتون أحبابهم وخلانهم في الدنيا وتنقلب كل محبة بينهم في الدنيا إلى عداوة، وعند ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب تفسير القرآن، بَاب قوله ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ (ح٤٣٦١).

١. تخاصم الكافر وقرينه الشيطان: قال ﷻ: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ(٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ(٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ(٢٩) ﴾. [ق].

٢. مخاصمة العابدين لمعبوديهم: قال ﷻ: ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ(٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ(٩٩) ﴾. [الشعراء].

٣. مخاصمة المتبوعين لأتباعهم قال ﷻ: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ(٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ(٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ(٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ(٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ(٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ(٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ(٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ(٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٣) ﴾. [الصَّفات].

٤. مخاصمة الضعفاء للكبراء: قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ(٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ(٤٨) ﴾. [غافر].

٥. تخاصم الإنسان مع جوارحه: قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢١) ﴾. [فصِّلت].

٦. دعاء أهل النار على من أضلهم: قال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا(٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا(٦٨) ﴾. [الأحزاب].

وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصّلت: ٢٩]

وقال ﷻ: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ(٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ(٣٩) ﴾. [الأعراف].

وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

رابعاً: أنواع العذاب في النار

العذاب في النار نوعان: عذاب حسي على الأبدان بالنار والإحراق، وعذاب معنوي على الأرواح بالإهانة والصغار، وحجابهم عن رؤية ربهم، والعذاب في جهنم أنواع ودرجات، وشدته وخفته بحسب الكفر والذنوب، فهناك عذاب على ظاهر الجسد، وهناك عذاب على باطن الجسد، وهناك عذاب على الأعضاء والجوارح، وهناك عذاب تملأ الأحشاء فيه جحيماً وناراً، وهناك عذاب الإهانة والصغار وهو أشد وأعظم، وهناك عذاب كعذاب الكفار، وهناك عذاب منقطع كعذاب عصاة الموحدين، وهناك عذاب شديد وهناك عذاب خفيف، وليس في النار خفيف ولكنه عذاب دون عذاب، قال ﷻ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]

١- أشد وأهون عذاب أهل النار

أ- أشد عذاب أهل النار

أشد أهل النار عذاباً إبليس، وهو أول من يكسى حلة من النار؛ لأنه إمام كل كفر وشرك وشر، فما عصي الله إلا على يديه وبسببه، ثم الأخبث فالأخبث من نوابه في الأرض ودعاته، كفرعون وهامان وقارون وأمثالهما.

قال ﷻ: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ(٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ(٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ(٢٦) ﴾. [ق].

وقال ﷻ: ﴿ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ(٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(٤٦) ﴾. [غافر].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥]

وقال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل: ٨٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "خْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ فَيَقُولُ إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكُلِّ مَنْ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَالْمُصَوِّرِين"[1].

ب- أهون عذاب أهل النار

أهون أهل النار عذابا من توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه. قال ﷺ : " إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ[2] جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ"[3].. وقال ﷺ"يَقُولُ إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ[4] وَالْقُمْقُمُ[5]"[6]

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند السابق (ح٨٠٧٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(ح٥١٢) (٣٩/٢).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح٦٠٧٦).

[3] أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ: مالا يَصِلُ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ بَاطِنِ الْقَدَمِ عِنْدَ الْمَشْيِ، تحفة الأحوذي: المباركفوري (٢٧٨/٧).

[4] المرجل: القدر الكبيرة من نُحاس، وجمعها مراجل، كشف المشكل: ابن الجوزي(٢١٣/٢).

[5] الْقُمْقُمُ: مَعْرُوفٌ مِنْ آنِيَةِ الْعَطَّارِ وَيُقَالُ هُوَ إِنَاءٌ ضَيِّقُ الرَّأْسِ يُسَخَّنُ فِيهِ الْمَاءُ يَكُونُ مِنْ نُحَاسٍ، فتح الباري: بن حجر(٤٣١/١١).

[6] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (ح٦٠٧٧) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أهون أهل الأرض عذاباً (ح٣١٣).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ "قَالَ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ"[1]

وحديث عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ- أَيْ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ - وَشِرَاكَانِ- أَيْ مِنْ فَوْقِهَا- مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا"[2]

حتى أن الرجل من أهل النعيم والرفاهية والمال والسلطان في الدنيا وهو من أهل النار في الآخرة يغمس في النار غمسة واحدة ويقال له هل رأيت نعيما قط ؟ فيقول: لا، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً (أي يغمس غمسة) ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ"[3].

يقال لأهون أهل النار عذاباً: كما أخبر النبي ﷺ "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقُولُ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي" [4].

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ(٣٧) ﴾. [المائدة].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أهون أهل الأرض عذاباً (ح٣١٢).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أهون أهل الأرض عذاباً (ح٣١٤).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار (ح٥٠٢١).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح٦٠٧٢).

٢- ثياب وفرش أهل النار

أ- ثياب أهل النار:

ثياب أهل النار من النار كما قال ﷻ: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ [الحج: ١٩] حيث تفصل لهم ملابس من نار من النحاس وهو أشد حرارة إذا حمي كما قال ﷻ: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ(٥٠) ﴾. [إبراهيم].

فقوله: (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ) أي قمصانهم من قطران من النحاس المذاب الحار تطلي به جلودهم حتى يكون ذلك الطلاء كالسرابيل، وخص القطران لسرعة الاشتعال فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه.

وعن أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:"النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ"[١].

ب- فِراش أهل النار وأغطيتهم:

فِراش أهل النار من نار، ولحفهم وأغطيتهم من نار، من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل من النار.. وأطباق من نار.. وقطع عذاب كالسحاب العظيم من فوقهم ومن تحتهم. قال ﷻ: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤١] أي فرش من النار تغشاهم من فوقهم كالأغطية فيلتحفون بألحفة من نار.

وقال ﷻ: ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [الزُّمر:١٦] الظلل عبارة عن أطباق النار:"لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ الظُّلَلُ عِبَارَةٌ عَنْ أَطْبَاقِ النَّارِ، أَيْ: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ أَطْبَاقٌ مِنَ النَّارِ تَلْتَهِبُ عَلَيْهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ أَيْ: أَطْبَاقٌ مِنَ النَّارِ، وَسُمِّيَ مَا تَحْتَهُمْ ظُلَلًا لِأَنَّهَا تُظِلُّ مَنْ تَحْتِهَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لِأَنَّ طَبَقَاتِ النَّارِ صَارَ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهَا طَائِفَةٌ مِنْ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ"[٢].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (ح١٥٥٠).

[٢] انظر: فتح القدير: الشوكاني (٥٢٣/٤).

أي أن لهم أطباق وفراش ومهاد وسرادقات يتعذبون فيها، وإطلاق الظلل عليها تهكما، فهي محدقة محيطة بهم من كل جانب والعياذ بالله كما قال ﷻ: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ(٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ(٣١) ﴾. [المرسلات].

٣- طعام وشراب أهل النار

أ- طعام أهل النار

طعام أهل النار كريه في غاية المرارة والنتن والخسة والخبث نسأل الله العافية.

أولاً: طعام الضريع

قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(٧) ﴾. [الغاشية].

وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالضريع على أقوال:

١. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: شَجَرٌ مِنْ نَارٍ.

٢. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الزَّقُّومُ. وَعَنْهُ: أَنَّهَا الْحِجَارَةُ.

٣. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَقَتَادَةُ: هُوَ الشِّبْرِقُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُرَيْشٌ تُسَمِّيهِ فِي الرَّبِيعِ الشِّبْرِقُ، وَفِي الصَّيْفِ الضَّرِيعُ، قَالَ عِكْرِمَةُ: وَهُوَ شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ لَاطِئَةٌ بِالْأَرْضِ.

٤. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: الضريعُ نبتٌ يُقَالُ لَهُ: "الشِّبرِقُ، يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ: الضريعَ إِذَا يَبِسَ، وَهُوَ سُمٌّ.

٥. وَقَالَ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَةَ: هُوَ الشِّبرِقُ، إِذَا يَبِسَ سُمِّيَ الضَّرِيعَ.

٦. وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَبْشَعِهِ وَأَخْبَثِهِ.

وَقَوْلُهُ ﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾أي: لَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ، وَلَا يَنْدَفِعُ بِهِ مَحْذُورٌ[1].

ثانياً: طعام الغسلين

قال ﷻ: ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة: ٣٦]. عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا أَدْرِي مَا الْغِسْلِينُ، وَلَكِنِّي أَظُنُّهُ الزَّقُّومَ، وَقَالَ شَبِيب بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٨/٢١٧).

عَبَّاسٍ قَالَ: الْغِسْلِينُ: الدَّمُ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْهُ: الْغِسْلِينُ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ[1].

إذن هو صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة، ونتن الريح، وقبح الطعم، وشدة المرارة، ولا يأكل هذا الطعام الذميم إلا الذين أخطأوا الصراط المستقيم وسلكوا سبل الجحيم قال ﷻ: ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ(٣٧) ﴾. [الحاقة].

ثالثاً: طعام الزقوم

ومن طعام أهل النار شجرة الزقوم، وهي أشر الأشجار وأفظعها، وهو صديد منتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة، يغلي في بطونهم كغلي الحميم، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ(٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ(٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ(٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ(٤٦) ﴾. [الدخان].

وشجرة الزقوم تنبت في وسط النار، وتسقى بصديد أهل النار، وطلعها كريه فظيع، كأنه رؤوس الشياطين. وهي طعام أهل النار قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ(٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ(٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ(٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ(٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ(٥٦) ﴾. [الواقعة]. وقال ﷻ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ(٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ(٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ(٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ(٦٨) ﴾.[الصّفات] والشوب هو الخلط والمزج أي يُخْلَطُ الزقوم المتناهي في القذارة والمرارة والحميم المتناهي في اللهب والحرارة [2].

---

[1] المصدر السابق (٨ /٢١٧).

[2] انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي(٣١٥/٦) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الزَّقُّومُ"[1]

رابعاً: طعام ذو غصة

وطعام أهل النار يغص به آكله لمرارته وبشاعته.. وكراهة طعمه.. وخبث رائحته كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا(١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا(١٣) ﴾. [المزمل]، وفسرها ابْنِ عَبَّاسٍ بقَوْلِهِ: شَوْكٌ يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ، فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ"[2].

ب- شراب أهل النار:

شراب أهل النار أنواع في غاية الحرارة.. كريه الطعم.. خبيث الرائحة.. حميم لا يطاق.. وصديد من القيح والدم وماء كالمهل غليظ أسود حار منتن وغساق لا يطاق شربه لشدة النتانة، وهو متنوع منه:

أولاً: الحميم

قال ﷻ: ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ(١٥) ﴾ [محمد]. والحميم هو الماء الحار المغلي بنار جهنم يذاب بهذا الحميم ما في بطونهم وتسيل أمعاؤهم وتتناثر جلودهم، وجاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ"[3]

ثانياً: الغساق

قال ﷻ: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا(٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا(٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا(٢٦) ﴾. [النبأ]. واختلف أهل التأويل في معنى الغساق"قَالَ قَتَادَةَ: الْغَسَّاقَ: مَا يَسِيلُ

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، باقي المسند السابق (ح٢٩٧٠) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[2] جامع البيان: الطبري (٣٨٤/٢٣).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار (ح٢٥٠٥) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٨٢/٧) (ح٣٤٧٠).

مِنْ بَيْنَ جِلْدِهِ وَلَحْمِهِ"وقَالَ السُّدِّيّ، قَالَ:"الْغَسَّاقُ: الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ مِنْ دُمُوعِهِمْ، يُسْقَوْنَهُ مَعَ الْحَمِيمِ"وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ:"الْغَسَّاقُ:"الصَّدِيدُ الَّذِي يُجْمَعُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِمَّا تُصْهِرُهُ النَّارُ فِي حِيَاضٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا فَيُسْقَوْنَهُ"[1] وقال ﷻ: ﴿ مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَاءٍ صَدِيدٍ(١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ(١٧) ﴾. [إبراهيم]."أَيْ مِنْ مَاءٍ مِثْلِ الصَّدِيدِ،... وَقِيلَ: هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ أَجْسَامِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْقَيْحِ وَالدَّمِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ غُسَالَةُ أَهْلِ النَّارِ، وَذَلِكَ مَاءٌ يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي [2]، أي يُسقي من ماء صديد شديد النتانة والكثافة فيتجرعه ولا يكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته.

ثالثاً: المُهْلِ

قال ﷻ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف: ٢٩] الماء الحار شرابهم يصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه ويمرق من قدميه ثم يعاد كما كان.

رابعاً: طِينَةِ ونهر الخَبَالِ

قال رسول الله ﷺ:"كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ ﷻ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ قَالَ عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ"[3].

وقال رسول الله ﷺ:"يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ"[4].

---

[1] جامع البيان: الطبري (١٢٨/٢٠).

[2] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(٣٥١/٩)

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر (ح٣٧٣٢).

[4] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه (ح ٢٤١٦) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ وقال الألباني حسن: صحيح الترغيب والترهيب (ح٢٩١١) (٦٧/٣).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ لَمْ يَتُبْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الْخَبَالِ قِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَا نَهْرُ الْخَبَالِ قَالَ نَهْرٌ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ"[1].

٤- وثاق أهل النار

خلق الله في جهنم سلاسل يُقرن بها كل كافر ومثله وأغلالاً تُغَلّ بها أيدي الكفار والعصاة إلى أعناقهم، ويوثقون بها ومقامع يُضربون بها قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]

أ- **الأَغْلَالُ**:"جَمْعُ غُلٍّ، وَهُوَ طَوْقٌ تُشَدُّ بِهِ الْيَدُ إِلَى الْعُنُقِ، أَيْ: يُغَلُّونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: الْأَغْلَالُ أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ الَّتِي هِيَ لَازِمَةٌ لَهُمْ لُزُومَ الْأَطْوَاقِ لِلْأَعْنَاقِ"[2] قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨] وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥] وقال ﷻ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣] وقال ﷻ: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١] فيجعل في عنقه غلاً يخنقه، ثم يقلب على جمر جهنم ولهبها، ثم يُنظم في سلسلة من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة، ذرعها سبعون ذراعاً، تدخل في دبره، وتخرج من فمه، ويعلق فيها.. فلا يزال يعذب هذا العذاب العظيم.

ب- **السلاسل والأنكال**: قال ﷻ: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١] أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم، وتارة

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر (ح١٨٨٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٨٣) (٣٠٣/٣).

[2] فتح القدير: الشوكاني (٨١/٣).

إلى الجحيم ولهذا قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] وقال ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(٣٠) ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ(٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(٣٢)﴾. [الحاقة]. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "تُسْلَكُ فِي دُبُرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ مَنْخِرَيْهِ، حَتَّى لَا يَقُومَ عَلَى رِجْلَيْهِ"[1].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢] قَالَ الطبري" قَالَ الثَّوْرِيُّ: سَمِعْتُ حَمَّادًا يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾ [المزمل: ١٢] قَالَ: قُيُودًا سَوْدَاءَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ"[2].

ت-**المقامع**: ويضرب الكفار بمقامع من حديد في النار كما قال ﷻ: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١] الْمَقَامِعُ الْمَطَارِقُ، وَهِيَ الْمَرَازِبُ. وَقِيلَ: الْمَقَامِعُ سِيَاطٌ مِنْ نَارٍ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقْمَعُ الْمَضْرُوبَ، أَيْ تذله[3].

خامساً: خطبة إبليس في أهل النار

إذا قضى الله الأمر وفصل بين العباد، ودخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، خطب إبليس في أهل النار، وتبرأ منهم؛ ليزيد من كربهم وندامتهم وحسرتهم، كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

سادساً: خلود أهل النار أبدي

الكفار والمشركون والمنافقون مخلدون في النار، وأما عصاة الموحدين فهم تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ثم أخرجهم إلى الجنة قال

---

[1] جامع البيان: الطبري (٢٣ /٢٣٨).

[2] المصدر السابق (٢٣/٣٨٤).

[3] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١٢/٢٧) بتصرف.

ﷻ: ﴿ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣] وقال ﷻ: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٥] وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] وقال ﷻ: ﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]

المطلب الثالث: الجنة

الجنة هي:"الحديقة ذَات النّخل وَالشّجر والبستان وَدَار النَّعيم فِي الْآخِرَة والجمع جنان"[١] والجنة في الأصل كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، يقول المناوي"والجنة: مصدر جنة إذا ستره، ومدار التركيب على ذلك، سمي به الشجر المظلم لالتفاف أغصانه وستر ما تحته، ثم البستان لما فيه من الأشجار المتكاثفة المظلة، ثم دار الثواب لما فيها من الجنان"[٢]والمقصود بالجنة الدار التي أعدها الله تعالى للمتقين جزاءً لهم على إيمانهم وأعمالهم.

أولاً أدلة الإيمان بالجنة

١-: أدلة الإيمان بالجنة من القرآن

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ(٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ(٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ(٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ(٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٥٧) ﴾. [الدخان].

وقال ﷻ: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ(٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ(٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ(٣٥) ﴾. [ق].

---

[١] المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون (١/١٤١).

[٢] التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (ص١٣١).

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا(٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا(٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا(٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا(٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا(٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا(٣٦) ﴾. [النَّبأ].

٢- أدلة الإيمان بالجنة من السنة

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة/ ١٧][(١)].

ب-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"[(٢)].

ت-حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ ذُكِرَ لِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ:"مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ لَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا"[(٣)].

ث-عَنْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ يَقُولُ: ...وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:"مَنْ بَنَى مَسْجِدًا قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ"[(٤)].

ج- عَنْ سَهْلٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٠٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٠١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم (ح١٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً (ح٤٣١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (ح١٧٦٣).

ثانياً: أسماء الجنة[1]

للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات.

أ- **الجنة**: وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور واصل الكلمة من الستر والتغطية لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ومنه سمي الجنين جنيناً لاستتاره في البطن والجانّ لاستتاره عن العيون والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥].

ب- **دار السلام**: وقد سماها الله بهذا الاسم لأنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها قال ﷻ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

ت- **دار الخلد**: وسميت بذلك لأن أهلها مخلدون فيها أبدا كما قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] وقال ﷻ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

ث- **دار المقامة**: قال تعالى حكاية عن أهلها قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ(٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ(٣٥)﴾. [فاطر]. "قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود أقاموا فيها أبدا لا يموتون ولا يتحولون منها أبدا، قال الفراء والزجاج المقامة مثل الإقامة يقال أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاما"[2]

---

[1] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ص٩٤) وما بعدها، مطبعة المدني، القاهرة، بدون، اللطائف في اللغة: اللَّبابيدي(ص٦٣)

[2] حادي الأرواح: ابن قيم الجوزية (ص٩٧).

ج- **جنة المأوى**: المأوى اسم من أسماء الجنة والمأوى من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به كما قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(٤١)﴾[النّازعات] وقال ﷻ:﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[النّجم: ١٥].

ح- **جنات عدن**: قيل هي اسم الجنة من الجنان والصحيح أنه اسم لجنة الجنان وكلها جنات عدن قال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الكهف: ٣١] وقال تعالى ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

خ- **الفردوس**: أصل الفردوس البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين من شجر وزهر ونبات. قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] و قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] فالفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على أوسطها وأعلاها وأفضلها كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ"... فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ.."[1].

د- **جنات النعيم**: النعيم اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن قال ﷻ: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥] وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨] وقال ﷻ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]

ذ- **المقام الأمين**: قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدّخان: ٥١]"والمقام الأمين موضع الإقامة والأمين الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، درجات المجاهدين في سبيل الله (ح٢٥٨١).

ر- **مقعد الصدق وقدم الصدق**: قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾. [القمر]. وقال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

ز- **دار الحيوان**: المعنى دار الحياة الدائمة التي لا تنغيص فيها ولا نفاد لها ولا انقطاع فهي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا، قال ﷻ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]"قال الكلبي هي حياة لا موت فيها قال وقال الزجاج هي دار الحياة الدائمة"[1].

ثالثا: مكان الجنة

قال ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)﴾. [النَّجم]"وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد النية فيقبض منها"[2] وفسر ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ ﷻ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ قَالَ:"هِيَ يَمِينُ الْعَرْشِ، وَهِيَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ"[3].

رابعاً: أبواب الجنة

١- **عدد أبواب الجنة**: عدد أبواب الجنة ثمانية كما جاء عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ"[4].

٢ - **أسماء أبواب الجنة**: الجنة فيها باب اسمه **الصَّلَاةِ** وباب اسمه **الْجِهَادِ** وباب اسمه **الرَّيَّانِ** وباب اسمه **الصَّدَقَةِ** كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"مَنْ أَنْفَقَ

---

[1] حادي الأرواح: ابن القيم (ص٩٨).

[2] المصدر السابق (ص٦٥).

[3] أنظر: جامع البيان: الطبري (٢٢/٤٠).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد (ح٤١).

زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"[1]. وجاء عَنْ سَهْلٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"[2].

اما أسماء الأبواب الأربعة الباقية فقد اجتهد فيها العلماء قال النووي"وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ بَقِيَّةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي بَابِ التَّوْبَةِ وَبَابِ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَبَابِ الرَّاضِينَ فَهَذِهِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ جَاءَتْ فِي الْأَحَادِيثِ وَجَاءَ فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ فلعله الباب الثامن"[3]

وذكر الحليمي اسماءً أخري فقال:"أَبْوَابُ الْجَنَّةِ مِنْهَا بَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ بَابُ التَّوْبَةِ، وَبَابُ الصَّلَاةِ، وَبَابُ الصَّوْمِ، وَبَابُ الزَّكَاةِ، وَبَابُ الصَّدَقَةِ، وَبَابُ الْحَجِّ، وَبَابُ الْعُمْرَةِ، وَبَابُ الْجِهَادِ، وَبَابُ الصِّلَةِ"[4].

خامساً: درجات الجنة ومنازلها

الجنة درجات وهي منازل ومراتب، وهذا من مقتضى عدل الله أن يتفاوت المؤمنون، فقد تفاوتت أعمالهم وطاعاتهم، فتفاوت جزاؤهم وحسابهم بناءً على ذلك، ولهذا جعل الله لكلٍ درجات مما عملوا، وجعل بينهم من الفروق مالا يعلمها إلا هو، مع أنهم كلهم قد رضوا بما آتاهم في الجنة، يعني أدنى واحد في الجنة يكون قانع جداً، ومسرور وراضٍ

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (ح١٧٦٤).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (ح١٧٦٣).

[3] شرح النووي على صحيح مسلم (٧ / ١١٨).

[4] النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير(٢/٢٦٦).

الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا"[1]والقرآن طبعاً"٦٢٣٦"آية، واحد يحفظ مائة، وواحد يحفظ ألف آية، وواحد يحفظ القرآن كله، وهذا يدل على أن في الجنة درجات على عدد آي القرآن، وهي الزيادة على ستة آلاف آية، فإذا اجتمعت للإنسان فضيلة الجهاد مع فضيلة القرآن جمعت له تلك الدرجات كلها، وهكذا كلما زادت أعماله زادت درجاته"[2].

٢.أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

أ- أعلى أهل الجنة منزلة

أعلى أهل الجنة منزلة هم النبيون بلا خلاف، وأعلاهم منزلة محمدﷺ ثم الصديقون والشهداء والصالحون، قال ابن القيم:"أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه قال ﷻ: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، قال مجاهد وغيره: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ﴾ هو موسى ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ هو محمد ﷺ"[3].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:"إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"[4].

فالوسيلة قد فسرها ﷺ بأنها منزلة في الجنة عند الله عز و جل ليس فوقها درجة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ الْقُرْآنِ(ح٢٨٣٨) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح(ح٢١٣٤) (١/٦٥٨).

[2] الديباج على صحيح مسلم: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٤/٤٧٥) تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م،

[3] حادي الأرواح: ابن القيم (ص ١٥٥).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلِ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ (ح٥٧٧).

ب: أدنى أهل الجنة منزلة

أدنى أهل الجنة منزلة كما جاء في صحيح مسلم فيما يرويه النبيﷺ عن ربه:"قَالَ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً قَالَ هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ ادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ"[1].

فهذه الجنة وهذه درجاتها، قد بنيت وهيئت لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ففيها التنافس بالطاعات وإليها تجب المسارعة بالخيرات والحسنات فأين ذوو الهمم العالية، وقد دعوا إلى السباق، وأين طلاب السمو، وقد قرب اللحاق.

سادسا: أنهار الجنة وعيونها

أولاً: أنهار الجنة

قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [البقرة:٢٥]. وجاء عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ:"أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفَجَّرُ مِنْ جَبَلِ مسك"[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"...أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَفَجَّرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ أَوْ مِنْ تَحْتِ جِبَالِ الْمِسْكِ"[3].

يقول ابن القيم معلقاً:"وهذا يدل على أمور:

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (ح٢٧٦).

[2] رواه البيهقي في البعث والنشور(ح٢٦٧) (ص١٨٤) قال المحقق هَذَا مَوْقُوفٌ صَحِيحٌ، وأبو نعيم في صفة الجنة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ح٣٠٦) (١٥٥/٢) تحقيق: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، وابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي(ح٣٤١٠٦) (٤٦/٤) و(ح٣٣٩٥٨) (٢٨/٧) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

[3] رواه البيهقي في البعث والنشور(ح٢٦٦) (ص١٨٣) وأبو نعيم في صفة الجنة: (ح٢٦٦) (١٥٩/٢) قال الألباني: حسن صحيح، في صحيح الترغيب والترهيب(ح٣٧٢١) (٢٦١/٣).

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقية.
الثاني: أنهار جارية لا واقفة.
الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا"[1].
وأنهار الجنة كثيرة منها:
الأنهار الأربعة: نَهرُ مِنْ مَاءٍ وَ لَبَنٍ وَخَمْرٍ وَعَسَلٍ، قال ﷻ: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]

ذكر الله في هذه الآية أربعة أنهار، نهر من العسل المصفى لا شمع فيه، وعسل الدنيا تصيبه الأخلاط فلا يصفو، أما عسل الجنة فصاف لامع طري، و نهر من الماء الجاري الذي هو ألذ بكثير من ماء الدنيا، فماء الدنيا يأسن من طول مكثه و مياه أنهار الجنة لا تأسن، و نهر من لبن لا يفسده صيف و لا شتاء بل تشعر و أنت تغترفه من النهر و كأنك تحلبه من ضرع لا ينضب و لا يتغير طعم ما فيه مهما طال الزمن عليه، و أما النهر الأخير فهو نهر الخمر وخمر الدنيا كريهة المذاق كريهة الرائحة أما خمر الجنة ففيها من اللذة ما يبعث على الشرب فلا يفتك بالجسد كفتك الخمر الدنيوي، و لا يسكر و لا يذهب بالعقل.. قال ﷻ ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٩] وقال ﷻ: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [الصَّفات: ٤٧]، هذه الأنهار تجري في الجنة من غير أخدود، تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار، قال ﷻ: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٥] ﴾ وقال ﷻ: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾ [الكهف: ٣١]وهذه الأنهار تنساب متفجرة من الأعلى ثم تتحدر في نزول.

---

[1] حادي الأرواح: ابن القيم (ص١٧٨).

النهر الخامس: نَهَرُ الْكَوْثَرَ: الكوثر نهر آخر من أنهار الجنة أعطاه الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ: قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ"[1].

النهر السادس: نَهَرُ الْحَيَاةِ: جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال"...فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ"[2].

والمعنى:"أن العصاة إذا خرجوا من النار وألقوا في نهر الحياة، يخرجون من ذلك النهر منورين منبسطين متبخترين كخروج هذه الريحانة من جانب السيل، ويسمى هؤلاء الذين أخرجوا من النار «عتقاء الله"فإنهم يدخلون الجنة ومكتوب على جباههم وبين أعينهم "عتقاء الله"[3].

النهر السابع: نَهَرُ بارق[4]: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ – نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ – يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا"[5]. قال السيوطي معلقَ على الحديث"وَأجَاب الْقُرْطُبِيّ بِأَنَّهُ يُمكن أَن يكون هَذَا الحَدِيث فِي بعض الشهداء الَّذين حَبسهم عَن دُخُول الْجنَّة دين أَو تبعة وَقَالَ بن رَجَب لَعَلَّ هَذَا فِي عُمُوم الشُّهَدَاء وَالَّذين هم فِي الْقَنَادِيل تَحت الْعَرْش خواصهم قَالَ أَو لَعَلَّ المُرَاد بِالشُّهَدَاءِ فِيهِ من هُوَ شَهِيد غير من قتل فِي سَبِيل الله كالمطعون والمبطون

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الرِّقَاقِ، بَاب فِي الْحَوْضِ (ح٦٠٩٥).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية(ح٢٦٩).

[3] المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي(٤٦٨/١) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

[4] انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير(٢ /٢٩٧).

[5] أخرجه أحمد في مسنده، من مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن العباس (ح٢٢٦٨) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح١٣٧٨) (٦٧/٢).

والغريق وَغَيرهم مِمَّن ورد النَّص بِأَنَّهُ شَهِيد أَو سَائِر الْمُؤمنِينَ فقد يُطلق الشَّهِيد على من حقق الإِيمَان وَشهد بِصِحَّتِهِ"[1]

النهر الثامن: نَهَرُ الْبَيْدَخِ أَوِ الْبَيْدَحِ [2]: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَرُبَّمَا قَالَ:"رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا"، فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ الرُّؤْيَا الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا سُولَ اللهِ، رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ وَجْبَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ، فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَفُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّتْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَجِيءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلْسٌ، تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُمْ دَمًا، فَقِيلَ: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهَرِ الْبَيْدَخِ أَوِ الْبَيْدَحِ فَغُمِسُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا مِنْهُ وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ أُتُوا بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَعَدُوا عَلَيْهَا، وَأُتُوا بِصَحْفَةٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَا يَقْلِبُونَهَا لِشِقٍّ إِلَّا أَكَلُوا فَاكِهَةً مَا أَرَادُوا. وَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ، فَقَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا، وَأُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا الَّذِينَ عَدَّتِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ"، فَجَاءَتْ قَالَ:"قُصِّي عَلَى هَذَا رُؤْيَاكِ"، فَقَصَّتْ، فَقَالَ: هُوَ كَمَا قَالَتْ"[3] وعَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ:"إِن فِي الْجنَّة نَهرا يُقَال لَهُ البيدخ عَلَيْهِ قباب من ياقوت تَحْتَهُ جوَار نابتات يَقُول: أهل الْجنَّة انْطَلقُوا بِنَا إِلَى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تِلْكَ الْجَوَارِي فَإِذا أعجب رجل مِنْهُم بِجَارِيَة مس معصمها فتبعته وتنبت مَكَانهَا أُخْرَى"[4].

---

[1] الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري(٤/٤٨٤) دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

[2] انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير(٢/٢٩٦).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق (ح١٣٢٠٢) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمي: وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(١٠/٤١٤) تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

[4] ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة(ح٦٧) (ص٨٣) تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، مكتبة العلم، جدة، السعودية.

ظاهر الأحاديث يدلل على أن كل من فاز بالشهادة من هذه الأمة يغمس في نَهَرِ الْبَيْدَخِ أَوِ الْبَيْدَحِ سواء كانوا رجالاً أو نساء.

ثانياً: عيون الجنة

عيون الجنة كثيرة نضاخة مختلفة الطعوم والمشارب قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة المرسلات: ٤١] وقال ﷻ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦].

قال ابن كثير: "وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عُيُونَ الْجَنَّةِ بِكَثْرَةِ الْجَرَيَانِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءُوا فَجَّرُوهَا، أَيِ اسْتَنْبَطُوهَا، وَفِي أَيِّ الْمَحَالِّ أَحَبُّوا نَبَعَتْ لَهُمُ الْعُيُونُ بِفُنُونِ الْمَشَارِبِ وَالْمِيَاهِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا فِي الْجَنَّةِ عَيْنٌ إِلَّا تَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ جَبَلٍ مِنْ مِسْكٍ"[1].

وعيون الجنة كثيرة منها:

العين الأولى: عين الكافور قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا(٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا(٦)﴾. [الإنسان]. فقد أخبر الله في الآيات السابقة أن الأبرار يشربون شرابهم ممزوجاً من عين الكافور، "قَالَ الْفراء يُقَال: إِنَّهَا عَينٌ تُسَمَّى الكافورَ، وَقد يكون: كَانَ مِزَاجُهَا كالكافورِ لطيب رِيحه، وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق: يجوز فِي اللغةِ أَن يكون طعمُ الطّيب فِيهَا والكافور، وجائزٌ أَن تمْزَجَ بالكافورِ، وَلَا يكون فِي ذَلِك ضَرَرٌ، لأنّ أهلَ الْجنَّة لَا يَمسهمْ فِيهَا ضَرَرٌ وَلَا نَصَبٌ ولاَ وَصَبٌ"[2].

وقال ابن أبي زَمَنِين "كَافُورًا عينٌ فِي الْجنَّة، اسْمهَا كافورا"[3]، "وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي أَرَادَ كَالْكَافُورِ فِي بَيَاضِهِ وَطِيبِ رِيحِهِ وَبَرْدِهِ لِأَنَّ الْكَافُورَ لَا يُشْرَبُ"[4].

---

[1] البداية والنهاية: ابن كثير (٢٠/٣٠٣).

[2] تهذيب اللغة: الأزهري الهروي (١٠/١١٥).

[3] تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (٥/٧٠) تحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

[4] معالم التنزيل: البغوي (٥/١٩٠).

العين الثانية: عين التسنيم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ [المطففين]."أي أن هذا الرحيق الذي يسقى منه الأبرار في الجنة، والذي تعبق منه رائحة المسك، هو ممزوج بتسنيم، وقد بين الله تعالى هذا التسنيم الذي يمزج بهذا الرحيق، وهو عين من عيون الجنة، لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه وتعالى، قد أعدها– جل شأنه– ليشرب منها عباد الله المقربون، أي أهل القرب منه، وأهل الكرامة عنده"[1].

العين الثالثة: عَيْن سَلْسَبِيل قال ﷻ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا(١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا(١٨)﴾. [الإنسان]. قال ابن أبي زَمَنِين: "السَّلْسَبِيلُ: اسْمُ الْعَيْنِ"[2]

وقال مقاتل بن حيان:"سميت سلسبيلا لأنها يتسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك"[3]

العين الرابعة: عَيْن الزنجبيل قال ﷻ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾. [الإنسان١٧]."قال قتادة: (الزَّنْجَبِيل)، اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة"[4].

سابعاً: أشجار الجنة وفواكهها

زين الله الجنة بأنواع من الأشجار والثمار اليانعة والروضات المتفتحة التي تدخل السرور والحبور على المؤمنين، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية(ح٢٦٩).

[2] تفسير القرآن العزيز: ابن أبي زَمَنِين (٧٣/٥).

[3] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي (١٠٤/١٠).

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(٤١٣/٥).، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

﴿رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]،وقد أخبرنا الحق أن في الجنة أشجار كثيرة كالسدر والطلح وطوبى وفي الجنة من أنواع الثمار والفواكه والنعيم وكل ما تشتهيه النفوس وتلذ العيون كالعنب والنخل والرمان، قال ﷻ: ﴿وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٢٠]، وقال ﷻ: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرابٍ ﴾ [ص: ٥١].

١- أشجار الجنة

أشجار الجنة دائمة العطاء وظلها دائم، كما قال ﷻ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكافِرِينَ النَّارُ﴾: [الرعد: ٣٥]

وأشجار الجنة كثيرة منها:

أ- **السدر**: قال ﷻ: ﴿سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ والسدر هو شجر النبق الشائك، ولكنه في الجنة مخضود شوكه، أي نزع وقطع فلا شوك فيه قال الطبري"اخْتَلَفَ فِي تَأْوِيلِهِ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي بِالْمَخْضُودِ: الَّذِي قَدْ خُضِّدَ مِنَ الشَّوْكِ، فَلَا شَوْكَ فِيهِ"[1] وهذا قول لابن عباس وقَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ وعِكْرِمَةَ ومجاهد ومقاتل وقتادة وجماعة[2]

ب- **الطلح**: قال ﷻ: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ والطلح عند أكثر المفسرين إنه شجرة الموز وهذا قول عَلِيٍّ وابْنِ عَبَّاسٍ ومُجَاهِد وعَطَاءٍ وقَتَادَةَ وابْنُ زَيْدٍ [3] وقيل"الطلح: شجر من شجر الحجاز من نوع العضاه[4] فيه شوك، ولكنه في الجنة منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة"[5] وعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْمَعُكَ تَذْكُرُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، لَا أَعْلَمُ شَجَرَةً أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا - يَعْنِي: الطَّلْحَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:"إِنَّ

---

[1] جامع البيان: الطبري (٣٠٦/٢٢).

[2] انظر: المصدر السابق (٣٠٦/٢٢-٣٠٨)

[3] انظر: المصدر السابق (٣١١/٢٢-٣١٢).

[4] العضاه: كل شجر لَهُ شوك مثل الطلح وَالسّلم والسمر والسد، غريب الحديث: ابن قتيبة(١/ ٢٧٣).

[5] الجنة والنار: الأشقر (ص٢١).

اللَّهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِنْهَا ثَمَرَةً مِثْلَ خُصْوَةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ [1]، فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، لَا يُشْبِهُ لَوْنٌ آخَرَ"[2].

ت-**شَجَرَةُ طُوبَى**: عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا"[3]"أَيْ: فِي نَاحِيَتِهَا، وَإِلَّا فَالظِّلُّ فِي عُرْفِ أَهْلِ الدُّنْيَا مَا يَقِي مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَأَذَاهَا"[4]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِمَنْ رَآكَ وَآمَنَ بِكَ قَالَ طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي قَالَ لَهُ رَجُلٌ وَمَا طُوبَى قَالَ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا[5]"[6].

٢-فواكه الجنة

قال ﷻ: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزُّخرف: ٧٣]وقال ﷻ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدُّخان: ٥٥] قال ﷻ: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرَّحمن: ١١]وقال ﷻ: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرَّحمن: ٥٢]وقال ﷻ: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧] وقال ﷻ: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحمن: ٦٨].

---

[1] التَّيْس المَلْبُود: أيِ المكتنِز اللَّحْم، الَّذِي لزِم بَعْضُه بَعْضاً فتَلَبَّد، النهاية: ابن الأثير(٤ /٢٢٥) تاج العروس، الزَّبيدي (١٣٢/٩) لسان العرب: ابن منظور (٣٨٦/٣).

[2] اخرجه السجستاني في البعث: عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني(ح ٧٠) (٥٩/١) تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، قال الهيثمي:"وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ"مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي(ح ١٨٧٢٨) (١٠ /٤١٤).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب بدء الخلق، بَاب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٠١٢).

[4] مرقاة المفاتيح: القاري (ج٩ ص ٣٥٧٧).

[5] أَكْمَامِهَا: جمع كم بِالْكَسْرِ وعَاء الطّلع، التيسير بشرح الجامع الصغير: المناوي(٢٠/٢آ).

[6] أخرجه أحمد في مسنده باب مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري (ح١١٢٤٥) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (ح٣٩١٨) (٧٢٨/٢).

قال الطبري"لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَرَادُوهُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، كَمَا تَنْقَطِعُ فَوَاكِهُ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْهَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا شَوْكٌ عَلَى أَشْجَارِهَا، أَوْ بُعْدُهَا مِنْهُمْ، كَمَا تَمْتَنِعُ فَوَاكِهُ الدُّنْيَا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَرَادَهَا بِبُعْدِهَا عَلَى الشَّجَرَةِ مِنْهُمْ، أَوْ بِمَا عَلَى شَجَرِهَا مِنَ الشَّوْكِ، وَلَكِنَّهَا إِذَا اشْتَهَاهَا أَحَدُهُمْ وَقَعَتْ فِي فِيهِ أَوْ دَنَتْ مِنْهُ حَتَّى يَتَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ"[1].

ثامناً: بناء الجنة

في الجنة من سحرِ المساكن وجمالِ القصور وتعالِ الغرف وتلألُئِ الخيام، ما تقر به العين وتسكن إليه النفس، كيف لا وخيامها من لؤلؤ، وقصورها من ذهب وفيها من فاخر الأثاث وكواعب النساء وطيب الشراب ولذيذ الطعام مالا يخطر على بال.

فالجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِﷺ:" الْجَنَّةُ مَا بِنَاؤُهَا قَالَ لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَمِلَاطُهَا[2] الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ[3] وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ[4]وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ[5] مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ"[6].

١. تربة الجنة

أ- **الزعفران**، قَالَ رَسُولَ اللَّهِﷺ"وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ"[7]

---

[1] جامع البيان: الطبري (٣١٨/٢٢).

[2] **المِلَاطُ**: الطِّين الَّذِي يُجْعَلُ بَيْنَ سافَي البِنَاء، يُمْلَطُ بِهِ الحائطُ: أَيْ يُخْلَطُ، النهاية: ابن الأثير(٣٥٧/٤).

[3] **المِسْكُ الْأَذْفَرُ**: أَيِ الشَّدِيدُ الرِّيحِ، تحفة الأحوذي،المباركفوري (١٩٣/٧).

[4] **وَحَصْبَاؤُهَا أَيْ**: حَصْبَاؤُهَا الصِّغَارُ الَّتِي فِي الْأَنْهَارِ (اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ) أَيْ مِثْلُهُمَا فِي اللَّوْنِ وَالصَّفَاءِ، مرقاة المفاتيح: القاري (٣٥٨٧/٩).

[5] **وَتُرْبَتُهَا أَيْ**: مَكَانُ تُرَابِهَا (الزَّعْفَرَانُ) أَيِ النَّاعِمُ الْأَصْفَرُ الطَّيِّبُ الرِّيحِ، مرقاة المفاتيح: القاري (٩ /٣٥٨٧).

[6] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة (ح٢٤٤٩) قال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزياداته(ح ٣١١٦) (٥٩٨/١).

[7] الحديث السابق.

ب- الدرمكة البيضاء والمسك، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ فَقَالَ"دَرْمَكَة [1] بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ"[2]

٢. غرف الجنة:

قال ﷻ: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزُّمر: ٢٠]، وقال ﷻ: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وأما غرف الجنة فهي قويةٍ في بنائها ومحكمة في أركانها وجميلة في بهائها ومنظرها وتلألئها، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ:"قَالَ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ:"[3]"دل هذا الحديث على أن أهل الجنة يتفاضلون في منازلهم ودرجاتهم ومساكنهم، وأن منهم من يبعد عن غيره بعد الكوكب الغابر في الأفق عن أهل الأرض"[4] .

وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"[5].

---

[1] الدَّرمَكُ: دَقِيق الحُوّارَى الخالص البياض، ويُقال: هُوَ التُّرابُ النَّاعِمُ الدَّقِيقُ، انظر تاج العروس: الزَّبيدي(٢٧/ ١٤٦) شرح النووي على صحيح مسلم(١٧/ ١٣٤).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْفِتَن وأشراط الساعة، بَاب ذكر ابن صياد (ح٥٢١٣).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب بدء الخلق، بَاب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٠١٦).

[4] منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط(٤/ ١٦٧)، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

[5] أخرجه الترمذي في سننه كِتَاب البر و الصلة بَاب مَا جَاءَ فِي قول المعروف (ح١٩٠٧) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ غريب، قَالَ الألباني: حسن.

٣. **قصور الجنة:** أما قصور الجنة فهي من ذهب ولؤلؤ وزبرجد وفضة.. فلا يعلم حسنها وبهاءها إلا الذي خلقها وبناها سبحانه وتعالى عَنْ أَنَسٍ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ"قَالَ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ قَالُوا لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ فَقُلْتُ وَمَنْ هُوَ فَقَالُوا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"[1]

٤. **خيام الجنة:** والجنة مساكن تتلألأ وخيامها من لؤلؤةٍ مجوفةٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُونَ وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ"[2] إنها لؤلؤة واحدة عرضها ستون ميلاً فما بال طولها.

تاسعاً: صفات أهل الجنة

جعل الله أهل الجنة في أكمل صورة خلق عليها البشر، وهي صورة آدم عليه السلام ستون ذراعاً، وما ذلك إلا لتكمل سعادتهم وغبطتهم في ذلك النعيم الخالد فأهل الجنة جرد مرد مكحلين؛ لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم، وأول زمرة يدخلون على صورة القمر ليلة البدر، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومباخرهم من البخور.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ"ﷺأَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَايَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَايَتَغَوَّطُونَ آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ[3] وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ[4] وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه كِتَاب المناقب بَاب في مناقب عمر بن الخطاب (ح٣٦٢١) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قَالَ الألباني: صَحِيحٌ.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب تفسير القرآن، بَاب حور مقصورات في الخيام (ح٤٥٠١).

[3] وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ: الْأَلُوَّةُ الْعُودُ الَّذِي يُبَخَّرُ بِهِ، فتح الباري: بن حجر(٣٤٢/٦).

[4] "وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ: أي: عرقهم كالمسك في طيب، عمدة القارئ: العيني (١٥٥/١٥).

سُوقِهِمَا[1] مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا"[2] وقد ذكر رسول الله ﷺ أن أهل الجنة كلهم شباب أبناء ثلاث و ثلاثين. قال رسول الله عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ"قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً"[3].

عاشراً: الحُورِ العِينَ[4]

الحُورِ العِينَ مكرمات خَلَقَهُنَّ الله فِي الْجَنَّة لأولياء الله ﷻ عاقلات مميزات مطيعات لله تَعَالَى يُخَلَّدْنَ بِلَا نِهَايَة لَا يعصين الله الْبَتَّةَ، فَالْجنَّة إِذْ دَخلهَا المؤمنون من أَهلهَا المخلدون استمتعوا بما فيها من النعيم وعلى رأس هذه المتع الحُورِ العِينَ.

١.**مادة خلقهن:** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"خَلَقَ الله الحُورِ العِينَ مِنَ الزَّعْفَرَانِ"[5]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"لَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ بَصَقَتْ فِي سَبْعَةِ أَبْحُرٍ لَعَذُبَتِ الْبِحَارُ مِنْ عُذُوبَةِ رِيقِهَا، وَيُخْلَقُ الْحَوْرَاءُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ"[6] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَا مِنْ غُدْوَةٍ مِنْ غَدَوَاتِ الْجَنَّةِ، وَكُلُّ الْجَنَّةِ غَدَوَاتٌ، إِلَّا يُزَفُّ إِلَى وَلِيِّ اللَّهِ زَوْجَةُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، أَدْنَاهُنَّ الَّتِي خُلِقَتْ مِنَ الزَّعْفَرَانِ"[7] وقيل إنهن خلقن من تسبيح الملائكة وقيل من المسك وقد يجمع بخلق بعض من زعفران

---

[1] مُخُّ سُوقِهِمَا:الْمُرَادُ بِهِ وَصْفُهَا بِالصَّفَاءِ الْبَالِغِ وَأَنَّ مَا فِي دَاخِلِ الْعَظْمِ لَا يَسْتَتِرُ، فتح الباري:ابن حجر(٦/٣٢٥).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب بدء الخلق، بَاب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٠٠٦).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سن أهل الجنة (ح٢٤٦٨) قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ غريب قال الألباني: حسن.

[4] الحور العين: الحور: جمع حَوْراء، وهي الشديدة بياض العين، الشديدة سوادها، والعَيناء: وجمعها العِين: الواسعة العَيْن. جامع الأصول: ابن الأثير(١٠/ ٥٠٩).

[5] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ح٧٨١٣) (٨ /٢٠٠) ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، عن مجاهد: (ح٢٨٨) (ص٢٠٨) و(ح٣٦٦) (ص٢٤٣) ورواه أبو نعيم في صفة الجنة، عَنْ أَنَسٍ(ح٢١٧) (٢/٢١٧) وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ: (ح٢٨٣) (٢/٢١٦) و(ح٢٨٥) (٢/٢١٧) ضعفه الالباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(ح٣٥٣٩) (٨/٣٢).

[6] رواه أبو نعيم في صفة الجنة (ح٣٨٦) (٢/٢١٨).

[7] رواه أبو نعيم في صفة الجنة (ح٢١٧) (٢/٥٧).

ويعض من تسبيح ويعض من مسك وفي شرح البخاري.لابن الملقن عن ابن عباس خلقت الحور من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب ومن عنقها إلى نهاية رأسها من الكافور الأبيض[1] يقول ابن القيم"وخلق الحور العين من الزعفران وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك فالله المستعان"[2].

٢.**حسنهن:** نساء الجنة أخاذات بنظراتهن، ساحرات بحسنهن، قاصرات بطرفهن، تكسوهن النضرة، ويملؤهن الجمال، فإنهن محورات العيون ملألآت الخدود قد تمازج بياض عيونهن بالسواد، وبياض أبدانهن بالنعومة، قال ﷻ: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ(٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ(٢٣) ﴾. [الواقعة]. وقال ﷻ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحمن: ٥٨] وقال ﷻ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصَّفات: ٤٩] وجاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ الْحُسْنِ"[3]

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:"لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدْوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"[4]

٣.**نكاحهن:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُفْضِي إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ:"إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضِي فِي الْغَدَاةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ"[5]. ولكنه لا مني ولا إنزال ولا ما يوجب الغسل، لقول النبي:"عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: سُئِلَ

---

[1] انظر: فيض القدير: المناوي(٣/٤٤٩).

[2] حادي الأرواح: ابن القيم (ص ٢٣٤).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب بدء الخلق، بَاب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٠٠٦).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الجهاد والسير، بَاب الحور العين وصفاتهن (ح٢٥٨٧).

[5] رواه الطبراني في المعجم الأوسط (ح ٧١٨) (١ /٢١٩).

رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ هَلْ يُجَامِعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ:"نَعَمْ دحاماً[1] دحاماً، وَلَكِنْ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ"[2] ، يوجب الغسل ولا حيض ولا نفاس يمنع الجماع والاستمتاع، قالﷻ: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] ونساء الجنة كلهن أبكار لم يمسهن أحد من الإنس أو الجن، قالﷻ:﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً(٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا(٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا(٣٧) ﴾. [الواقعة]."الْعُرُبُ: جَمْعُ عَرُوبٍ، وَهِيَ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا، قَالَ الْمُبَرِّدُ: هِيَ الْعَاشِقَةُ لِزَوْجِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ لَبِيدٍ:

وَفِي الْخِبَاءِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ... رَيَّا الرَّوَادِفِ يُعْشِي ضَوْؤُهَا الْبَصَرَا

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: "هِيَ الْحَسَنَةُ الْكَلَامِ...الْأَتْرَابُ: هُنَّ اللَّوَاتِي عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ وَسِنٍّ وَاحِدٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَتْرَابًا: أَمْثَالًا وَأَشْكَالًا، وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَتْرَابًا فِي الْأَخْلَاقِ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُنَّ وَلَا تَحَاسُدَ"[3].

٤ . **أخلاقهن:** أما أخلاقهن فإنها رفيعة عالية، جمعت طلاوة الحياء والحشمة وحلاوة التودد والبسمة وقصر الطرف وحسن الإقبال وجمال الوجه ولطافة الإهلال. قال ﷻ: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحمن: ٧٠]. فالخيرات جمع خيرة وحسان جمع حسنة، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه، قالﷻ: ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾[الرَّحمن: ٧٢] فهن محبوسات على أزواجهن لا يرين غيرهم في الخيام، ولا يردن غيرهم ولا يطمعن إلى من سواهم، بما وهبهن الله من صدق العشرة وصفاء الحب والمودة والإخلاص لأزواجهن. وقال ﷻ: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصَّفات: ٤٨] قالﷻ: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢] والطرف بتسكين الراء هو البصر. أي أنهن يقصرن أبصارهن على أزواجهن إعجاباً بهم وحباً.

---

[1] قال ابن الأثير: هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج، لسان العرب: ابن منظور(١٩٦/١٢).

[2] رواه الهندي في كنز العمال(ح٣٩٧٧٦) (٦٤٨/١٤).

[3] انظر: فتح القدير: الشوكاني(١٨٤/٥).

٥. غناءهن: الحور العين مع زهو جمالهن، ورقة أبدانهن، ونعومة شكلهن، وسحرهن وحسنهن، ومع ما تحلين به من دماثه الأخلاق، وحسن العشرة، قد وهبن من الأصوات أحسنها و من الأغاني أعذبها وأطربها، قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ(١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ(١٥) ﴾. [الرُّوم]. قال يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ قَالَ:"الْحِبَرَةُ: اللَّذَّةُ وَالسَّمَاعُ"[1] وجاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ ثِنْتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يُغَنِّيَانِ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ يَسْمَعُهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَلَيْسَ بِمِزْمَارِ الشَّيْطَانِ، وَلَكِنْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَقْدِيسِهِ"[2]، وعن الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: نا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ"أَنَّ الْحُورَ الْعِينَ يَتَلَقَّيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ، عِنْدَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُلْنَ: طَالَمَا انْتَظَرْنَاكُمْ، فَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ، وَنَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سُمِعَتْ، فَيَقُولُ هُوَ: أَنْتِ حِبِّي لَيْسَ دُونَكِ مُقَصَّرٌ، وَلَا وَرَاءَكِ مَعَدًّى"[3].

حادي عشر: خدم أهل الجنة

خدم أهل الجنة ولدان مخلدون، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، إذا رأيتهم كأنهم لؤلؤ منثور ينتشرون في قضاء حوائج السادة أهل الجنة، قال ﷻ: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩] و قال ﷻ: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ [الطُّور: ٢٤] و قال ﷻ: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ(١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ(١٨) ﴾. [الواقعة].

قال السعدي"أي يدور على أهل الجنة لخدمة وقضاء حوائجهم، ولدان صغار الأسنان، في غاية الحسن والبهاء، ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ أي: مستور، لا يناله ما يغيره، مخلوقون للبقاء والخلد، لا يهرمون ولا يتغيرون، ولا يزيدون على أسنانهم"[4].

---

[1] انظر: جامع البيان: الطبري (٤٧٢/١٤).

[2] رواه البيهقي في البعث والنشور(ح٣٧٩) (ص٢٢٨).

[3] رواه أبو نعيم في صفة الجنة (ح٣٠٦) (١٥٥/٢) وابْنِ الْمُبَارَكِ في الزهد والرقائق (١٣١/٢).

[4] تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص٨٣٣).

وقال علي بن أبي طالب ﷺ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:"الولدان ها هنا وِلْدَانُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ صِغَارًا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ وَلَا سَيِّئَةَ. وَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ الْحَسَنُ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ يُجْزَوْنَ بِهَا، وَلَا سَيِّئَاتٌ يُعَاقَبُونَ عَلَيْهَا، فَوُضِعُوا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَلَى أَتَمِّ السُّرُورِ وَالنِّعْمَةِ، وَالنِّعْمَةُ إِنَّمَا تَتِمُّ بِاحْتِفَافِ الْخَدَمِ وَالْوِلْدَانِ بِالْإِنْسَانِ"[1].

هؤلاء الغلمان ليس لهم وظيفة إلا خدمة أهل الجنة، و لكن قائلاً قد يقول: أو ليس كل ما في الجنة قريباً مني والقطوف دانية والأكواب موضوعة والنمارق مصفوفة فما فائدة الخدم ؟؟ فنقول إن من إكرام الله لأهل الجنة أن خلق لهم خدماً فأغلب ملوك الدنيا قد لا يحتاجون لهذه الأعداد الكبيرة من الخدم ولكنه مظهر من مظاهر الترف والتكريم للملك وهكذا حال خدم أهل الجنة.

ثاني عشر: النظر إلى وجه الله تعالى

النظر الى الله سبحانه وتعالى يعد من أعظم ما يتنعم به أهل الجنة يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣) ﴾. [القيامة]. وقال: ﷻ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله[2] قال القرطبي"وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي رِوَايَةٍ. وَحُذَيْفَةَ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي مُوسَى وَصُهَيْبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ، وَهُوَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ فِي الْبَابِ"[3].

وجاء في صحيح مسلم عَنْ صُهَيْبٍ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٠٣/١٧).

[2] نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني (٢ /٧٢٠) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

[3] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٨ /٣٣٠).

رَبِّهِمْ ﷻ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][1].

وجاء في صحيح البخاري عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ افْعَلُوا لَا تَفُوتَنَّكُمْ"[2].

قال الهراس معلقاً على الحديث"هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الْمُتَوَاتِرُ يَشْهَدُ لِمَا دلَّت عَلَيْهِ الآيَاتُ السَّابِقَةُ مِنْ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ ﷻ فِي الْجَنَّةِ، وتمتُّعهم بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

وَهَذِهِ النُّصُوصُ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ تدلُّ عَلَى أَمْرَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا: علوِّه تعالى على خلقه؛ لِأَنَّهَا صَرِيحَةٌ فِي أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ.

ثَانِيهِمَا: أَنَّ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ هُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ"[3].

وهناك من هو محروم من هذه النعمة نعمة النظر إلى الله تعالى وهم كثر منهم صاحب اليمين الكاذبة كما قال ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].وقال ﷻ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قال الطبري"مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ"[4].

والمحجوبون عن رؤية ربهم كثر، منهم الحاكم الذي يحتجب عن رعيته ولا ينظر في حاجتهم وفقرهم، كما جاء عَنْ أَبِي مَرْيَمَ رضي الله عنه، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ رَبَّهُمْ (ح٢٦٦).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب مواقيت الصلاة، بَاب فضل صلاة العصر (ح٥٢١).

[3] شرح العقيدة الواسطية: هرّاس(ص٨١).

[4] جامع البيان: للطبري (٢٤/٢٠٥).

رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ:"مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ دُونَ خَلَّتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ احْتَجَبَ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ خَلَّتِهِ وَفَاقَتِهِ وَحَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ"[1].

ومنهم الشيخ الزانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"ثَلَاثَةٌ / يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ"[2].

ومنهم المسبل إزاره المختال في مشيته، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[3].

ثالث عشر: حوارت أهل الجنة

هناك حوارات وأحاديث كثيرة تدور مع أهل الجنة منها. ؟

أ- **حوار أهل الجنة مع رب العالمين**، حوار أهل الجنة مع رب العالمين كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"[4].

هذا الدليل على أن رضوان الله أعظم من الحور العين، والقصور والأشجار والثمار والحلل والخمر واللبن والعسل.

ب- **حوار أهل الجنة فيما بينهم**، أهل الجنة يتزاورون ويجتمعون ويتحدثون متكئين على سرر متقابلين، كلّ مقبلٌ على الآخر بوجهه، بقلوبٍ صافية، وأحاديث جميلة ليس فيها لغو ولا تأثيم ولا كذب ولا كلمات نابية، فهم يتحادثون ويتذاكرون، ومن ضمن الأشياء يتذاكرون ما كان في الدنيا قال: ﷻ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الأحكام (ح٧٠٢٧) (١٠٥/٤) قال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار (ح١٥٦).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب مواقيت الصلاة، بَاب فضل صلاة العصر (ح٥٢١).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الرِّقَاقِ، بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (ح٦٠٦٧).

﴿ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] وقال: ﷻ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا(٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا(٢٦) ﴾. [الواقعة].، وقال: ﷻ ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ(٢٦) ﴾. [الطُّور]، فهم يتكلمون عن حالهم التي كانوا عليها في الدنيا أنهم كانوا مشفقين من الله خائفين منه يخشون عقابه، ولذلك أورثهم خوفه جنته، قال ﷻ: ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ(٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ(٢٨) ﴾. [الطُّور]. ويتذكر بعض أهل الجنة في الجنة أنه كان له يوماً صاحب وقرين سوء يزين له الكفر في الدنيا، ويدعوه إلى بابٍ من أبواب النار، فيتذكر هذا فيريد أن يعرف الآن أين هو؟ فيكشف الله لهذا الشخص من أهل الجنة موقع قرينه في الدنيا الذي كان يزين له الشر، وهو في النار، لتعظم النعمة في نفسه أنه نجا، وقرينه في عذاب أليم، ولو أنه أطاعه لصار الآن مثله، قال ﷻ: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ(٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ(٥٣) ﴾. [الصَّفات].

فاطلع هذا الصالح في الجنة فكشف له عن مكانه، فراه وقد استقر في قلب الجحيم وسط جهنم. قال ﷻ: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصَّفات: ٥٥] فقال ﴿ قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ(٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ(٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ(٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ(٦١) ﴾. [الصَّفات].

إذاً أهل الجنة يجتمعون، ويتحدثون ويتجاذبون الكلام، وأطراف الحديث، وإن أحدهم يتذكر صاحبه الذي كان يأمره بالمعاصي وينكر البعث ؟

ج- الحوار مع أهل النار، والحديث والحوار مع أهل النار مباشرة كلام حوار بين الطرفين، فبعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ينادون خصومهم من الكفار أهل النار مؤنبين موبخين ليزدادوا عذاباً، قال ﷻ: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا

وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]لقد كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين ويسخرون منهم ويستهزئون بهم، قال: ﷻ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ(٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ(٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ(٣١) ﴾. [المطففين]. فإذا جاء يوم القيامة انقلبت الأحوال، إذا دخلوا الجنة، ودخل هؤلاء النار نظر المؤمنين إلى المجرمين فضحكوا منهم وسخروا بهم، قالﷻ: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]، لكن والضحك يكون، قال ﷻ: ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]، نعم لقد جوزي الكفار بعملهم، وانتقم الله منهم.

رابع عشر: خزنة الجنة

ما إن تطأ أقدام المؤمنين أبواب الجنة حتى يستقبلهم جموع الخزنة الملائكة الطاهرين بالتهنئة والسلام، وفي مقدمتهم رضوان خازن الجنان فللجنة خزنة يستقبلون أهل الإيمان بالترحيب والسلام والبشارة، ويفتحون لهم الأبواب؛ كما قال ﷻ: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]والخزنة جمع خازن، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه [١] ،عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ[٢] فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ أَيْ فُلُ[٣] هَلُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَاكَ الَّذِي لَا تَوَى [٤] عَلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ"إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ" [٥]

---

[١] انظر: حادي الأرواح: ابن القيم (ص١٠٩).

[٢] زَوْجَيْنِ: أَيْ شَيْئَيْنِ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَ مِمَّا يُنْفَقُ وَالزَّوْجُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَعَلَى الِاثْنَيْنِ وَهُوَ هُنَا عَلَى الْوَاحِدِ جَزْمًا، فتح الباري: ابن حجر (٦/ ٤٩).

[٣] أَيْ فُلُ: في فضل أبي بكر، فتح الباري: ابن حجر (٦/٤٩).

[٤] "لَا تَوَى: أي: لَا ضيَاع عَلَيْهِ، وَقِيلَ: لَا هَلَاك، عمدة القارئ: العيني (١٥/١٣٥).

[٥] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الجهاد والسير، بَاب فضل النفقة في سبيل الله (ح٢٦٢٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الزكاة، بَاب من جمع الصدقة وأعمال البر (ح١٧٠٦).

أ- **أسماء خزنة الجنة**: اشتهر في كتب أهل العلم أنّ اسم كبير الخزنة في الجنة: رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا؛ قال ابن القيم في حادي الأرواح:"كبير هذه الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا"[1].

ولكن لم يثبت في تسميته رضوان بحديث صحيح، وكل ما ورد من أحاديث فهي أما منكرة أو موضوعة ولأن أسماء الملائكة من علم الغيب، الذي لا يمكن الإطلاع عليه إلا من طريق الشرع.

ب- **أعمال خزنة الجنة**: خزنة الجنة يستقبلون المؤمنين بالترحاب والسلام، قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزُّمر: ٧٣]. وقال ﷻ: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [ق: ٣٤] يبشرونهم وتتلقاهم الملائكة: قال ﷻ: ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب، وتسلم عليهم، قال تعالى ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ(٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ(٢٤) ﴾. [الرعد].

وأخيراً أقول بعد الحمد والشكر لربي أن وفقني في إخراج هذا البحث المتواضع، ومع ما بذلت من جهد ومشقة في إعداده، إلا أنني أعترف أن هذا الجهد لا يعطي الموضوع حقه تماماً، لأن الكمال المطلق لله وحده، والنقص من صفات خلقه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



د.أحمد جابر محمود العمصي

أستاذ العقيدة المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الجامعة الإسلامية-غزة

---

[1] حادي الأرواح: ابن القيم (ص١٠٩).

فهرس المصادر والمراجع

١. إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان، عمان الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ

٢. الأحاديث الطوال، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مطبعة الأمة، بغداد الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بْن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م،

٤. إحقاق الحق: نور الله للتستري، بدون طبعة.

٥. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٦. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧. الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨. أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩. إسفار الفصيح: أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي، دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠. أشراط الساعة: عبد الله بن سليمان الغفيلي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٢. أصول الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق محمد جواد مغنية، د.يوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م.

١٤. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

١٥. اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٦. إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ .

١٧. إكمال العلم بفوائد مسلم: القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٨. الإمام المهدي: علي محمد دخيل، دار المرتضى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

١٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٠. الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مشتاق المظفر، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

٢١. الإيمان بالغيب: بسام سلامة، مكتبة المنار ط الأولى ١٤٠٣هـ١٩٩٣م.

٢٢. الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه: الدكتور محمد نعيم ياسين، مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر الحسيني، مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٢٤. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٥. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٢٦. البعث والنشور: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الشيخ عامر حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٢٧. البعث: عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٨. بيان المعاني: ملا حويش آل غازي عبد القادر، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢ هـ.

٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.

٣٠. تبسيط العقائد الإسلامية: حسن أيوب، دار البحوث العلمية، الطبعة الرابعة.

٣١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٣٢. تحفة المريد على جوهرة التوحيد: إبراهيم البيجوري، طبعة الأزهر الشريف ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٣. تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م،

٣٤. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م

٣٥. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٣٦. تسلية أهل المصائب: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٣٧. التصريح بما تواتر في نزول المسيح: محمد أنور شاه، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

٣٨. تعظيم قدر الصلاة: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٣٩. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

٤٠. التفسير الحديث: محمد عزت دروزة، دار الغرب الإسلامي، دمشق، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٤١. تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٤٢. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.

٤٣. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

٤٤. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٤٥. تفسير جزء عم: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٤٦. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، دار النشر، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٤٨. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٩. تهذيب التهذيب: الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٥٠. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٥١. التوحيد للناشئة والمبتدئين: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥٤. التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٥. جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٥٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٥٧. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥٨. الجنة والنار: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٥٩. جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف: عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٦٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة، بدون.

٦١. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني:أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٢. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٦٣. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٦٤. الحجة في بيان المحجة: أبو القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٦٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت، ١٩٩٣م.

٦٦. دراسات في علوم القرآن الكريم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٧. دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦٨. دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، عرض ونقد، د. عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ.

٦٩. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٧٠. الديباج على صحيح مسلم: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م،

٧١. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، تحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

٧٢. رسالة في أسس العقيدة: محمد بن عودة السعوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٧٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٧٤. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥. الروض الداني،المسمى المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٧٦. الروض الفسيح في بيان الفوارق بين المهدي والمسيح: محمد باقر الإلهي القمي، مركز الأبحاث العقائدية بدون طبعة.

٧٧. زاد المعاد في هدي خير العبا: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٧٨. الزهد والرقائق: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، تحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت .

٧٩. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٨٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٨١. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٨٢. سنن الترمذي: حمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى،المكتبة الإسلامية،١٩٨٣م.

٨٣. سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، دار التائر الإسلامية، ط١٩٨٦م.

٨٤. سورة الواقعة ومنهجها في العقائد: محمود محمد غريب، دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٨٨م.

٨٥. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٨٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

٨٧. شرح الأصول الخمسة: القاضي: عبد الجبار بن أحمد، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

٨٨. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٨٩. شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٩٠. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،(ص١٥٢) تحقق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٩١. شرح العقيدة السفارينية، الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٩٢. شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٩٣. شرح العقيدة الواسطية: محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٩٤. شرح اللامية: يوسف بن عبد الله السالم، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٩٥. شرح ثلاثة الأصول: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٩٦. شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٩٧. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

٩٨. شرح صحيح البخاري: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٩٩. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة: ابن بطة العكبري، تحقيق مكتبة العلوم والحكم، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى.

١٠٠. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٠١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٠٢. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

١٠٣. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، ط١٩٨٧م.

١٠٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري، المكتب الإسلامي، بدون.

١٠٥. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، طبعة١٩٨٥م.

١٠٦. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية للطباعة والنشر، بدون طبعة.

١٠٧. صفة الجنة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا ، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، مكتبة العلم، جدة، السعودية.

١٠٨. صفة الجنة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا.

١٠٩. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٠. طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

١١١. طرح التثريب في شرح التقريب: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

١١٢. طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

١١٣. العقائد الإسلامية: سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

١١٤. العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١٥. عقيدة السلف وأصحاب الحديث: أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١١٦. العقيدة الصحيحة وما يضادها: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السابعة، العدد الثالث محرم، ١٣٩٥ هـ- يناير ١٩٧٥م.

١١٧. العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، تحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

١١٨. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

١١٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

١٢٠. غريب الحديث: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٢١. غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

١٢٢. غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٢٣. الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية. عبد القادر الجيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

١٢٤. الغيبة: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية للطباعة والنشر، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٢٥. الفتاوى الكبرى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

١٢٦. فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض.

١٢٧. فتاوى نور على الدرب: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

١٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٢٩. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٣٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون.

١٣١. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٣٢. في انتظار الإمام: عبد الهادي الفضلي، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

١٣٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

١٣٤. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة: الأولى، مكتبة الفرقان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١هـ.

١٣٥. قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٣٦. القيامة الصغرى: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

١٣٧. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ،

١٣٨. كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة) محمد ناصر الدين الألباني: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٣٩. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون.

١٤٠. كتاب الفوائد (الغيلانيات) أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٤١. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، دار الأوضاع للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٤٣. كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، بدون.

١٤٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م،

١٤٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٤٦. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٤٧. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

١٤٨. اللطائف في اللغة: معجم أسماء الأشياء: أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي، دار الفضيلة، القاهرة.

١٤٩. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٥٠. لوائح الأفكار السَّنِّية ولواقح الأفكار السنية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٤م.

١٥١. مباحث العقيدة في سورة الزمر: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٥٢. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

١٥٣. مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٥٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.

١٥٥. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٥٦. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣ هـ.

١٥٧. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: لبعض علماء نجد الأعلام، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، المحقق: الأولى، بمصر ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.

١٥٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٥٩. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر ٢٠٠٠م.

١٦٠. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦١. مختصر العلو للعلي العظيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٦٢. مختصر بصائر الدرجات: حسن بن سليمان الحلى، من منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشراف، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.

١٦٣. مختصر معارج القبول: أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ.

١٦٤. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٦٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٦٦. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

١٦٧. المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٦٨. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م.

١٦٩. مسند إسحاق ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

١٧٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار إحياء التراث العربي، ط١٩٩١م.

١٧١. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الأولى، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.

١٧٢. مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠م.
١٧٣. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، دار النشر، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون.
١٧٤. مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
١٧٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون.
١٧٦. مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، دار بن خزيمة، الطبعة الأولى.
١٧٧. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
١٧٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
١٧٩. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.
١٨٠. معاني القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩م.
١٨١. المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
١٨٢. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

١٨٣. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٨٤. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر، دار الدعوة.

١٨٥. معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٨٦. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بتصرف، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٨٧. المغرب في ترتيب المعرب: : ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ، دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٨٨. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٨٩. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو ومجموعة، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٩٠. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩١. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

١٩٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

١٩٣. المنامات: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٩٤. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة، بدون.

١٩٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١٩٦. المنهاج شرح صحيح مسلم: يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الثانية،١٣٩٢هـ.

١٩٧. المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٩٨. نبذة في العقيدة الإسلامية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٩٩. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٠٠. النهاية في الفتن والملاحم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٠١. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٠٢. الوحي والإنسان، قراءة معرفية: محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الرقم
المبحث الأول: السمعيات.	١
المطلب الأول: تعريف السمعيات.	١
المطلب الثاني: تعريف الغيب.	٢
المطلب الثالث: أهمية الإيمان بالغيب.	٣
المطلب الرابع: أقسام العالم.	٤
أولاً: عالم الشَّهَادَةِ المحسوس.	٤
ثانياً: عالم الغيب المستور.	٦
المطلب الخامس: أقسام الغيب.	٧
التقسيم **الأول:** باعتبار علمه ومعرفته.	٧
التقسيم الثاني: باعتبار الزمان.	٨
المبحث الثاني: الروح.	١١
المطلب الأول: الإنسان مركب من جسد وروح.	١١
المطلب الثاني: تعريف الروح وماهيتها.	١٢
المطلب الثالث: الروح في القرآن الكريم.	١٤
المطلب الرابع: الروح قديمة أو محدثة مخلوقة.	١٥
المطلب الخامس: هل الروح مخلوقة قبل الجسد، أم بعده.	١٨
المطلب السادس: الموت.	٢٠
المطلب السابع: هل تموت الروح؟ أم الموت للبدن وحده؟	٢١
المطلب الثامن: مستقر الأرواح بعد الموت.	٢٣
المطلب التاسع: تلاقى الأرواح وتزاورها.	٢٤

الموضوع	الصفحة
أولاً: هل تتلاقى أرواح الموتى، وتتزاور، وتتذاكر أم لا ؟	٢٤
ثانياً: هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا ؟	٢٥
ثالثاً: هل تعرف الأموات بزيارة الأحياء وسلامهم عليهم أم لا ؟	٢٦
المطلب العاشر: هل النفس، و الروح شيء واحد.	٢٧
المطلب الحادي عشر: صفات النفس الإنسانية.	٣٠
المبحث الثالث الإيمان باليوم الآخر.	٣٣
المطلب الأول: مكانة الدنيا من الآخرة.	٣٣
المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر حكمه ومعناه ومفهومه.	٣٥
أولاً: حكم الإيمان باليوم الآخر.	٣٥
ثانياً: معنى الإيمان باليوم الآخر.	٣٦
ثالثاً: مفهوم الإيمان باليوم الآخر.	٣٦
المطلب الثالث: اهتمام القرآن بتقرير الإيمان باليوم الآخر وحكمته.	٣٧
أولاً: مظاهر اهتمام القرآن باليوم الآخر.	٣٧
ثانياً: حكمة اهتمام القرآن باليوم الآخر.	٣٩
المطلب الرابع: أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين.	٤١
أولاً: أدلة الإيمان باليوم الآخر من القرآن.	٤٢
ثانياً: أدلة الإيمان باليوم الآخر من السنة.	٥١
ثالثاً: أدلة الإيمان باليوم الآخر من الحس.	٥٢
المبحث الرابع: أشراط الساعة.	٥٥
المطلب الأول: معنى الأشراط لغةً واصطلاحاً.	٥٥
المطلب الثاني: الإيمان بأشراط الساعة واجب.	٥٦
المطلب الثالث: أقسام أشراط الساغة وأماراتها.	٥٨
القسم الأول: علامات الساعة الصغرى.	٥٨

أولاً: علامات صغرى وقعت وانتهت.	٥٨
ثانياً: علامات صغرى وقعت ولم تنقضِ أي مازالت مستمرة.	٦١
ثالثاً: علامات صغرى لم تقع بعد.	٦٣
القسم الثاني: علامات الساعة الكبرى.	٦٤
العلامة الأولى: **ظهور الدجال**	٦٤
أولاً: المقصود بالمسيح الدجال.	٦٤
ثانياً: المسيح الدجال أول علامات الساعة الكبرى.	٦٥
ثالثاً: فتنة الدجال.	٦٧
رابعاً: صفات المسيح الدجال.	٦٨
خامساً: مولد الدجال ومكان وجوده.	٧١
سادساً: الدجال وابن صياد.	٧٣
سابعاً: سبب خروج الدجال.	٧٥
ثامناً: مكان خروج الدجال.	٧٥
تاسعاً: أساليب الدجال في إغواء الناس.	٧٥
عاشراً: كيفية النجاة من الدجال.	٧٧
حادي عشر: هلاك الدجال.	٧٨
العلامة الثانية: **نزول المسيح عيسى** عليه السلام.	٧٩
أولاً: الأدلة من القرآن والسنة على نزول المسيح.	٧٩
ثانياً: زمان ومكان نزول عيسى عليه السلام.	٨٢
ثالثاً: أوصاف المسيح عيسى عليه السلام.	٨٤
رابعاً: الأعمال والأفعال التي يقوم بها المسيح عيسى عليه السلام .	٨٥
خامساً: الحكمة من نزول المسيح عيسى عليه السلام دون غيره.	٨٨
سادساً: مدة بقاء المسيح عيسى عليه السلام بعد نزوله .	٩٠
سابعاً: موت المسيح عيسى عليه السلام ودفنه.	٩٠

العلامة الثالثة: **ظهور يأجوج ومأجوج.**	٩١
أولاً: الأدلة على خروجهم من القرآن والسنة.	٩١
ثانياً: من هم يأجوج ومأجوج؟	٩٢
ثالثاً: أوصاف يأجوج ومأجوج؟	٩٣
رابعاً: مكان وجود يأجوج ومأجوج.	٩٤
خامساً: وقت خروجهم.	٩٥
سادساً: هلاك يأجوج ومأجوج.	٩٥
العلامة الرابعة: **طلوع الشمس من مغربها.**	٩٧
العلامة الخامسة: **خروج الدابة.**	٩٩
أولاً: الأدلة على خروجها من القرآن والسنة.	١٠٠
ثانياً: أوصاف الدابة.	١٠١
ثالثاً: مكان خروج الدابة.	١٠١
رابعاً: مهام الدابة.	١٠٢
العلامة السادسة: **الدخان والريح.**	١٠٢
أولاً: الدخان.	١٠٢
ثانياً: الريح الطيبة.	١٠٥
العلامة السابعة والثامنة والتاسعة: **الخسوفات الثلاثة.**	١٠٦
العلامة العاشرة: **نار تخرج من اليمن أو من حَضَرَمَوْتَ.**	١٠٧
أولاً: الأدلة على خروجها من السنة.	١٠٧
ثانياً: مكان الحشر.	١٠٩
ثالثاً: زمان الحشر.	١١٠
رابعاً: أحوال الناس في المحشر قبل البعث.	٢١١
القسم الثالث: علامات أخرى.	١١٣
العلامة الأولى: **خروج المهدي** عليه السلام.	١١٣

أولاً: معنى المهدي عليه السلام.	١١٣
ثانياً: تواتر أحاديث المهدي عليه السلام.	١١٤
ثالثاً: اسمه المهدي عليه السلام ونسبه.	١١٥
رابعاً: صفة المهدي عليه السلام.	١١٨
١. صفاته الخَلْقِيَّة.	١١٨
٢. صفاته العَمَلِيَّة.	١١٩
أولاً: صفاته العَمَلِيَّة عند أهل السنة.	١١٩
ثانياً: صفاته العَمَلِيَّة عند الشيعة الإمامية.	١١٩
خامساً: مكان خروج المهدي وزمانه.	١٢١
سادساً: مكان بيعة المهدي.	١٢٢
سابعاً: مدة مُكْث المهدي في الأرض.	١٢٣
سابعاً: أوجه الاتفاق والاختلاف في المهدي بين السنة والشيعة.	١٢٣
العلامة الثانية: **هدم الكعبة.**	١٢٥
العلامة الثالثة: **رفع القرآن من المصاحف والصدور.**	١٢٧
المبحث الخامس: عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين.	١٢٩
المطلب الأول: أدلة عذاب القبر ونعيمه.	١٢٩
المطلب الثاني: المنكرون لعذاب القبر ونعيمه، وشبهتهم، والرد عليهم.	١٣٣
المطلب الثالث: هل يستثنى أحد من سؤال الملكين.	١٣٦
المطلب الرابع: أسباب عذاب ونعيم القبر.	١٣٩
المطلب الخامس: عذاب القبر دائم على الكفار منقطع عن بَعْضِ الْعُصَاةِ.	١٤١
المطلب السادس: هل السؤال في القبر مختص بهذه الأمة ؟	١٤٣
المطلب السابع: هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء؟	١٤٤
المطلب الثامن: النعيم والعذاب على الروح والبدن.	١٤٥

المطلب التاسع: وجوه عذاب ونعيم القبر.	١٤٦
أولاً: وجوه نعيم القبر.	١٤٦
ثانياً: وجوه عذاب القبر.	١٤٨
المبحث السادس: بدايات اليوم الآخر.	١٥١
المطلب الأول: أهوال يوم القيامة وبدايات التغير الكوني.	١٥١
المطلب الثاني: ما هو الصور ؟! ومن هو صاحبه؟! ومتى ينفخ فيه ؟	١٥٣
المطلب الثالث: عدد النفخات.	١٥٥
النفخة الأولى: نفخة الفزع.	١٥٦
النفخة الثانية: نفخة الصعق.	١٥٦
المستثنى من نفخة الصعق والفزع.	١٥٨
النفخة الثالثة: نفخة البعث.	١٦٠
أولاً: معنى البعث لغةً واصطلاحاً.	١٦٠
ثانياً: أدلة البعث من القرآن والسنة.	١٦١
ثالثاً: حقيقة البعث.	١٦٢
رابعاً: كيفية البعث، والفترة الزمنية الفاصلة بين النفختين.	١٦٢
خامساً: أول من يُبعث يوم القيامة.	١٦٣
سادساً: من مات على شيء بعث عليه.	١٦٤
المبحث السابع: الحشر.	١٦٧
المطلب الأول: تعريف الحشر وأدلته.	١٦٧
المطلب الثاني: إسرافيل عليه السلام يقودهم إلى أرض المحشر.	١٦٨
المطلب الثالث: مقدار الحشر.	١٦٩
المطلب الرابع: من الذي يحشر.	١٧٠
المطلب الخامس: صفة أرض المحشر.	١٧٢

المطلب السادس: صفات الناس في المحشر.	١٧٣
المطلب السابع: أصناف الناس في المحشر.	١٧٥
المطلب الثامن: أهوال الموقف ومشاهد الحشر.	١٧٩
المبحث الثامن: صحائف الأعمال.	١٨٢
المطلب الأول: تعريف الصحائف وأدلتها.	١٨٢
المطلب الثاني: هل الصحف لجميع الخلائق.	١٨٤
المطلب الثالث: أخذ الصحف.	١٨٥
أولاً: كيف يأخذ العباد صحفهم.	١٨٥
ثانياً: طريقة استلام الكتب.	١٨٥
ثالثاً : كيفية قراءة الصحف.	١٨٨
رابعاً: الحكمة من أخذ الصحف.	١٩٠
المبحث التاسع: الحساب.	١٩٠
المطلب الأول: تعريف الحساب وأدلته.	١٩٠
المطلب الثاني: مجيء الله والملائكة لفصل القضاء.	١٩٢
المطلب الثالث: من بيده الحساب.	١٩٣
المطلب الرابع: أول من يحاسب وأول من يكلمهم الله جل وعلا.	١٩٤
أولاً: أول من يحاسب من الأمم أمة محمد ﷺ .	١٩٤
ثانياً: أول من يكلمه الله ﷻ يوم القيامة.	١٩٤
المطلب الخامس: من يشملهم الحساب وكيفيته.	١٩٥
المطلب السادس: ما يسأل عنه العبد ويحاسب.	١٩٩
المطلب السابع: قواعد عامة في الحساب.	٢٠١
المطلب الثامن: الشهود.	٢٠١

المبحث العاشر: الحـوض.	٢٠٥
المطلب الأول: تعريف الحوض ومكانه.	٢٠٥
المطلب الثاني: الإيمان بالحوض.	٢٠٦
أولاً: الأدلة على وجود الحوض.	٢٠٧
ثانياً: الحوض موجود الآن.	٢٠٩
المطلب الثالث: صفة الحوض.	٢١٠
أولاً: من حيث شكله.	٢١١
ثانياً: من حيث مسافته.	٢١١
ثالثاً: من حيث آنيته.	٢١٣
رابعاً: من حيث مائه.	٢١٤
المطلب الرابع: من يشرب ومن يحرم من الشرب.	٢١٥
المطلب الخامس: هل الحوض خاص برسولنا محمد ﷺ؟	٢٢١
المطلب السادس: مكان الحوض ووقته.	٢٢٣
المسألة الأولى: مكان الحوض بالنسبة للميزان.	٢٢٣
المسألة الثانية: مكان الحوض بالنسبة للصراط.	٢٢٤
القول الأول: الحوض بعد الصراط.	٢٢٤
القول الثاني: الحوض قبل الصراط.	٢٢٥
القول الثالث: أن للنبي محمد ﷺ حوضين.	٢٢٧
القول الرابع: التوقف عن التعيين وعدم الخوض فيها.	٢٢٧
المبحث الحادي عشر: الميزان.	٢٢٩
المطلب الأول: تعريف الميزان وأدلة ثبوته والحكمة من وزن الأعمال.	٢٢٩
أولاً: تعريف الميزان.	٢٢٩
ثانياً: أدلة ثبوت الميزان من القرآن السنة.	٢٢٩

ثالثاً: الحكمة من وزن الأعمال.	٢٣٤
المطلب الثاني: صاحب الميزان ومتى يكون الوزن.	٢٣٤
المطلب الثالث: الميزان واحد، أم متعدد.	٢٣٥
المطلب الرابع: المُوزون ؟	٢٣٧
أولاً: العمل هو الذي يُوزن.	٢٣٧
ثانياً: صحائف الأعمال هي التي توزن.	٢٤٠
ثالثاً: الذي يُوزن هو العامل نفسه.	٢٤١
المطلب الخامس: هل يتشابه ميزان الآخرة والدنيا في الثقل والخفة؟	٢٤٢
المطلب السادس: من ينصب لهم الميزان؟ومن يستثنى من الوزن؟	٢٤٣
أولاً: المؤمنون.	٢٤٤
ثانياً: الكفار.	٢٤٥
ثالثاً: الجن.	٢٤٧
رابعاً: المجنون والصبي.	٢٤٩
خامساً: أهل الفترة و من لم تبلغه الدعوة .	٢٤٩
المطلب السابع: أصناف الناس في الميزان.	٢٥١
المبحث الثاني عشر: الشفاعة.	٢٥٣
المطلب الأول: تعريف الشفاعة.	٢٥٣
المطلب الثاني: أقسام وشروط الشفاعة.	٢٥٤
المطلب الثالث: أقسام الشفاعة الشرعية.	٢٥٧
أولاً: الشفاعة الخاصة.	٢٥٧
١. الشفاعة العظمى.	٢٥٧
٢. شفاعته ﷺ في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب.	٢٥٨
٣. الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه.	٢٥٩

٤. شفاعته ﷺ بدخول أهل الجنة.	٢٦٠
٥. شفاعة الرسول ﷺ لمن سكن المدينة	٢٦١
ثانياً: الشفاعة العامة.	٢٦٢
١. شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم.	٢٦٢
٢. الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.	٢٦٢
٣. شفاعته ﷺ في أقوامٍ من المؤمنين في زيادة ثوابهم .	٢٦٣
٤. شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته.	٢٦٤
المطلب الرابع: شفاعات أخرى.	٢٦٧
أولاً: شفاعة الله ﷻ.	٢٦٧
ثانياً: شفاعة الأنبياء.	٢٦٧
ثالثاً: شفاعة المؤمنين.	٢٦٨
رابعاً: شفاعة القرآن.	٢٦٩
خامساً: شفاعة الشهداء.	٢٦٩
سادساً: شفاعة الولدان لوالديهم.	٢٦٩
المطلب الخامس: من تجب له الشفاعة بإذن الله؟	٢٧٠
المبحث الثالث عشر: الصراط.	٢٧١
المطلب الأول: تعريف الصراط والأدلة على وجوب الإيمان به.	٢٧١
المطلب الثاني: صفة الصراط.	٢٧٦
المطلب الثالث: المرور والعبور على الصراط.	٢٧٩
أولاً: المرور على الصراط.	٢٧٩
ثانياً: العبور على الصراط وكيفيته.	٢٨٢
المطلب الرابع: أول من يجتاز الصراط وشعار المؤمنين عليه.	٢٨٣
أولاً: أول من يجتاز الصراط.	٢٨٣
ثانياً: شعار المؤمنين على الصراط.	٢٨٤

المطلب الخامس: الوقوف على القنطرة.	٢٨٥
المبحث الرابع عشر: الجنة و النار.	٢٨٧
المطلب الأول: الجنة والنار مخلوقتان موجودتان باقيتان لا تفنيان أبدا.	٢٨٧
أولاً: الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.	٢٨٧
ثانياً: الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ	٢٩١
المطلب الثاني: النار.	٢٩٤
أولاً: صفات النار.	٢٩٤
أ- أسماء النار.	٢٩٤
ب- مكان النار.	٢٩٥
ت- وقود النار.	٢٩٧
ث- قوة حرارة النار.	٢٩٨
ج- قعر النار.	٢٩٨
ح- ظل النار.	٢٩٨
خ- أبواب النار.	٣٩٩
د- دركات النار.	٣٠١
ثانياً: خزنة النار وزبانيتها.	٣٠٢
ثالثاً: أهل النار.	٣٠٤
١. صفات أجسام أهل النار.	٣٠٤
٢. تغيظ واشتداد النار على أهلها يوم القيامة.	٣٠٦
٣. النار لا تشبع مما يلقى فيها وتطلب المزيد.	٣٠٧
٤. كيفية دخول أهل النار للنار.	٣٠٧
٥. كثرة أهلها.	٣٠٨
٦. أول من تسعر بهم النار.	٣١٠
٧. استغاثة أهل النار.	٣١٠

٨. تخاصم أهل النار ودعاء بعضهم على بعض.	٣١١
رابعاً: أنواع العذاب في النار.	٣١٣
١. أشد وأهون عذاب أهل النار.	٣١٣
أ- أشد عذاب أهل النار.	٣١٣
ب- أهون عذاب أهل النار.	٣١٤
٢. ثياب وفرش أهل النار.	٣١٦
أ- ثياب أهل النار.	٣١٦
ب- فِراش أهل النار وأغطيتهم.	٣١٦
٣. طعام وشراب أهل النار.	٣١٧
أ- أنواع طعام أهل النار.	٣١٧
أولاً: طعام الضريع.	٣١٧
ثانياً: طعام الغسلين.	٣١٧
ثالثاً: طعام الزقوم.	٣١٨
رابعاً: طعام ذو غصة.	٣١٩
ب- أنواع شراب أهل النار.	٣١٩
أولاً: الحميم.	٣١٩
ثانياً: الغساق.	٣١٩
ثالثاً: المُهْلِ.	٣٢٠
رابعاً: طِينَةِ ونهر الخَبَالِ.	٣٢٠
٤. وثاق أهل النار.	٣٢١
خامساً: خطبة إبليس في أهل النار.	٣٢٢
سادساً: خلود أهل النار أبدي.	٣٢٣
المطلب الثالث: الجنة.	٣٢٣
أولاً: أدلة الإيمان بالجنة.	٣٢٣

الموضوع	الصفحة
ثانياً: أسماء الجنة.	٣٢٥
ثالثا: مكان الجنة.	٣٢٧
رابعاً: أبواب الجنة.	٣٢٧
خامساً: درجات الجنة ومنازلها.	٣٢٨
١. عدد درجات الجنة.	٣٢٩
٢. أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم.	٣٣٠
أ- أعلى أهل الجنة منزلة.	٣٣٠
ب- أدنى أهل الجنة منزلة.	٣٣١
سادساً: **أنهار الجنة وعيونها.**	٣٣١
أولاً: أنهار الجنة.	٣٣١
الأنهار الأربعة: نَهَرٌ مِنْ مَاءٍ وَ لَبَنٍ وَخَمْرٍ وَعَسَلٍ.	٣٣٢
النهر الخامس: نَهَرُ الْكَوْثَرُ.	٣٣٣
النهر السادس: نَهَرُ الْحَيَاةِ.	٣٣٣
النهر السابع: نَهَرُ بارق.	٣٣٣
النهر الثامن: نَهَرُ الْبَيْذَخِ أَوِ الْبَيْذَحِ.	٣٣٤
ثانياً: عيون الجنة	٣٣٥
العين الأولى: عَيْن الكافور.	٣٣٥
العين الثانية: عين التَسْنِيمِ.	٣٣٦
العين الثالثة: عَيْن سَلْسَبِيل.	٣٣٦
العين الرابعة: عَيْن الزنجبيل.	٣٣٦
سابعاً: أشجار الجنة وفواكهها.	٣٣٦
١- أشجار الجنة.	٣٣٧
٢- فواكه الجنة.	٣٣٨
ثامنا: بناء الجنة.	٣٣٩

١- تربة الجنة.	٣٣٩
٢- غرف الجنة.	٣٤٠
٣- قصور الجنة.	٣٤١
٤- خيام الجنة.	٣٤١
تاسعاً: صفات أهل الجنة.	٣٤١
عاشراً: الحُورِ العِينَ.	٣٤٢
حادي عشر: خدم أهل الجنة.	٣٤٥
ثاني عشر: النظر إلى وجه الله تعالى.	٣٤٦
ثالث عشر: حوار أهل الجنة.	٣٤٨
أ- حوار أهل الجنة مع رب العالمين.	٣٤٨
ب- حوار أهل الجنة فيما بينهم.	٣٤٨
ج- الحوار مع أهل النار.	٣٤٩
رابع عشر: خزنة الجنة.	٣٥٠
أ- أسماء خزنة الجنة.	٣٥١
ب- أعمال خزنة الجنة.	٣٥١
فهرس المراجع والمصادر.	٣٥٢
فهرس الموضوعات	٣٧٢

اليوم الآخر



مكتبة ومطبعة دار المنارة
MANARA BOOK SHOP & PRESS
الثلاثيني - مقابل الجامعة الإسلامية
ت مكتبة : 2868063
ت مطبعة : 2824220
فاكس : 2846043
almanara90@yahoo.com